

١٩٧٦
السنة الرابعة والعشرون

في هذا العدد

معركة لبنان

على اقلام الادباء العرب

عدد خاص

العدد ٧ ، ٨ ، ٩

تموز ، آب ، ايلول

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

صاحبها ومديرها المسؤول

الدكتور سهيل ادريس

سكرتيرة التحرير

عائدة مطرجي ادريس

الادارة : شارع سوريا ــ بناية درويش
ص ٠ ب ٤١٢٣ ، بيروت ــ لبنان
تلفون ٢٣٢٨٣٢ ــ ٣٠٢٩٨٦

●

AL-ADAB : Revue mensuelle culturelle
Beyrouth — LIBAN
B.P. 4123 — Tel. 232832

Propriétaire — Rédacteur
SOUHEIL IDRISS

Secrétaire de rédaction
AIDA M. IDRISS

●

قيمة الاشتراك السنوي

لبنان وسوريا : ٤٠ ليرة لبنانية
البلاد العربية : ٥٠ ليرة لبنانية
اوربا وافريقيا : ٣٠ دولارا
امـــيريكا : ٤٠ دولارا
المؤسسات الرسمية والمكتبات العامة
١٠٠ ليرة لبنانية
(تضاف تكاليف الطائرة في حالة الاشتراك بالبريد الجوي)

●

الاعلانات يتفق بشأنها مع الادارة

العدد ٧ ، ٨ ، ٩ ــ تموز ، آب ، أيلول ــ (يوليه ، أغسطس ، سبتمبر) ــ السنة ٢٤

عــدد ممتاز

معركة لبنــان

على أقلام الادباء العرب

قصائــد

محمود درويش ــ سميح القاسم ــ معين بسيسو ــ محمد الاسعد ــ محمد الفيتوري ــ شفيق الكمالــي ــ حسب الشيخ جعفر ــ ذوالنون الاطرقجي ــ زهــور ديكسن ــ سعدي علي السند ــ هشام المراني ــ محمــد علي شمس‌الدين ــ شوقي بزيع ــ عبدالكريم شمــس الدين ــ احمد صافي ــ احلام مستغانمي ــ خليل احمد خليل ــ ابراهيم الزبيدي ــ احمد مفدي ــ حافــظ عليان ــ مؤيد البحش ــ منذر الجبــوري ــ مريــد البرغوثي ــ محمد راضي جعفر ــ علي الخليلي ــ محمد العبدالله ــ جودت فخرالدين ــ محمد احمد القابسي ــ بلبداوي احمد .

مقــالات

س . أ ــ جورج ناصيف ــ صلاح‌الدين البيطار ــ طاهر عبدالحكيم ــ يوسف العاني ــ زهير هــواري ــ وليد شميط ــ حنا مقبل ــ عبدالرحمن الشرقاوي ــ نزار سمعان ــ ابراهيم العلي ــ عزيز السيد جاسم ــ نزار مروة ــ هادي دانيال ــ مروان أمين ــ عبدالاميــر معلة ــ شريف الربيعي ــ يحيى ربــاح ــ اليــاس الخوري ــ حميدة نعنع ــ نبيل مهايني

قصص

مفيدة الشوباشي ــ وليد رباح ــ يحيى يخلف ــ سهيل ادريس .

محمود درويش

احمد الزعتر

ليدين من حَجَر وزعتر
هذا النشيدُ .. لاحمد المنسيّ بين فراشتين
مضت الغيوم وشردتني
ورمت معاطفها الجبال وخبأتني

.. نازلا من نحلة الجرح القديم الى تفاصيل
البلاد وكانت السنة انفصال البحر عن مدن
الرماد وكنت وحدي
ثم وحدي ..
آه يا وحدي ! وأحمد
كان اغتراب البحر بين رصاصتين
مخيّما ينمو ، وينجب زعترا ومقاتلين
وساعدا يشتد في النسيان
ذاكرة تجيء من القطارات التي تمضي
وارصفة بلا مستقبلين وياسمين
كان اكتشاف الذات في العربات
أو في المشهد البحري
في ليل الزنازين الشقيقة
في العلاقات السريعة والسؤال عن الحقيقة
في كلّ شيء كان أحمدُ يلتقي بنقيضه
عشرين عاماً كان يسأل
عشرين عاماً كان يرحل
عشرين عاماً لم تلده امه الا دقائق في اناء الموز
وانسحبت
يريد هوية فيصاب بالبركان
سافرت الغيوم وشردتنى
ورمت معاطفها الجبال وخبّأتني

***

أنا أحمد العربي ــ قال
أنا الرصاص البرتقال الذكريات
وجدت نفسي قرب نفسي
فابتعدت عن الندى والمشهد البحري
تل الزعتر الخيمة
وانا البلاد وقد أتت وتقمصتني
وأنا الذهاب المستمر الى البلاد
وجدت نفسي ملء نفسي ...
راح احمدُ يلتقي بضلوعه ويديه

كان الخطوة ــ النجمه
ومن المحيط الى الخليج ، من الخليج الى المحيط
كانوا يعدون الرماح
وأحمد العربي يصعد كي يرى حيفا
ويقفزُ

احمد الان الرهينة
تركت شوارعها المدينه
واتت اليه لتقتله
ومن الخليج الى المحيط ، من المحيط الى الخليج
كانوا يعدون الجنازة وانتخاب المقصلة

***

أنا أحمد العربي ــ فليأت الحصار
جسدي هو الاسوار ــ فليأت الحصار
وأنا احاصركم
احاصركم
وصدري باب كل الناس ــ فليأت الحصار

***

لم تأت اغنيتي لترسم احمد الكحلي في الخندق
الذكريات وراء ظهري ، وهو يوم الشمس والزنبق
يا أيها الولد الموزع بين نافذتين
لا تتبادلان رسائلي
قاومْ
ان التشابه للرمال .. وانت للازرق

واعدُ أضلاعي فيهرب من يدي بردى
وتتركني ضفاف النيل مبتعدا
وأبحث عن حدود أصابعي
فأرى العواصم كلها زبدا ..

واحمد يفرك الساعات في الخندق
لم تأت أغنيتي لترسم احمد المحروق بالازرق
هو احمد الكوني في هذا الصفيح الضيق
المتمزق الحالم
وهو الرصاص البرتقالي .. البنفسجة الرصاصية

←

هذا العدد

كانت مادة العددين السابقين من « الآداب » (وهما في الواقع عن ستة أشهر) مهيأة من قبل في بيروت ، ولكننا لم نستطع ، كما ذكرنا في العدد الاول ، اصدارها من العاصمة اللبنانية بسبب الاحداث . وعقب طبع العددين في العاصمة العراقية ، قام رئيس التحرير وسكرتيرة التحرير بجولة في عدد من العواصم العربية لجمع ماكتبه الادباء العرب من وحي معركة لبنان ، فكانت مادة هذا العدد الخاص حصيلة تلك الجولة .

وهنا ، نود ان ندلي للقاريء بالملاحظات التالية :

اولا — ان هذا العدد الثالث ، الذي يحمل تاريخ ثلاثة اشهر أخرى من هذا العام ، طبع ايضا ، ويوزع من بغداد التي أتاحت لنا ، مشكورة ، ان نؤمن اصدار المجلة بما يقارب النفقات التي كانت تصدر بها من بيروت .

ونأمل ان يمكننا تطور الاحداث في لبنان من اصدار العدد القادم من المجلة في مسقط رأسها الاصلي ، بالرغم من ايماننا بأن وطن « الآداب » هو الوطن العربي كله ، بغض النظر عن كل الخيبات التي خلفتها مواقف معظم « الدول » العربية ..

ثانيا — اننا لا نعتقد بأن المادة التي ضمتها هذه الصفحات هي ، او ستكون ، أفضل النتاج الادبي الذي أوحته معركة لبنان .. ذلك أن أثر هذه المعركة في الوجدان العربي ، ومن ثم في ضمائر الادباء ، سيولد آثارا فنية أعظم قيمة في ميزان التأريخ الادبي . ولكن هذه المادة قد تكون ، بصدقها وعفويتها ، ارهاصا بتلك الآثار المرجوة ، وهي بهذا تستحق الرصد والتسجيل . انها وثيقة أولية كاشفة .

ثالثا — اذا كنا قد أهملنا بعض النتاج الذي وقعنا عليه في بعض البلدان ، بسبب من رداءته على الصعيد الفني ، فينبغي الاعتراف بأنه قد يكون فاتنا انتاج آخر لم نتمكن من الاطلاع عليه ، وقد يكون ذا قيمة فنية معينة . ونحن نرحب باستكماله في أعدادنا القادمة .

رابعا — تعمدنا الا ندرج في هذا العدد المادة التي وردت في المجلات الثقافية الشهرية ، ترجيحا منا بأن القراء الذين يطالعون « الآداب » قد يكونون مطلعين على المجلات المماثلة الشهرية ، هذا مع العلم بأن هذه المادة ضئيلة نسبيا .

خامسا — سيلاحظ القراء ، من غير شك ، غياب الادباء السوريين غيابا تاما في هذه المعركة . والحق انه لم يتح لنا ان نطلع على الصحافة السورية ، السياسية منها او الادبية ، في هذه الفترة . ولكننا واثقون من أن الادباء السوريين الشرفاء مضطرون الى التزام صمت معذب تحت سيف ارهاب لا يملكون سلاحا متكافئا لمقاومته .. غير ان صوت الادب العربي السوري المكبوت لا بد من ان يرتفع في الوقت المناسب ، دفاعا عن النضال المشترك للثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية .

* * *

وبعد ، فان « الآداب » ، اذ تقدم هذه الوثيقة — الشهادة ، تعاهد قراءها في أركان الوطن العربي ان تواصل مسيرتها النضالية التي بدأتها منذ ربع قرن ، حاملة صوت المقاومة والرفض لكل الزيف والمؤامرات والمساومات ، مؤمنة بأن النصر سيكون حليف الشعب العربي في جميع معاركه ضد اعدائه ، كل اعدائه ، سواء أكانوا من الاجانب المستعمرين والصهاينة ، او من « الأقارب » ، ذابحي نضال اللبنانيين والفلسطينيين ومجهضي انتصاراتهم ، هذه الانتصارات التي كانت ، لو أتيح لها ان تبلغ غايتها ، ستكون الدرب الصحيح لخلق المجتمع العربي المنشود ...

وهو اندلاع ظهيرة حاسم
في يوم حريه
يا ايها الولد المكرس للندى
قـــاوم !
يا ايها البلد ـ المسدس في دمي
قــاوم !
الان اكمل فيك أغنيتي
واذهب في حصارك
والان أكمل فيك اسئلتي
وأولد من غبارك
فاذهب الى قلبي تجد شعبي
شعوبا في انفجارك

* * *

.. سائرا بين التفاصيل اتكأت على مياه
فانكســرتُ
أكلما نهدت سفرجلة نسيت حدود قلبي
والتجأتُ الى حصار كي أحدد قامتي
يـــا أحمد العربي ؟
لم يكذب عليّ الحب ، لكن كلما جاء المســاء
امتصني جرس بعيد
والتجأت الى نزيفي كي أحدد صورتي
يا احمد العربي
لـم أغسل دمي من خبز اعدائي
ولكن كلما مرت خطاي على طريق فرت
الطرق البعيدة والقريبة
كلما آخيت عاصمة رمتني بالحقيبة
فالتجأت الى رصيف الحلم والاشعار
كـم أمشي الى حلمي فتسبقني الخناجر
آه من حلمي ومن روما !
جميل انت في المنفى
قتيل انت في روما

وحيفا من هنا بدأت
واحمد سلّم الكرمل
وبسملة الندى والزعتر البلدي والمنزل
لاتسرقوه من السنونو
لاتأخذوه من الندى
كتبت مراثيها العيونُ
وتركت قلبي للصدى

لاتسرقوه من الابــد
وتبعثروه على الصليب
فهو الخريطة والجسد
وهو اشتعال العندليب

لاتأخذوه من الحمام
لاترسلوه الى الوظيفه
لاترسموا دمه وسام
فهو البنفسج في قذيفه

* * *

.. صاعداً نحو التئام الحلم تتخذ التفاصيل
الرديئة شكل كمثرى
وتنفصل البلاد عن المكاتب
والخيول عن الحقائب
للحصى عرق . أقبل صمت هذا الملح
أعطي خطبة الليمون لليمون
أوقد شمعتي من جرحى المفتوح للازهار
والسمك المجفف
للحصى عرق ومرآة وللحطاب قلب يمامة
أنساك احيانا لينساني رجال الامن
يا امرأتي الجميلة تقطعين القلب والبصل
الطري وتذهبين
وللحصى رئة . وصمتك ذوّب الليل المحنط
فاذكريني قبل ان انسى يــديّ
.. وصاعدا نحو التئام الحلم
تنكمش المقاعد تحت اشجاري وظلك
يختفي المتسلقون على جراحك كالذباب الموسمي
ويختفى المتفرجون على جراحك
فأذكريني قبل ان انسى يدي
وللفراشات اجتهادي
والصخور رسائلي في الارض
لا طروادة بيتي ولا مسّادة بيتي
واصعد من جفاف الخبز والماء المصادر
من حصان ضاع في درب المطار
ومن هواء البحر أصعد
من شظايا ادمنت جسدي
واصعد من عيون القادمين الى غروب السهل
اصعد من صناديق الخضار
وقــوة الاشياء أصعد
انتمي لسمائي الاولى وللفقراء في كل الازقة
ينشدون .

صامدون
وصامدون
وصامدون

كان المخيم جسم أحمد
كانت دمشق جفون احمد
كان الحجاز ظلال أحمد
صار الحصار مرور احمد فوق أفئدة الملايين
الأسيرة
صار الحصار هجوم أحمد

والبحر طلقته الاخيره !

* * *

يا خصر كل الريح يا اسبوع سكّر
يا اسم العيون ويا رخاميّ الصدى
يا أحمد المولود من حجر وزعتر
ســنقول : لا
ســنقول : لا
جلدي عباءة كل فلاح سيأتي من حقول التبغ
كي يلغي العواصم
وتقــول : لا
جسدي بيان القادمين من الصناعات الخفيفة
والتردد .. والملاحم
نحــو اقتحام المرحله
وتقول : لا
ويدي تحيات الزهور وقنبله
مرفوعة كالواجب اليومي ضد المرحله
وتقول : لا
يا ايها الجسد المضرج بالسفوح وبالشموس المقبلة
وتقول : لا
يــا ايها الجسد الذي يتزوج الامواج
فوق المقصله
وتقول : لا
وتقول : لا
وتقول : لا !

* * *

وتموت قرب دمي وتحيا في الطحين
ونزور صمتك حين تطلبنا يداك
وحين تشعلنا اليراعــه
مشت الخيول على العصافير الصغيرة
فابتكرنا الياســمين
ليغيب وجه الموت عن كلماتنا
فأذهب بعيدا في الغمام وفي الزراعه
لا وقت للمنفى واغنيتي ..
سيجرفنا زحام الموت فأذهب في الزحام
لنصاب بالوطن البسيط وباحتمال الياسمين
واذهب الى دمك المهيأ لانتشارك
واذهب الى دميَ الموحّد في حصارك
لا وقت للمنفى ..
وللصور الجميلة فوق جدران الشوارع والجنائز
والتمنــي
كتبت مراثيها الطيور وشردتني
ورمت معاطفها الحقول وجمعتني
فأذهب بعيدا في دمي ! واذهب بعيدا في الطحين
لنصاب بالوطن البسيط وباحتمال الياسمين
يا احمد اليومي !
يــا اسم الباحثين عن الندى وبساطة الاسماء
يــا اسم البرتقاله
يــا أحمد العادي !
كيف محوت هذا الفارق اللفظي بين الصخر والتفاح
بين البندقية والغزالة !
لا وقت للمنفى واغنيتي ..
سنذهب في الحصار
حتى نهايات العواصم
فاذهب عميقا في دمي أذهب براعــم
واذهب عميقا في دمي اذهب خواتم
واذهب عميقا في دمي اذهب سلالم
يــا أحمد العربي .. قاوم !
لا وقت للمنفى واغنيتي ..
سنذهب في الحصار
حتى رصيف الخبز والامواج
تلك مساحتي ومساحة الوطن ــ الملازم
مــوت امام الحلم
أو حلم يموت على الشعار
فأذهب عميقا في دمي واذهب عميقا في الطحين
لنصاب بالوطن البسيط وباحتمال الياسمين
.. وله انحناءات الخريف له وصايا البرتقال
له القصائد في النزيف له تجاعيد الجبال
له الهتاف له الزفاف
لــه المجلات الملونــة
المراثي المطمئنة
ملصقات الحائط
العلم التقــدم فرقة الانشاد
مرســوم الحــداد
وكل شيء كل شيء كل شيء
حين يعلن وجهه للذاهبين الى ملامح وجهه
يا أحمد المجهول !
كيف سكنتنا عشرين عاما واختفيت
وظل وجهك غامضا مثل الظهيره
يــا أحمد السري مثل النار والغابات
أشهر وجهك الشعبي فينا
واقرأ وصيتك الاخيره !
يــا ايها المتفرجون ! تناثروا في الصمت
وابتعدوا قليلا عنه كي تجدوه فيكم
حنطة ويدين عاريتين
وابتعدوا قليلا عنه كي يتلو وصيته
على الموتى اذا ماتوا
وكي يرمي ملامحه على الاحياء ان عاشوا !
اخــي أحمد !
وانت العبد والمعبود والمعبد
متى تشهد .. متى تشهد .. متى تشهد !

« السفير » البيروتية
١٧ آب ١٩٧٦

سميح القاسم

دبكة الموت

لفّ لي سيجارة يا طانيوس شاهين
انا قادم لاشمت معك
نشمت ؟ ولكن بمن ؟
بحجل صنين الهارب من الموت
الى متاريس صهيون على جبل الشيخ ؟
بالظل المتكسر ؟ بالضوء المتكسر ؟ بالقلب المتكسر ؟
نشمت ؟ ولكن بمن ؟
باوردتنا المفرقعة ،
زجاجات شمبانيا في كوكتيل بنتاغوني ؟
صب لي فنجانا من قهوتك المره
من دموعك المره
من دمك المر
يا طانيوس شاهين ، انني عائد الى الموت
على ايقاعات الدبكة الدموية ..

* * *

تهبط دموعي في مطار بيروت الدولي
لتقدم اوراق اعتمادها
سفيرا للعذاب العربي ، للصودا الكاوية العربية
لا ثلة من حرس الشرف
لا بساط احمر
لا باقة زهر عند سلم الطائرة . .
(غود مورننغ مستر سايكس)
(بون جور مسيوبيكو)
يدفع غضبي بقوات انزاله الصاعقة
على خليج جونيه المنفرج
كفخذي قحبة
تنتظر رجال البحرية الأميركية
(بون جور مسيو بيير)

* * *

من هناك
من كومة الصفيح ، البريزيت والطوب العاري
من مخيم تل الزعتر
تخرج امي بملاءتها الفلسطينية
لتبحث عن جثتي في حي الفنادق الفخمة
تتمشى قليلا على كورنيش بيروت
مستنشقة الهواء المطلي بدم اخوتي
تشتد حرارة القصف المركز
تهرع امي الى الظل
وما من ظل هناك سوى ظل صليبك
ما من ظل هناك ، يا طانيوس شاهين
سوى ظل صليبك
نسور لبنان تحدجنا باحتقار
من قمم شاربيك
أما وجهك النبوي فقد مال قليلا
على صدرك الكث
باشجار الارز العتيقة
تضرع امي من بين دموعها :
اما آن لهذا الفارس ان يترجل ؟ !
غير ان رجال الفلانج لا يسمعونها
في غمرة نيرانهم المنصبة على اللغة العربية
انهم يحلمون باللغة الفرنسية
ويطلقون النار بالفرنسية ..
(بون جور ايها العار !)

لم اقلها من قبل لكنني اقولها اليوم :
الجهة التي تشرق منها الشمس هي جهة الشرق!
لم اقلها من قبل لكنني اقولها اليوم !
الليل ليل والنهار نهار !
لم اقلها من قبل لكنني اقولها اليوم :
لبنان .. ارض عربية !
اما هؤلاء الحمقى
فيواصلون اطلاق نيرانهم
بالفرنسية .. طبعا !
لن اقول :
اللبناني اخو الفلسطيني
لن اقول :
المسلم اخو المسيحي
لن اقول :
تآخينا هلالا وصليبا
لكنني اقول :

الثائر اخو الثائـر !

* * *

بذقن غير حليقة
بلا حقائب ولا نقـود
يستقل جبران خليل جبران اول طائرة
ويغادر مونه عائدا الى لبنـان
لان قوادي الفلانج
يسحبون سلماه الغالية من شعرها
ليبيعوها في نوادي نيويورك الليلية
قبل ان تهبط الطائرة
على مدرج النار في مطار بيروت الدولي
يصرخ جبران من قمة العالم :
ايهـا الخونة :
لن تكون سلماي راقصة بطن في بيغال
يرسمون شارة الصليب
ويصرخ جبران من قمة العالم :
ايهـا الخونة :
لا ترسموا شارة الصليب ، فانا ابصركم
تصوبون رشاشات يوضاس
الى صـدر المسيح !

يظهر ويختفي
يتهيأ ويتلاشـى
يشتعل ويخبـو
لكنه ، على اية حال ، يظل هناك
ممتطيا جواده العربي الابيض
صائلا على فلول الجراجمة وقلاع الروم
يظل هناك ، ابدا في الابـد ..
يظهر ويختفـي
لكنه ... هنـاك !

يقرع بابي الاحمر في منتصف الليل
اصرخ من تابوتي (سجّوا جثماني ، سجّوا جثمان الحب قديما !)
اصرخ : منذا ؟ منذا يقرع بابي الاحمر في منتصف الليل
ادخـل
او فارحـل
(سجّوا جثماني ، سجّوا جثمان الحب قديما !)
لا تقرع بابي في منتصف الليل ..

ينفرج المصراعان ، تحدق في من الليل القاحل عينان
يهتز زجاج شبابيكي المعتمة ، يمور ضريحي الفاخر
تصدي بالصرخة شمعات التابوت البيض ،
تدوي الجدران :
ــ اغريق يخشى من بلل ؟
يا هذا !ادخل او فأرحل
لكن لا تقرع بابي الاحمر في منتصف الليل .
لا يدخل ، لا يرحل ..
ولذا يهجرني النوم الوادع ، يسكنني الصحو القاطع
كشفار سيوف الاجداد
واظل هناك ، جوادي الموت العالي
ممتطيا صهوته ، وعلى خاصرتي يهتز غضوبا
سيف من بين سيوف الاجداد
في كفي مقبض سيفي ، في كفي قائمة سجلت عليها
اسماء الاوغاد
يصهل جواد الياسمين ، يحمحم بالقهر
تحين من فارسه التفاتة نحو ميناء بيروت
الجراجمة يحتطبون ارز لبنان الدهري
يحملونه مراكب صهيون
وينقلونه على البحر أرماثا الى تل ابيب
حيث يشيدون هيكلا جديدا لسليمان
أما اعمدة الهيكل فأرز لبنان الدهري
اعمدة الهيكل اعمدة الحكمة المنهارة
اعمدة اللهيب والدخان ..

امرأة محلولة الشعر
تهرع من « ساحة الشهداء »
تلطم صدرها العاري المدمى
وتمد ذراعيها كحربتين نحو ميناء بيروت
حيث يحملون شهداء الارز
وينقلونهم أرماثا على البحر الى صهيون .
وعلى صخرة « الروشة »
يقف قدموس بكل محنته
يدبك دبكة المـوت
يرتجف قليلا ويقذف بنفسه الى البحر ..
لا بأس يا سمك القرش
نحن اليوم من عائلة واحدة
لا بأس عليـك !

« الاخبار » اللبنانية
٢١ شباط ١٩٧٦

معين بسيسو

الى صيدا ... الآن خذي جسدي كيساً من رمل

صيـــدا ...
الورقـة في شجر الموز تصير يدا
والنافذة تصير يدا
والجرح يصير غدا
والدم يتساقط من فمك
على القلب ندى

صيـــدا ...
يا شجرة تفاح قد صارت امرأة
تلد على الدبابات المحترقة صيدا
تلد على اسفلت الشارع صخرة
يا كيسا مـن رمل ،
يا شجرة
يا ابا موسى
خلف جهاز اللاسلكي
يا حبة قمح قد صارت سنبلة رصاص
يا صيادا يلقي الشبكة
الدبابة سمكـــة
اطفال فلسطين ولبنان
على كتفيك عصافير ...
شقوا الحوصلة واهدوك رغيفا
هذي حرب السنبلة وحرب الوردة
يا ابا خالد
شعراء فلسطين ولبنان
على كتفيك مناشير
وحليب الاطفال على فمك نوافير
وجميع الاوراق البيضاء
تنتظر اسمك
صوفر في صيدا
يا صيدا ...
الان العرب يجيئون
في اليوم الثالث او في اليوم الرابع
او في اليوم العشريـن
الان العرب يجيئون ،
فكوني الان فلسطين
صيـــدا ...
حمل الله على كتفيه اكياس الرمل
لمتراسك يا صيـــدا
يا صيدا ...
نشوي فولاذ الدبابات ونأكله

لكـن لـن نركع ابدا
في احدى زنزانات دمشق
صلاح الديـن ،
وصليبيـــون
وضبع مـن خشب
يطرق خوذة ، يطرق سيف
صلاح الديـن
نعلا للوحش الفارق في الطين
صيـــدا ....
قدماك النافذتان
ويدك الشجرة ،
الان خذي جسدي كيسا مـن رمل
واصابع كفي العشرة
عشر رصاصات
الان خذي ولدي لغما
غطيـه بترابـك
في احد شوارع صيدا
ينفجر اللغم ويعطيني ولدا
يصرخ بردى
يا بردى
الان تعالى كخيط الدم
ينسكب مـن الفم
الان تعالي [فدباباتهمو
لـن تصنع نهـرا
وجواسيسهمو ، لـن يكتب احد منهم
شـعرا ،
الان تعالي [جسدي كيس مـن رمل
في احد شوارع صوفر
او في احد شوارع صيدا
صيـــدا ...
عنقك اطول مـن كل مواسير مدافعهم
ورموشك اطول مـن كل مواسير بنادقهم
استمعي صيدا ...
خلف جهاز اللاسلكى
يصرخ بـــردى
بردى يا بردى
ننتظر بلاغك يا بردى
ننتظر بلاغك يا بردى

جريدة « بيروت »
٢٧ حزيران ١٩٧٦

معين بسيسو

اقطع كفي ...

أرسلها لك يا « تل الزعتر » برقية

« تل الزعتر »
صار جدارك للشعراء جريدة ..
والقنبلة بكفك ، تتفجر قصيدة ..
وضفائر كل نساء الارض ،
تتمنى ان تصبح علما لك ..
« تل الزعتر »
كل ينابيع فلسطين دبابيس
بشعر نسائك ..
كل شرايين الجنرالات الركع ،
فوق خرائطهم
اربطة لحذائك ...
والطائر والتمرة والسمكة ،
وجميع دواوين الشعر
تحلم ان تصبح الغاما
تحت ترابك ..

★●★

« تل الزعتر »
يا جرحا يتسع ويصبح ،
هذا الوطن الاكبر
غنيت طويلا للدالية على جبل « الكرمل »
وكتبت كثيرا للزيتونة في جبل « القسطل »
وحملتك يا غـزة
من سجن الواحات ، الى سجن « المزة »
كان العنق يذوب كشمعة
والاطفال وراء المتراس « بتل الزعتر »
في « جسر الباشا » و « النبعة »
يخترعون الشمس
والمعتقلون « بخلده » ..
يخترعون لطفل في « تل الزعتر » ،
وردة ..

★●★

كانت كف الوطن على الحائط ملصق
كان الوطن قميصي ،
فوق شراييني ،
كان الوطن معلق..
البسه يلبسني
اكتبه يكتبني
اقترب فيقتلني
يقطع كفي الوطن ويرسله للعالم
برقية ...
ويعلقني فوق الحائط ملصق
فوق شراييني كان الوطن معلق
والان ...
وذراعك ماسورة مدفع ..
والنجمة تحلم ان تصبح ،
فوق ذراعك شامة
الآن لكل حمامة
طارت من صدرك يا « تل الزعتر » ..
الان لكل فراشة
قاتلت الفولاذ على « جسر الباشا » ..
الان لتلك الشمعة
صارت اصبع بارود في النبعة
أنا اقطع كفي
ارسلها لك يا « تل الزعتر » ،
برقية .

جريدة «المحرر» البيروتية
٢٦ حزيران ١٩٦٧

معين بسيسو

وكان قرص الشمس قنبلة

يصرخ في الشياح صوت :
ـ التتار قادمون ،
تصرخ الاشجار والنوافذ المحطمه :
ـ التتار قادمون ،
يصرخ الاطفال ، كل اصبع في كفنا ،
مشط من الرصاص ،
يا صبية الصبايا ،
هذي الضفائر السوداء فوق الصدر ،
انها اصابع البارود
لن يمر من هنا التتار ،
تصرخ النجوم في فم الشياح
يصرخ الاطفال والنوافذ المحطمه ...
لا لن يمر من هنا الفاشيست ،
ان « فتحا » ، ان « فتحا » ، قادمة . . .

●

الله .. يا حديقة المقاتلين ،
كل بندقية زيتونة ،
وقرص الشمس في يد الفقير قنبله
الان علّمني الذين كانوا في انتظار ،
رأس الطفل في الشياح ،
في انتظار رأس البندقية المقاتله
علمي الذين كانوا يرسلون للشياح ،
كل ما قرأت من برقية ،
ويرسلون للتتار قنبله
بأن حائطا من التراب في الشياح ،
ان جرحا تحت حفنة من الاوراق ،
ابقى من قصورهم جميعا ،
من قصور الركع السماسره
ومن دفاتر الشيكات ، من قنابل المؤامرة

●

يا أيها الوطن ...
يا ايها القريب مثل النجم ،
مثل خيط من دم ، يسيل ،
من فم الحسين والحسن ،
الله ... هذا النهر نهرنا ،
وهذا الماء ماؤنا ،
انا الفلسطيني ، انني الدم
الذي قد سال من قلب الحسين والحسن
هذي هي الشياح ، اشعلي المصباح ،

يا زيتونة المقاتلين ،
ان الزيت من دمائنا
وهذه « نابلس » في « الشياح »
و « الشياح » في « نابلس » ،
ان الله في الشياح ، خلف ذلك المتراس ،
شاهرا سلاحه ،
يصيح : لا مساومه ...
انا المقـاومه ...
انا المقـاومه ...
انا المقـاومه ...

●

انا هنا ، انا هنـا ...
باسم النوافذ المحطمه ...
باسم الشوارع المهدمه ...
باسم الذين يرفضون ان يطرزوا اسماءهم
على سرير الانظمه ...
يمشون كالاحلام فوق جفن الارض ،
يعرفون ان البندقية ـ المجداف ـ ،
ان بئر النفط ، ليس البحر ،
ليس النهر ، ليس الشاطيء ،
الذي ترسو على مينائه ،
سفينة المقاومه ...

●

انا هنا ، انا هنا ،
والتين والزيتون والرمان ،
فوق أرضنا ،
انا هنا ، مقابر الملوك والقياصره
هذي هي الشياح ،
يا معاطف المؤامرة ...
قد تم تتويج الفقير ،
في الشوارع المحاصره ...
ملكا على البنادق المقاتله ...
ملكا على زيتونة وبرتقالة وسنبله
هذي هي الشياح ،
يا ملوك الارض ـ ايها المقاتلون ـ
يا بنادقا محشوة بالقمح ،
ان قرص الشمس في يد الفقير قنبله

« فلسطين الثورة » بيروت
٢٨ آذار ١٩٧٦

جورج ناصيف

ما سقط.. ولكن شبِّه لهم!

ايها الخلفاء العرب ، المبطوحون على بطون نسائكم وجواريكم ، المندلقون على أقفية الراقصات وهزازات الارداف السمينات شحما ولحما ، نسل الداعرات ، والداعرين منذ ان ولتكم امكم ومرضعتكم اميركا على اعناقنا ، اشباها للرجال ولا رجال ،

ايها القادة الجزيلو الوقار ، المفخمو الالقاب ، الوفيرو النعم ، المصمودون خلف مكاتبكم ، خفافا ، نظافا ، المتبخترون سحرا وغنجا ودلالا ،

ايها المتمنطقون بالسلاح ، عصابات سلب وترويع ، تزرعون الارض رصاصا ورعبا ، فلئن دعيتم الى القتال تسابقتم الى الاوكار ، ولئن بلغكم ان دارا تنهب توافدتم اليها عشرات تجر عشرات ، راكبين ، راجلين ومهرولين ،

ايتها الشلل المفرخة في كل حي ، باسم عروبة كذوب ووطنية تتعاقبون عليها ولا تشبعون ، ثم ترفعونها بيرقا ، فلا يخفى ولا يستر العورات تصفع العيون ،

اليكم جميعا ، فاعلموا :

استباحوا التل ، فلا عنق الا ومذبوح ، ولا بطن الا ومبقور ، ولا ثدي الا ومحروق ، ولا وجه الا ومدهوس ولا جسد الا ومسحول ،

اطلعوا الى الشوارع ، فقد زرع اهلونا لحومهم وغابوا ،

اطلعوا الى الشوارع ، فالارض تغص دما ، ينفر ، ينز ، ويدفق من شقوق التراب ومن رحم الشعب الشهيد ،

اطلعوا الى العراء ، فالتلّ تعرى واغتسل مجدا ، وبات مسيحا على صلبان الدنيا مرفوعا ،

اطلعوا ولا تخشوا قنصا ، ولا رصاصا ، تبركوا بالتل اباد الموت ، وفجر بئر الحياة غزيرة ، وتسقي الاجنة حتى القيامة .

اطلعوا وانهضوا بقاماتكم حتى تعاينوا وهج التل ، بقامة الريح وبهاء القديسين ،

اطلعوا ، وشرعوا رئاتكم للهواء العصوف ، فقد عبق التل ، وفاح مسكا وعنبرا من جراح اطفالنا ، مالحة كالبحر ، وسيعة كالشوق ،

اطلعوا من زمن العهر المبسوط على الصدور ، وادخلوا بالجبين العالي زمن التل ، برتقالا وخضرة وسمرة الرجال ، عشاقا للضوء وكتابا للقصائد على فوهات البنادق ،

اطلعوا فقد ولى زمن الماء ، وارتسم على وجوهنا زمن النار ،

توضأوا جميعا ، جميعا ، بالدم المسفوح كريما ، فما عاد وضوء الماء مباحا ، ولا يأمر به امام ،

توضأوا بالدم ، وامسحوا به الجبين ميرونا مقدسا ، على اسم التل العظيم ثلاثا ، وانتظموا صفوفا ، صفوفا ، تطرح كل دخيل وابن زانية ، وتقيم في الدنيا هزيجا :

يا تل ، يا عريسنا ، يا زين الشباب ،
ما سقطت ، ما سقطت ،
ولكن شبه لهم .
ما سقطت ، ما سقطت ،
ولكن نادتك فلسطين ، فارتحلت وكنت عاشقا .

« السفير » البيروتية
١٣ آب ١٩٧٦

سعدي يوسف

الساعة الأخيرة

فلسطينيةً كانت

تبدو المنائر غير ما ألف الهواء :
أهلّــة في الارض انشبت النهايات الدقيقة ..
والسلالم .. دربها الحلزون يحمل رجفة الاصوات
نحو القاع منكفئا ..
وأي مؤذن بالاختباء ، يقول :
ارملة حمامة غارنا المنسي
أرمل هجسنا
والعشب في الطرقات ارمل ..
ايها الساعون كالحيات ، جاءت ساعة الصلوات
فاختبئوا ....
وفي سجداتنا اختبئوا
وتحت نجوم من قادوكم اختبئوا
وفي الصحف التي سطرتم اختبئوا
وفي الكتب / المقاهي / المشرب / المبغى /
الاعيب السياسة / سقطة الشعراء / نادي
النخبة / البترول / ارداف النساء /
وشقة اللوطي / قاعات الفنادق / خطوة
الطاووس / مدرسة التجسس / غرفة الاعدام
في كل الذي أحببتم ...
اختبئوا ...

لئلا تبصروا وجه التي اغتصبت
وقطع جسمها قطعا
وفرّق – وهو يقطر – مالئا عشرين مقبرة ..
وآلافا من الثكنات
مرفوعا على الارماح حين يُدرّب الفرسان
مرفوعا على راياتنا العشرين
مرفوعا على الالواح قرب مدارس الطيران
منقوشا بكل رصاصة قتلت فتى منا
وكل حجارة ، في كل دار حولت سجنا
أقول :

لأجلها اختبئوا

وخوف بهائها اختبئوا
وخوف معادها اختبئوا
فلسطينية كانت
وصارت لعبة دوارة في ساحة العشرين .

تل الزعتر

تحشرج طفلة في المخبأ – الخيمة
وتأكل ثديها ..
وتقاسم الأمة .

تلفزيون

يتحدث عن تل الزعتر
ويغني للفتيات الشبقات
وللغلمان بحانات النهر

مجنّــد

لم يؤسر في حرب طبقية
او حرب أخرى
لكن جُزئت ناصيته

دولــة

مذ سمعت آخر صوت في تل الزعتر
دخلت في مصرفها
دخلت .. لكن لم تخرج حتى الآن .

المدينــة

يسقط تل الزعتر
في جرعات العرق الثلجي
وينهض تل الزعتر
في الشبق الباحث عن شقة عاهرة
في آخــرة الليل .

أشخاص

بدلا من رايات الثورة
رفعوا رايات ذكورتهم .

رقيم بابليّ

تحت الأسوار ولدنا
وعلى الأسوار نموت
لم نعرف في بابل
غير القتل لأجل القوت

الأســئلة

للقادم من تل الزعتر منخوبا بالزخات
للمتلثم في الليل العربي .. ضماد الأموات
للقادم من نهر البارد
والقادم من ايلول العام السادس والسبعين
للمتقدم قائمة القتلى
للناشر البسة الاطفال المذبوحين
للباحث عن عذراء فلسطين
للصوت الصارخ في البرية
للمُطعم غدارته لحم ذراعيه :
نقدم هذا الحمأ المسنون
نقدم بلدانا عارية الا من بدلات جاهزة
ونشيدا للمنتصرين على أطفال الله
وناعورا من دم هذا الشعب
وقنبلة للاسماك
ورايات تتغير كل ثلاث سنين ..

عمّ يسائلنا هذا الصوت الصارخ في البرية ؟
عم يسائلنا القادم من تل الزعتر ؟
والقادم من نهر البارد ؟
والقادم من أيلول ؟
عم يسائلنا الصوت الباحث عن عذراء فلسطين ؟
أو لم نعرف بعضا ؟
أو لم نولم لطيور الأردن لحوم « الوحدات »
وأطفال الزرقاء ؟
أو لم نأكل فوق جسوم القتلى خبزهمو مرشوشا
بالمـــاء ؟

أو لم نجلس في قاعة مشرحة حول فلسطين ؟
أو ما مزقنا جثتها . مزقا ؟
لنسلمها :

واحدة ، واحدة ، واحدة ، واحدة ، واحدة
واحدة ، واحدة ، واحدة ، واحدة ، واحدة
واحدة ، واحدة ، واحدة ، واحدة ، واحدة
واحدة ، واحدة ، واحدة ، واحدة ، واحدة ؟

أو لم نعرف بعضا ؟
حسنا ...
واذن ...
عم يسائلنا هذا الصوت الصارخ في البرية ؟
عم يسائلنا القادم من تل الزعتر ؟
عم يسائلنا الصوت الباحث عن عذراء فلسطين ؟

هاجـس

لكأنني ألقى الحقيقة في يدي .. بســيطة كالعشب : أمتنــا تشيخ . وبــين مكاتب الحكـام والعقــــداء تفقــد آخر أرضها : القبــر المهيــأ . أمــة بعثت ولــكن منذ آلاف السنين . وما الذي يأتي ؟ الشرارة قد تجيء . وليس بعد الموت من موت . وآخر أرضنا : القبر المهيأ كان عنــد التل .. والحكام والعقــــداء ينتظرون ساعتها الأخيرة .

بغداد ١٩٧٦/٨/٢٠

محمد الاسعد

يوميات في بيروت الغربية

الاهداء : الى مقاتلي القوات الفلسطينية واللبنانية المشتركة .

— ١ —

مملكة ظامئةٌ
توّجني الصمتُ
ايتها الاجراسُ
من ادخلَ الليلَ الى قنبي ؟

— ٢ —

اتحدثُ عن وجهٍ آخر للارضِ
تغيب الشمس بـه
نـولدُ
لا نبصر غير غياب الشمس
ونمو بين الاشواك
فلا نبصر غير غياب الشمس
نمـوتُ
وليس سوى شفقٍ ينطفيء
تموت الشمس
ويبدأ حلمُ الاطفال الموتى

— ٣ —

رأيتك قادما ما بين آونة واخرى
يا صديقي
هل خرجنا ذات يومٍ
لم نرَ الايـام بعدُ . .
ترى نغادرُ
نشتهي .. ؟
مدنٌ ندجّنها
نخبيء صوتها
نبكـي ..

— ٤ —

في جسدي الواقف
استيقظ للعتمة والاجراس
اقول ليأت حبيبي ذو الفاكهـة
الليلية
والقمر الصيفي
ليأت النصف الاول من صـوت
حبيبي
وليبق النصف الاخر مصلوبا
في هيئة طيرٍ مسحولٍ
يتردد بين سنين حبيبي

— ٥ —

ترافقني الارض
شعبا من الطيريخلع سلطانه
في البكور وفي الغبشِ الطحلبي
تفاجئني بالممالك
نهـرٌ هنـا
او فضاء يمارس ايمانـهُ
شجرٌ للسؤالِ
عواصم ينقسم الخلق فيها
فنصف يبايعني
ونصف يقاتلني

— ٦ —

سـنبدأُ
حشد من الرمل والزهر والطرقات
القديمة يبدأ فينا
نقيم كنائس للجسد المستفيق
فيأوى الضباب اليها
وتأوي الحقول المبادة
نوصي بما اودعتنا العصور مـن
الشمرِ الجاهلي
لحشدٍ من النسوة الوثنيات
نموتُ على العشب والطرقات
وترحل عنا طيورٌ

— ٧ —

وقالوا لكـم
من اقام له جسدا لا يدجّنهُ
موتا يموتْ
اقـول لكـم
من اقام له جسدا لا يناقضهُ
موتا يموتْ
وقالـوا لكـم
في تقاويمهِ الازليةِ كلٌ سنعطيه
ديناره
ثم تنظرون حسابا بما تثمرونْ
اقـول لكـم
في تقاويمهـم تخلقـون دنانير
للمتخمينْ
وبين الخرائب تحتضرونْ
وقالـوا لكـم
دولة اول الابجدية
ثـم أزهارٌ
فمجـدٌ
فطوبى لمن يحملون كتاب القبيلة
اقـول لكـم
اول الابجدية شمسٌ
فمنفـى
فسـجنٌ
فطوبى لمن رافق الشمس بـين
الغرائبِ
يبحث عن شبحٍ للطفولةْ
وقالـوا لكـم
لن يكون طريقا سوى ما يؤلف بين
القلوبْ
اقـول لكـم
لن يكون طريقـا
سوى ما يقاسمكم شهوة البـوح
والدمّ
حول لسانٍ من الدمّ يصرخُ بين
القرى والبيوتْ

لساحلك الآن تأتي الطيور

لهذي السماء بياض الحجارِ
لهذا الخضار نشيجٌ
لصوتك دهشته :
اين ترحل هذى الدماءُ
متى يوقظُ الاحمرُ الاخضرَ

المستحيلُ ؟
لساحل الان تأتي الطيور
القواقــعُ
يبني الفضاءُ ممالكهُ
لسانك الان اجراسه
صمته الابدي
فأنت الذي لا يعود
وانت الذي تأخذ الارض في وجهه
طفلها البربريّ الجميل

* * *

اقلتَ بأنك تأتي ؟
تبايع شعبا من الغيمِ
تحشد في مدن للطفولة
شمســـا
كواكب مهملةً
قلت يأتي زمان الوصولْ
وتفتح اسوارها
مدن الله والعشب
يخرج من عتمات الازقة سيل من
الفقراء
قــادمٌ
ذاهــبٌ
جــارحٌ
في قرار الفصول

* * *

سأذكر هذا التشرد
تحت السماء الخفيضة
تحت السقوف الظليلة
بين المقاهي
وفي غرف تتكدس فيها
سنينٌ من الوحلِ والدم
نبحث عن وطن ماتَ
أو وطنٍ لا يموتْ
سأذكرُ انا خلعنا سلاطينهم
نحن فاتحة الارض
نملك هذا الحنينَ
وهذا التوهجَ
والانفجارْ
ونملكُ آيتنا الوثنيةَ
ذا دمنا فليكن وطنــا
ذا حبنا فليكن حطبا
للبيوت

* * *

اتذكــرُ .. ؟
للموتِ ايقاعهُ
هنا أو هناكْ
وانت المعاصرُ في فمكَ الثمرُ
البابليُّ
ــ بماذا يملّح لو فسد الملحُ ؟
آه على الفقراء يبادون
والقادةُ الهاربونْ
ضيوف لاعدائهم
آهِ من وطن لا يناقضه البرق
لا يجاسده البرق
لا يتحول
لا يشتهي أن يكون

* * *

لهذى السماء التماع الدموع
لهذا الخضار نشيج الضحايا
وفي مقلتيك نداء الطيور البعيدة
شعب من الغيم يبدأ تكوينه
سحب في البراري
يبايعها الغرباء
مدائن للذة الاجنبية
تقاتل اطفالها

* * *

سأذكر ظلاً لزيتونةغادرتها الحمائم
نهرا من الشجن الاخضـــر الان
يرحل نحو البلاد
سأذكر شعبا يقاتل كل العواصم
بين الحريق وبين الحريق
يقيم لاطفاله وطنا
وتفتح اسرارها
مدن الله والعشب
يخرج من عتمات الازقـــة
سيل من الفقراء
اقلت بانك تأتي ؟
لصوتك طعم الصدى
قادمٌ
ذاهــبٌ
جــارحٌ
في قرار الفصول

جمال الفلسطينيّ يتحدث عــن ملح الأرض

لغرفتهِ الجانبية رائحة الماء والتبغ
لون الدهاليز
القتامُ
الرطوبةُ
لغط الذين يمرون
او يضمحلون في الليل
تحت النــوافذ . .
كنت اواجهه في حوار طويل
واتركه
يتجول بين القرى
والسرير
واحلم اني رأيت الذي لا يرى
وقاسمته الخبز والظــل بــين
البيوت
ضحكنا سويا مع النسوة القرويات
دخلنا سويا نضاجع امرأة
او نعابث اخرى
احدق فيــه
واسلبه
ذكريات الحقول التي نام فيها
وجوه النساء التي يشتهيها
أنصبه ملكا أو اميرا
ارافقـــه
حين يخلع عن كاهليه الرداء الممزق
بعد نهــارِ
من العمل المستميت بصـــبغ
العمارات
يطويه تحت الوساد
ويصغي
الى حمحماتٍ
دروبٍ
توهج مملكةٍ لا ترى

* * *

وحين يقوم الى الشاي كنت ارى
وجهه جانبيا
كعصفورةٍ في البراري
يميل على الكلمــاتِ
يفتش عــن حبةٍ
او يراقب شيئا يحس به في مكان
ــ رحلت الى الناس
ثــم رجعــتُ
وكان الزمانْ
زمان الجلود وتبييض آنية الناس
نأكل حين نجوع
ونضحــك ..
آهِ من الفقر
نادمت شعبا من الفقراء

يحشش بعد النهار
ويأخذ كل بضاعته في النهار
ندور هنا او هناك
وعند الغروب يوحدنا الليل
والانذهال
أتعلم .. ؟
ان اخي من يشاركني خبزتي
قهوتي ..

* * *

ويرشف من كوبه
يستدير
لعينيه غمغمة العشب
اسمر
اخضر
ذا بشرة وثنية
وبين يديه فضا يحاول امساكه
احاول امساكه
واحلم اني ابادله طائر العمر
افتح شباكه كي يهب
واسأله
أأحببت .. ؟
يضحك ..
ذات نهار

تفتح نهر اغان بعيني
حين عملت لدى سادة وتركت
التجول
كانت تطل علي
فأبكي من الشوق
ثم اشد عيوني الى الارض ..
ماذا تفكر يمتلك الفقراء
بقاع عواصمنا الاجنبية ؟

* * *

عملت ببيروت ماسح احذية
وعامل مقهى
بعمان في زمن للتموج والدم
قاتلت سمسارها الملكي
وفتشت عن لقمتي بعد أيلول
كنت صغيرا
احاول فك الرموز
واعرف ان الغني يسد امامك
ابوابه
ويرسل شرطته والكلاب وراءك
اعرف ان الفقير يؤاخي عذابك
اعرف ان المعادن انقى
اذا غورت في التراب
وان البلاد التي خلعتنا
هي الحلم
لا نشتهي

او نحب من القلب
او ننتهي
في سواها

* * *

ويصمت
في الغرفة الجانبية
اصمت
بين القتام
الرطوبة
رائحة الماء والتبغ
لغط الذين يعودون في الليل او
يضمحلون
تحت النوافذ
بين القرى
انصبه ملكا او اميرا
ارافقه
حين يخلع عن كاهليه الرداء
الممزق
يطويه تحت الوساد
ويصغي
الى حمحمات
دروب
توهج مملكة لاترى

نيسان ١٩٧٦

محمد الفيتوري

ويا بطولات تل الزعتر احتشدي

لا تقطف الحزن .. لا تحرق حصاد غد   واصعد على الجرح فوق الجرح يتقد
واقذف بهم في دجى التاريخ إن لهم   على يديك سقوطا سقطة الابد
باعوك من قبل في عمان ، واحتفلوا   في عرس ايلول بالمسنود والسند
واليوم في صفقة الجولان ويلهم   يحاولون ابتياع الشمس بالوتد
اليوم يأتون زحفا غازيا غرقت   عيونه أمس في مستنقع نكد
يأتون كي يقتلوا طفلا وأرملة   وخيمة تحت عصف الريح لم تكد
يأتون والدم في عرنين سيدهم   سيل من الحقد ، او سيل من الحسد
ليقصفوك بصاروخ وقنبلة   ويجعلوك صليب الكوخ يا ولدي
فلم تعد بعد طفلا يعبثون به   اذا حبا ، أو كبا ، أو مد بعض يد
غدوت شعبا بحجم الارض ثورته   وحجم حزنك في التاريخ لم يرد
غدوت هذا الذي يمتد مشتعلا   عبر الممالك والاسوار والرصد
عبر العواصم والاجزاء يلحمها   براحتيه ، ويسقيها دم الكبد
غدت فلسطين انسانا وخارطة   وامة .. لا شعوبا جمة العدد
فليقتلوك اذن .. فليقتلوك ، لقد   رأيت رؤياك .. لا تكبر ولا تزد
وامطري يا بروق الطائفية (م)   فالارض التي هاجرت في القحط لم تعد
تلك الجريمة .. أدري ..! أنهم صنعوا   مخالبا لكلاب الزينة الجدد
تلك الجريمة .. لا رحمان يغفرها   الا رصاصك بين الرأس والجسد
الا انتصارك جبارا ومنتقما   وساحقا كل موصوم الجبين صدي
يا من ارى وجهه قوسا .. وقامته   قدسا .. ويمناه فوق النار لم تحد
وقفت في لهب المأساة متفردا   انت الذي في أساه غير منفرد
وقفت واتخذ الاموات قعدتهم   في حضن مستعمر ، او حجر مضطهد
تمد كفيك متراسا وقاذفة   ويا بطولات تل الزعتر احتشدي
هذا قرارك .. لا موت ولا زمن ..   ولا تردد امس ، وانهيار غد
هذا قرارك .. ان البحر حيث مشى   فليس يخسر الا رغوة الزبد
والطائفي الذي استقوى بسادته   كلب" .. وإن ألبسوه فروة الأسد

★●★

ويحسبون دمشقا وهي مفضية   على الاذى .. انها ارتاحت على الرغد
وانها ترفت أيامها .. وهوت   مغصوبة المجد ، او مسلوبة الرشد
دمشق .. لا يا دمشق البعث انت سوى   تلك السبية لم تحبل ولم تلد
دمشق حاضنة الاجيال في دمها القدسي   (م) غير سرايا حافظ الاسد
دمشقنا نحن يا لبنان آتية   تقاتل الآن في ثوارك الجدد

« الثورة » البغدادية
واذاعات عربية مختلفة

صلاح الدين البيطار

المسيحيون والمسلمون

لا يمكن ادراك اصل الازمة اللبنانية ، في واقعها العميق ، الا انطلاقا من مقاربة قومية عربية يبدو لي مهما ان استخلص معالمها الجوهرية ، عشية ٢٣ أيلول :

- استقلال لبنان وسيادته اللذان اقرهما التوافق عام ١٩٤٣ بين الطرفين ، المسلم والمسيحي ، المدعوين للتعايش في هذا البلد . ان لبنان ، في واقعه التاريخي والجغرافي ، جزء لا يتجزأ من الوطن العربي .

- القضية الفلسطينية هي أصل أزمة الشرق الاوسط . فالجميع ، بما في ذلك الدولتان الكبريان ، يقرون ذلك . والبعد العربي في هذه المشكلة هو ، من جهة اخرى ، بعد جوهري . واخيرا ، فان على لبنان ان يتحمل ــ طبعا في اطار احترام سيادته واستقلاله ــ نصيبه من المسؤولية في النضال المشترك ضد العدوان الاسرائيلي . وقد استطاع لبنان ، ما ظلت هذه الحقائق مقبولة على هذا النحو ، ان يحافظ على استقراره وازدهاره . ولكن الرجوع الى هذه الحقائق قد اصبح اكثر فأكثر افلاطونيا وشكليا ، مما ادى الى تدهور للوضع مستمر وخطير .

واسباب هذا التدهور ترجع في وقت واحد الى خارج البلد والى داخله . فلبنان ما كف يوما عن ان يكون موضع مطامع ملتهبة ، وقد شكل ، منذ عام ١٨٦٠ ، ارضا خصبة للمؤامرات التي كانت تهدف الى اذكاء نار التناقضات الطائفية . وما يحدث اليوم في لبنان ، انما هو تكرار لما حصل عام ١٩٥٨ ، ولكن على درجة ارفع من الشراسة والفظاعة والنفاق .

ومعلوم ان ثورة قد حصلت في تلك الفترة في لبنان ضد سلطة رئيس العهد كميل شمعون . ومن حسن الحظ ان الجيش اللبناني استطاع آنذاك ان يشكل الملاذ المؤاتي والاخير . وقد كان على رأسه قائد وطني هو الجنرال شهاب ، المسيحي الماروني ، واللبناني العربي الذي نجح ، وهو يوفر على جيشه الانحياز الى احد الفريقين ، ان يكسب احترام جميع الطوائف اللبنانية . وحين انتخب رئيسا للجمهورية ، تصرف كرجل سياسي واقعي ، ولم يتردد في ان يمد يده الى الرئيس عبدالناصر الذي كان يعرف تأثيره على الجموع الشعبية اللبنانية . وفي ذلك الاطار ، استطاع لبنان ان يسترد وحدته واستقراره وازدهاره .

ولكن هذه الانتفاضة لم تدم طويلا مع الاسف ، ونشأت التيارات المرتكسة التي اخذت تتأكل الانسجام الوطني والتي يشكل وجودها السبب الثاني ــ السبب الداخلي ــ للكوارث اللبنانية . وقد تمكنت هذه التيارات من التغلب ، وبلغت انتفاضات القوى المرتكسة ذروتها غداة حرب حزيران ١٩٦٧

ووجدت التعددية اللبنانية نفسها وهي مهددة شيئا فشيئا بتصدعات مقلقة لم يتأخر الصهاينة في استغلالها ، وجراهم على ذلك انتصارهم .. الم يكن بن غوريون يحلم ، منذ عام ١٩٥٤ ، في رسالة أصبحت اليوم معروفة كان قد وجهها الى موسى شاريت (رئيس الوزارة آنذاك) ، بخلق دولة مارونية مزروعة على خاصرة لبنان ؟

ومن يبذر وينمي ريح الايديولوجيات الطائفية ، فانما يحصد عاصفة الحرب الاهلية . على ان الساسة اللبنانيين ، بالرغم من هذا التفاقم المقلق للاخطار الطائفية ، ظلوا منصرفين الى مبارزاتهم السياسية البارعة والى ترك طفيليات الاتجارية ومحاباة الاقارب والاستزلام تكتسح دروب السلطة وممراتها . وعلى ممر الاشهر وانتشار التواطؤات البرلمانية والوزارية ، اعتاد فريق على اعتبار نفسه مارونيا قبل ان يكون لبنانيا مسيحيا ، واعتاد فريق آخر على اعتبار نفسه سنيا او شيعيا قبل ان يوكد نفسه لبنانيا مسلما . وهكذا اخذت حبكة النسيج الوطني اللبناني ، التي كانت قد توثقت واشتدت في عهد الانتفاضة الشهابية ، تضعف وتسترخي على نحو خطير .

وانطلاقا من هذه الوقائع ، يحسن تحليل الآفات الاخرى التي ضربت هذا البلد الذي يحتضر اليوم .

ينبغي التحدث اولا عن التدخل غير المحتمل للانظمة العربية التي منهجت تقليدا قديما قام على جعل لبنان ، خلال الفترة التي سبقت الحرب الاهلية ، الارض المفضلة لصراعاتها . والحرب الباردة المقنعة التي اقاموها أخيرا اعتمدت مع الاسف على القوى اللبنانية . فمولوا الاحزاب والصحف ، وحولوا المسرح السياسي الى ادغال لحفلات الصيد المحروسة ولمناطق النفوذ ، وافادوا من قبل الدولة اللبنانية من وداعة وتسامح بلغ من شأنهما ان معظم التشكيلات المنتسبة الى ما اتفق

السياسي كل حيويته على أعراض التطرف الماروني . تنسجم كثيرا مع هذا التدخل . وقد اضفى الجــو السياسي كل حيويته على اعراض التطرف الماروني .

ولا بد لمعالجة هذه المسألة التي تشكل العامـــل الاساسي للصراع اللبناني من اقامة تمييز واضح جدا بين المسيحيين الموارنة وبين اولئك الذين ينبغي ان نسميهم « الموارنة المسيحيين » لان ذلك اكثر انطباقا على الواقع .

ليس ثمة من ينكر اهمية الدور الــذي لعبــه المسيحيون الموارنة في المجتمع اللبناني . وذلك راجع الى الظروف التاريخية . واقتناعا مني بهذا الواقع ، وحرصا مني على الا اظلم المستقبل ، لابد من التنبه الى بعض اقــوال البطرك الماروني خريش ورئيس حزب الكتائب ، بيار الجميل . والواقع انهما يشيران الى حالة «الذهان» التي استولت على الطائفة المارونية ، ولكنهما يعترفــان كذلك بتفاقم التفاوت الاجتماعي والتصرفات التمييزية التي ادت في قلب الطوائف الاسلامية، الى المرارة والحقد. ويمكن القول ان الكتائب لا تمثل التطرف ولا الانعزالية المارونيــة .

وبالمقابل ، فان « الموارنة المسيحيين » يستمدون نظرتهم من منابع اكثر ريبة وشبهة . انهــم يعتمدون ايديولوجية طائفية مارونية ، وقد غدوا شكلا من الوطنية المارونية الكارهة للاجانب والمناهضة للعروبة مناهضــة شرسة . فهم لا يريدون فحسب طرح مشكلة الوجود الفلسطيني ، بل يعملون كذلك على « نزع صفة العروبة » عن لبنان . والمسؤولية الاساسية للتصعيد الدموي انما تعزى اليهم الى حد بعيد . وممـــا يشهد ، بشكــل مأساوي ، على تعصبهم الوان المذابح والابادة التي رافقت معارك تل الزعتر وسواها . وهدفهم المعلن هو حصــر لبنان في خيار لا يمكن الدفاع عنه : اما ان يبقى لبنــان موحدا في اطار صيغة انعزالية ، لا عربية ، بل حتــى مناهضة للعروبة ، واما الانفجار ، والتقسيم بتأسيس « دولة مارونية » .

والاحكام المتباينة التي صدرت عن ثلاثة زعمــاء رئيسيين ، حول هذه النقطة ذات مغزى : كمال جنبلاط ، رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي ، وريمون أده ، وهو وجه هام من وجوه الطائفة المارونية ، وياسر عرفــات الذي يدين ، باسم المقاومة الفلسطينية « الموارنة الذين يريدون خلق اسرائيل ثانية في قلب الامة العربية »

والحق ان المسألة المطروحة بالوجود الفلسطيني تشكل العامل الذي بلور العداوات . وهذا يتطلب بعض التوضيح . فالفلسطينيون لم يتجمعوا ، على هذا النحو الكثيف ، في لبنان ، الا بعد مجازر « ايلول الاســود » الاردني عام ١٩٧٠ . والقادة السوريون لم يكونوا راغبين بهم قط ، بل انهم اغروهم باللجوء الى لبنان . ووجودهم في لبنان الذي أملته الضرورة لا غاية له الا حاجتهم الى ارض يلوذون بها ، ومنها يستطيعون الاستمرار فــي التوجه الى الضمير العالمي والنضال من اجل تحريــر وطنهم . وليست لديهم نية بان يبيعوا وطنهم بذهــب الدنيا كله ، وليس فقط بذهب العالم العربي ، وهــم يطالبون بان يعاملوا ، على الاقل ، كما عوملت الثــورة الجزائرية في تونس .

ومن باطل الكلام وصفهم بأنهم « عملاء التخريب العالمي » . فالنضال الفلسطيني الذي اعترف المجتمع الدولي بشرعيته اليوم ، بعد أعوام كثيرة من العــداء والصمت ، يفترض اشكالا من التنظيم الشعبي والعسكري المستقلين . والحال ان الفلسطينيين ، ازاء خصومهــم الذين يرفضون مبدأ حضورهم المسلح بالذات في لبنان ، لم يكسبوا تأييدا حقيقيا الا من جانب القوى التقدمية وحدها . على ان زعماءهم لا ينون يؤكدون ان وجودهم في لبنان لا يمكن ان يعتبر الا موقتا . ولقاءاتهم مع جميع ممثلي الطائفية المارونية كانت محورة دائما على هــذه الفكرة الجوهرية . واخيرا ، ومن غير ان نتجاهل وقوع أخطاء يمكن ان يكون قد ارتكبها ، بين حين وحين ، بعض فصائل المقاومة او زعمائها ، كيف لا تؤخذ بعين الاعتبار الحالة النفسية والروحية للفلسطينيين الذين يراودهم شبح محاولة جديدة للتصفية ، كما كان الحــال في الاردن ؟

ان الحرب الاهلية ، بين وقف غير محترم لاطلاق النار ، وهدنة مخروقة ، تتفاقم يوما فيوما ، زارعــة الموت والخراب ، معمقة الفجوة بين الطوائف اللبنانية ، ومضاعفة مخاطر التهاب عام في المنطقة كلها ، مع مــرور الاسابيع .

فأي حل اذن ، يمكن ان يتوقع او يؤمل ؟

ان الزمن يلعب ، كما يظهر ، لصالح « المتطرفين » في قلب الطائفة المارونية . وكــل حــادث جديد يقــوي سيطرتهم على شركائهم الاخرين . وان بعض المسيحيين الموارنة الذين جرّوا في هذه المغامرة ، يوشكون في هذه الظروف ، أن يصبحوا ، وعلى نحو لا يمكن علاجــه ، أسرى او رهائن الجناح الانعزالي المتطرف الذي يصدم سكره المرعب اليوم اكثر الاوساط السياسية الاوروبية اعتدالا . وانا مع ذلك مقتنع بأن معظم المسيحيين الموارنة سيرفضون ان ينساقوا حتى النهاية في الدرب الخطــر الذي ما فتيء « المتطرفون » يتشبثون في سلوكه .

وان تدخل الجيش السوري لا يمكن في اية حال ، ان يحل الازمة اللبنانية ، وانما يمكن ان تسهم حملــة سلام يقودها عمل مشترك لدول الجامعة العربيـــة في اعادة الوئام الى لبنان منهك محتضر ، ولكنه مصمم على ان يعمل على خلق مجتمع عربي ديموقراطي علماني في ظل احترام استقلاله والحفاظ على وحدة ارضــه وسيادته . وهذا يفترض ، بالطبع ، أن تحدد ، باتفاق مشترك ، شــروط الوجــود الفلسطيني الذي لا يمكن

ان يعاد من جديد طرح مبدئه على النقاش ، في اي حـال من الأحوال .

ان مختلف اشكال « اللامركزة » ـ وهو تلميح لا يمكن ان ينخدع الناس بنوايا اصحابه ـ او « الاتحاد الفدرالي » تحت ظل الدبابات او المصفحات ، لا تستطيع الاسهام في مصالحة اللبنانيين فيما بينهم . بل الامر على عكس ذلك تماما .

ان النظام السوري ، بعد هجومه العسـكري ، ووحشية غاراته على الحركة الوطنية التقدمية اللبنانية وعلى المقاومة الفلسطينية ، وصرامة حصاره المفروض على المدن وعلى المعسكرات التي تتعرض لقصف لا ينقطع ـ ان هذا النظام المتورط في المستنقع اللبناني لا يمكن بعد الان ان يخدع احدا . والحق ان سادة السلطة في دمشق لا يمكن أن يتجاهلوا ان كل عمل يهدف الى التخلص من الفلسطينيين ليس هو عملا اجراميا فقط ، وانما هو كذلك مرصود للاخفاق ، مهما طال الزمن .

يبقى عدد من التساؤلات المشروعة والمعذبة : كيف استطاعت سوريا ، قلب العروبة النابض ، أن تبلغ هذا المبلغ من الجحود ؟ كيف سيقت ، وهي الوحدويـة في اعمق اعماقها ، الى قبول التحالف مع قوى انعزالية الى حدود العدوانية ؟ وكيف استطاع النظام الحاكم في دمشق ان يضلل البلاد في طريق معاكس الى هذا الحد لتقاليده ورسالته ؟

ان الجواب يكمن في طبيعة السلطة نفسهـا في سوريا . سلطة معزولة ، مقطوعة عن الشعب ، خانقة لكل حياة سياسية ديمقراطية وقومية على نحـو صحيح . ولئن شوهت سوريا هذا التشويه المثل التي كانت تلتزم بها وخانت رسالتها القومية العربيـة ، فانما ينبغي التماس اسباب ذلك في أجهزة السلطة الحاكمة بلا منازع في دمشـق .

ان اي نظام عربي ـ وخاصة النظام السـوري ـ لا يستطيع ، بغير المساندة الشعبية التي لا غنى عنها ، في ساعة الاختيارات الحاسمة المتعلقة بالنزاع الذي يتأكل « المشرق العربي » منذ ثمان وعشرين سنة ـ لا يستطيع الا ان يختار « المقامرة » والهرب الى امام في المشاريـع والتحالفات الاكثر جنونا وحماقة .

وانسحاب الجيش السوري من لبنان يمكن ان يكون اليوم مقدمة الحل للمأساة اللبنانيـة الفلسطينية . وان شعبنا والقضية الفلسطينية وقضايا الحرية والعروبة ، هي كلها ستحقق الكسب من ذلك .

جريدة « لوموند » الفرنسية
٢١ ايلول ١٩٧٦
ترجمة « الآداب »

حسب الشيخ جعفر

وطن اسمه بيروت

لا اهجرها ، المهجورة في اسمال الصيف بلا بحـر او أصباغ ، لا أهجرها ، الحسناء النازفة المتقيحـة الثكلى .. بل يهجرها المتآمرك تحت عباءته ، المصطك الركبة لا من هلع في جبة أبن نصير ، يهجرها المصطـاف المنتفخ الجنبين ، اقبل جبهتها واقول :

صباح الارصفة المحروثة

اطفالا شهداء ، صباح القنبلة المفتضـة في اعراس النبعة والميناء ، صباح عيون الرضع صـارخة تحت الانقاض ، صباح الوردة تطلع فوق رماد مخيم جسـر الباشـا ،

نازفة في عري

الروح الصافية العربية ،

نازفة في عري

الغدر الفاقع ،

آخر ما قالت نجد في غار اخضر ،

آخر ما قالت يافا :

طفل مذبوح يخرج من

بيروت يقول لكم : كونوا حطبا تبقوا .. !

طفل مذبوح يخرج من بيروت :

صباح الوردة

تطلع فوق رماد مخيم جسر الباشا ، نازفة فـي وجبة افطار الاشباح ، تلطخ باقات السهر البيضـاء ، تلطخ اربطة العنق البيضاء ، وتقطر فوق سجائرهـم بيروت اكف تقطع عند الرسغ وتلقى في المتوسط ، اعين اطفال لا تبصر الا حملقة الام المشنوقة ، ساحات لا تسمع غير خطى الموتى ، بيروت النازفة المتورمة ، البدوية حتى العظم تقول :

صباح الخير..

لعيني طفل يصحو في تل الزعتر .

« الثورة » البغدادية
٣ آب ١٩٧٦

يوسف العاني

تل الزعتر

ومؤتمر المسرح العربي بدمشق ..

ـ امس بلغ عدد القتلى ٥٠٠ قتيل ! وقبل ثلاثة أيام كانت الجثث في الشوارع والجرحى بلا دواء !

واليوم تتصاعد حدة القتال والقذائف تتساقط بعشوائية على البيوت ومن فيها ـ ان بقي فيها بشر ! ـ والايام تمر وفي كل مدينة في الشمال والجنوب، في السهل والجبل من لبنان تنهال عليها القذائف من القوات الانعزالية ومن جيش حكام سوريا ..!

الايام تمر و « تل الزعتر » محاصر تتساقط عليه الحمم من افواه المدافع على بعد عدة كيلو مترات عن دمشق ! وقوى الخير كلها تستنكر هذا الموقف .

عفوا ..!

فاتني ان اقول ان « مؤتمرا» يناقش « مشاكل المسرح العربي » يعقد ، الان .. ـ الان ـ .. وأرجو أن تعيد ـ قراءة كلمة « الان » .. اكثر من مرة ..

والمؤتمر سبق وعقد عام ١٩٧٣ ولابد وان تتم لقاءات اخرى واخرى لمناقشة « بنود » قرارات المؤتمر !

الان ـ وقبل قليل ـ اذاعت الانباء وصفا «مأسويا» لمجزرة ارتكبها الانعزاليون راح ضحيتها مئات من النساء والاطفال والشيوخ .

الآن اذاعت الانباء ان الدبابات والمصفحات التابعة لحكام دمشق قصفت مواقع القوى الوطنية في ظرابلس وصيدا ..

الآن اذاعت الانباء ان قائد جسر الباشا قد اعدم هو وزوجته !

الآن يضرب « تل الزعتر » ، تضرب القوة العربية التي تتحصن فيه كذخيرة لضرب العدو الصهيوني .

والان يعقد المؤتمر المسرحي بدمشق لمناقشة قراراته ودراسة توصياته السابقة ! قضايا هامة جدا وذات قيمة جدا ، ولكن متى ؟

الآن ؟

ليت مسارح دمشق تستعيد اليوم بعض ما قدم على خشبتها من مسرحيات لفرق عربية وتتذكر كيف كان الحماس حارا من أجل ان يكون المسرح العربي في خدمة قضيته ! من اجل ان يكون لفلسطين «مسرح» .. لا أن تكون فلسطين ـ والفلسطينيون ـ عناصر مسرحية لمسرح تعاد فيه مآسي يوربيدوس واسخيلوس ، وفق تخطيط واساليب جديدة تقف والفن الانساني على طرفي نقيض !

قبل أيام قصفت صوفر ، واليوم يقصف مخيم « البارد » ، القصف يجري على مختلف الساحات .

ومسرح دمشق كم احتضن بالامس من مسرحيات خيرة ليكون لكل مسرحية منها دور متقدم ، ليكون لها أثر في توعية المشاهد واثارة يقظته بما يجري حوله من تآمر وجر قوى الخير العربية الى مأزق ومزالق تفتت وحدة قواه الوطنية ..

كل مسرحية كان لها دور بالقدر الذي توحي به.. (الحصار) ، « الطوفان » ، « ضمير المتكلم » .. ومسرحيات من لبنان والجزائر .. ومسرحيات سورية « حفلة من أجل ٥ حزيران » .

كان ذلك يجري بروح الفنان الملتزم الواعي .. والآن ؟

ماذا يجري على الساحة اللبنانية في ارض عربية زاهية ؟ .

اي فم هذا الذي لم يمتليء بالدم وهو يجلس على طاولة المؤتمر المسرحي بدمشق ؟ واية كلمة سينطق بها ويقولها فنان من فناني المسرح العربي ، فتخرج بلا دم ينفجر على حساب تمثيل مسرحية « رهيبة » لم يشهدها تاريخ المسرح ، فصولا كالفصول التي تؤدى وتمثل احداثها الآن في لبنان .. وفي (تل الزعتر)بتركيز دقيق ؟

من يتجرأ ـ الآن ـ ومن يعينه ضميره وانسانيته على هذه الجرأة ، ليناقش الفقرة الاولى من توصيات المؤتمر :

« متابعة الحركة المسرحية العربية في الوطن العربى وتنسيق توثيقها » ..

(تل الزعتر) هذه المسرحية الاسطورية البطلة ، يصد الهجمات ما بعد الخمسين .. انه يحاصر ويستعر ويقاتل ويقاوم ويهاجم !

أية مسألة من قضايا الضمير النقي ، يمكن ان تجد مكانها في مناقشة « قضية » غير هذه القضية مسرحية « تل الزعتر » ، الابرياء الذين يقتلون ، والضحايا الذين يتساقطون ، والتدخل الذي حمى اليمين الرجعي لكي يؤدي دوره كاملا ..

لماذا تمثل هذه المأساة الرهيبة ؟ ولماذا لا يناقشها المسرحيون في مؤتمرهم .. وتعلن الآراء صريحة واضحة بلا التواء ..

الآن وليس في اي وقت آخر ..

اما الفقرة الخامسة من توصيات المؤتمر المسرحي:

« تسهيل التبادل الفني بين الفرق العربية ودعمه وتنسيقه » فيمكن ان تؤجل هي وكل الفقرات الاخرى ..وتظل المسرحية الاسطورة « تل الزعتر » هي الموضوع الرئيس وهي القضية الرئيسة وهي الراية الخفاقة التى لن تسخر من كل ما يقال في مؤتمرات لا قيمة لها الآن البتة .

« الجمهورية » البغدادية
١٣ تموز ١٩٧٦

شفيق الكمالي

أيا عجباً للشام ..!

ذريني امج النار من خافقي شعرا
فلن يمنع الطوفان ان يوصد المجرى

ذريني افجر اضلعي بالذي بها
من الثأر ، ان الغيظ يملؤني قهرا

ذريني فليل العار لم يبق فرحة
ترف على بغداد في ليلة الذكرى

وعذرا اذا ما الحر فجر دمعة
بيوم أردنا فيه ان نزدهي فخرا

واي افتخار للكمي .. واهله
تثار .. وداء الغدر في ارضه استشرى

واي هناء والردى يزحم الردى
شواظا وسوح الموت اخبارها تترى

★●★

أرى وطن الاحرار في كل ضحوة
على مدية الجزار تنحره .. نحرا

وتطحن أرتال الحديد غطارفا
أردناهمو للثأر من غاصب ذخرا

ويرمضني ان الذي راع امتي
وانشب في أثدائها الناب والظفرا

دعي على قومي ، وليس عدوهم
ولكنه من كل اعدائهم اضرى

★●★

بني وطني هذي الدماء عزيزة
وافجع منها انها هدرت هدرا

بني وطني ما هان مجرى دمائكم
علينا فان القلب مضطرم جمرا

ولو كان ما بين العراق وبينكم
حدود أعاد أقحمت خيلنا قسرا

ولكنه مجرى دم آخر لنا
فلله من مجرى يقود الى مجرى

★●★

لك الويل من مستنفر كل جبنه
على أهله حاشاهمو كرموا قدرا

فما ولدت من حرة يعربية
كهذا الذي يقتات من لحمها مرا

على اهله اضحى هزبراً يروعهم
وقد كان في الجولان من هلع فأرا

فيا ويحه طاغ يدل بخزيه
ويحسب ان العار يمنحه نصرا

واسرى بأشباه الرجال مفاخرا
فيا بئس ما أقنى ويا بئس ما أسرى

★●★

أيا عجبا للشام كيف تحولت
مفاخرها شتما وشيمتها نكرا

أبعد الجباه الشم والبيرق الذي
أضاء رحاب الكون لألأؤه دهرا

تسود رعاديد وتعلو زعانف
ولا فضل الا أنها اتقنت دورا

تدوس على التاريخ جذلى يقودها
عميل لطعن العرب مستأجر مفرى

ويا عجبا من ثالم عرض قومه
ويشمخ مختالا ويشمت مفترا

وأدهش من قلب الحقائق عندهم
فيمسي غراب البين في عرفهم صقرا

وما كنت ادري ان في الشام زمرة
شعوبية الاهواء لولا الذي مرا

مخاليق من سقط المتاع تأمرت
فكرت مخازيها على ارضنا كرا

تساقيك معسول الكلام وحشوها
نفوس لفرط الخبث مكلوبة تضرى

على انه طبع المخانيث مزمن
يمدّ لك اليمنى ويرديك باليسرى

★●★

أيا أهلنا بالشام حتام نومكم
رخاء وعرض الشام منتهك جهرا

ويا أهلنـا بالشـام كيف احتمـالكم
وكنتم لقهـر البغي اعجلنـا .. طـرا

وكنتـم مشب النـار في كل وقعـة
تحيلون شوط الخيل من حنـق جمرا

فهل جف ضـرع المجـد في ارض جلق؟
وكانت ولود الخيـل والعسـكر المجرى

لئن أجـدبت ارض يعوض جدبهـا
ربيـع على الشطين يحتضن الغبـرا

ولكن جـدبا بالرجال يحيلهـا
بلاقـع لا تـرجى ولو أمطـرت دهرا

تطـاق رحى الايـام مهمـا تقلبت
ولكن حمل العـار يستنزف العمرا

★●★

أبـا هيثـم والخيـل تعلك لجمهـا
فمـد لهـا كفـا فقـد أرهقت صبرا

وانك أدرى بالـذي يدفـع الاذى
وليس كمثـل الشـر ما يدفع الشـرا

وانت الذي خضت المعـارك ظـافرا
وأنت بمـا تقضي مقـاديرها أدرى

وانت الذي علمتنـا أن نخوضهـا
اذا هابت الابطـال وامتـلأوا ذعـرا

هي الخيـل ان لـزت وثـار عجاجها
تجـد انها الفجر الذي يصنـع الفجـرا

يقولون ان الحـرب وعـر ركوبهـا
ولـكن رأيت الحـرب أسلسها ظهـرا

وهل يضمـن الانسـان أيـام عمـره
وهل يملـك الانسـان من أمـره أمرا

★●★

وحقـك ما يلوى عنـان اصيـلة
أصيـل عن المضمـار .. أو يجد العذرا

فلو أزمت يوما وضج ضجيجهـا
ونادى مناديهـا فقد ندب البكـرا

وتدرك .. لا ترجـو ثـواب دراكهـا
ولكنها الاخـلاق والشيمة الغـرا

فان لم يكن عن مورد الشـر مهرب
فان ركـوب الهـول أهونهـا شـرا

★●★

اضىء دربهـا تمـوز ، فالليـل مطبـق
وان كنـت في بغـداد ينبوعهـا الثـرا

اضـأناك ، كـان الليـل اسحم داجيـا
وكان بشـير البعـث يملؤهـا كبـرا

وبينـا رقـاب الناس تلـوى ، وعينهـم
تراقب بحـر الموت من هلـع شـزرا

حملنـا ، وكـان البعث يحدو جموعنـا
وخضنـا بمـا أوحـاه ثورتنـا الكبرى

زحمنـا طـريق المجـد نرقـى حزومـه
وقـد كان قبل البعث مستوحشا قفـرا

ليوثـا نضـت ثوب المـذلـة وارتضـت
دروب النضـال المـر والمسـلك الوعـرا

ودرب تنـامى المـوت حـول شـعابـه
سلكنـاه ، لا فضـلا أردنـا ولا اجـرا

اذا صوبت قـوم الينـا سـهامهـا
بغـدر ، بترنـا كف رائشـهـا بتـرا

وانا ليستعصي على الجهل حلمنـا
وانا لنستعلي على الفعلـة النكـرا

اذا ما الريـاح الهـوج سـد عجاجهـا
عن الناس عين الشمس ، نزجره زجـرا

★●★

طلعنـا على الدنيـا بغـراء كالضحى
فلمـا استوت القت سـتائرها خضـرا

فضوء داجيهـا ، واعشـب قفرهـا
وأخصب فيها المحل ، وامتلأت بشـرا

سـلام على تمـوز ما ضـاء والتظى
سـلام على بغـداد ما امتـلأت فخـرا

سـلام على البعث العظيم تقـوده
رجال سروا والمجـد كان لهم مسـرى

« الجمهورية » البغدادية

١٨ تموز ١٩٧٦

طاهر عبدالكريم

المهمة الوحيدة الشريفة

التسلح باقصى درجات الحذر واليقظة ، والتعرف الدقيق على الاصدقاء والاعداء شرطان من أهم شروط النصر في المعارك المصيرية .

ومعركة الحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية هي معركة مصيرية بكل معنى الكلمة بالنسبة لمستقبل الوطن العربي كله، ولانها كذلك فانها ذلك النوع من المعارك الذي يكشف بوضوح حقيقة مختلف القوى والمواقف ، ومن هنا ايضا فان العديد من القوى والاوساط العربية المعادية بحكم مصالحها وارتباطاتها وسياساتها لمضمون معركة الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية تناور بأكثر من اسلوب لكي تخفي حقيقة موقفها ، بعضها تورط في موقف يائس فرفع العصا وراح يضرب على رأس حركة المقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية ويصرخ في وجه معارضيه بانه انما يضرب شعبنا اللبناني والفلسطيني دفاعا عن مصالح شعبنا اللبناني والفلسطيني ، البعض الاخر لم يكلف نفسه عناء رفع يده لمنع الضربات المتهاوية على رأس شعبنا اللبناني والفلسطيني ، أو كسر العصا التي تضرب ، وانما فقط راح يرفع عقيرته محتجاً على الضاربين ، وفي مقابل هذا الاحتجاج يطلب من حركة المقاومة الفلسطينية ان تسلم له قيادها حتى يصحبها معه في مسيرته الى احضان الامبريالية الامبركية ، وحتى تصبح معه طرفا في الوفاق الاميركي ـ الصهيوني ـ اليميني العربي.. وبطبيعة الحال فان لذلك شروطا يعلنها هذا البعض في سفور: ان تسارع منظمة التحرير (بتطهير) نفسها من الداخل وان تقضي على ما اسماه هؤلاء ((الحماة)) بالعمالة ومحاولات التفجير من الداخل والتي تزايدت بشكل خطير في هذه الاونة . أي ان تتوقف حركة المقاومة عن القتال ضد الذين يريدون ذبحها من الانعزاليين وحكام دمشق ، وان تتفرغ لقتال داخلي حتى تقضي على تلك القوى والاتجاهات في داخل حركة المقاومة التى لا تتفق وامزجة فرسان اليمين العربي واصدقائهم في واشنطن وتل ابيب .

* * *

ان معركة الحركة الوطنية اللبنانية وحركة المقاومة الفلسطينية هي معركة ضد موجة من الطائفية الفاشية يراد لها ان تنجح في لبنان حتى تمتد الى الوطن العربي فتمزقه وتصفي قدرته على التصدي لمخطط الهيمنة الامبريالية الاميركية .. والذين فتحوا ابوابا واسعة لعودة النفوذ الامبريالي الاميركي الى المنطقة لا يمكن بأي حال أن يكونوا ((حماة)) لحركة المقاومة الفلسطينية ولا اصدقاء للنضال الوطني الديمقراطي اللبناني في نضالها ضد الهجمة الطائفية العنصرية .

والمعركة في لبنان هي معركة ضد تصفية القضية الفلسطينية وضد تكريس الاغتصاب الصهيوني لفلسطين .. والذين يطالبون منظمة التحرير بالتخلي عن نضالها من اجل تحرير فلسطين ، وبالتنازل عن مسؤوليتها عن الاراضي الفلسطينية المحتلة للنظام الاردني حتى يتولى هو عقد صفقة مع المحتلين .. واولئك الذين يعلنون استعدادهم لانهاء حالة الحرب رسميا مع العدو وهو لا يزال يحتل اراضيهم .. اولئك لا يمكن ابدا ان يكونوا ((حماة)) لحركة المقاومة الفلسطينية ولا دعاة لاسترداد حقوق الشعب الفلسطيني .

والمعركة في لبنان هي في التحليل النهائي معركة ضد التسوية الاميركية الصهيونية التي جوهرها تصفية القوى الوطنية والتقدمية العربية المناهضة للامبريالية والصهيونية والرجعية ، والتي تستهدف فرض الهيمنة الثلاثية : الاميركية ـ الصهيونية ـ اليمينية العربية على الوطن العربي باسره .

بين هذين الموقفين : الضاربون مدعين انهم يضربون الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية دفاعا عن الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية، واولئك الذين ينتهزون الفرصة ليغسلوا أيديهم من المسؤولية عن ذلك الذي يحدث في لبنان ، وفي نفس الوقت لايقدمون سوى الكلمات مطالبين في مقابلها بثمن باهظ .. ما مدى قدرة الحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية على الصمود ؟

عشية اعلان ما سمي بالمبادرة السورية في الثاني والعشرين من كانون الثاني الماضي كانت القوات المشتركة قد حققت تفوقا عسكريا هاما حينما استولت على معاقل الانعزاليين في منطقة الفنادق ، وطردتهم من مواقعهم في الدامور والجية والسعديات .

وحينما اندلعت حرب الجبل في اذار الماضي بدا واضحا ان القوات المشتركة الوطنية اللبنانية والفلسطينية قادرة على تمزيق اوصال الدولة الانعزالية التي كان يجري رسم حدودها .

وجاء التدخل العسكري السوري المكشوف ـ فقد كان هناك تدخل عسكري سوري سابقا تحت ستار منظمة الصاعقة ـ في بداية حزيران الماضي ليضع القوات المشتركة الوطنية اللبنانية والفلسطينية في مواجهة : حوالي ثلاثين الف جندي سوري ومئات من الدبابات والاليات والمدفعية وقاذفات للصواريخ ، وحوالي عشرة الاف يشكلون القوة العسكرية الضاربة لحزب الكتائب الانعزالي ، وخمسة الاف يشكلون ما تبقى من ميليشيا النمور التابعة لكميل شمعون ، ومثلهم من المسلحين التابعين لما يسمى بحراس الارز ، وحوالي عشرة الاف جندي من الجيش اللبناني تمردوا خلف قائدهم الانعزالي العقيد انطوان بركات . أي ما مجموعه ٦٠ الف مقاتل خطوط امداداتهم بالعتاد والذخيرة والمؤن مفتوحة من سورية والكيان الصهيوني ومن مخازن الجيش الاميركي في المانيا الغربية .

ومع ذلك : لم تستطع دبابات واليات النظام السوري انتتقدم بعد صوفر على اثر المذبحة التي تعرضت لها هذه الدبابات والاليات حينما حاولت التقدم نحو بحمدون . وليس صحيحا ما قاله حافظ الاسد في خطابه يوم ٢٠ من تموز انه اصدر اوامره بعدم التقدم نحو بيروت . فكل المراسلين الذين زاروا المنطقة كتبوا لصحفهم او لوكالات الانباء والاذاعات التى يراسلونها يصفون الدبابات والاليات التابعة لنظام دمشق وهى محترقة او معطوبة على الطريق بين صوفر وبحمدون .

وكانت هناك انباء عن ضباط سوريين في قطاع صوفر رفضوا اوامر بالتحرك بعد هذه المذبحة .

وكانت هناك المحاولات المتعددة لاحتلال صيدا بواسطة لواء مدرع سوري كامل . وتوقفت هذه المحاولات بعد ان تحطمت على أبواب صيدا حوالي ثلاثين دبابة والية مدرعة واسر معظم افراد طواقمها جنودا وضباطا .

لقد كانت لتلك الهزيمة ردود فعل سيئة للغاية سواء في اوساط الجيش العربي السوري ، أو في اوساط المواطنين السوريين ،مما اضطر حافظ اسد ان يختلق قصة مضحكة لتفسير هذه الهزيمة لا يمكن لاكثر العقول سذاجة ان يقبلها ، فقد زعم في خطابه الاخير ان مفرزة انفصلت عن ذلك اللواء المدرع ودخلت صيدا فخرج اهلها رجالا ونساء واطفالا يستقبلون تلك المفرزة بالغناء والورود ، ونزل ضباط وجنود هذه المفرزة لمعانقة الجماهير التي احتشدت لاستقبالهم وهنا انطلق ما سماه رصاص الغدر على المفرزة وجنودها وضباطها !!

لقد رأى المراسلون العرب والاجانب موقع المعركة على الطبيعة وشاهدوا اثار المعركة في العديد من اليات اللواء المدرع الغازي ، وشرح الرائد احمد بوتاري قائد جيش لبنان العربي في منطقة الجنوب لهؤلاء المراسلين خطة الكمين الذي اعده للواء السوري ، وتحدث بعض الاسرى من الجنود السوريين للمراسلين ولم يذكروا ابدا اي شيء عن الاهازيج والورود التي تحدث عنها حافظ اسد .

اننا بطبيعة الحال لا نقلل من كفاءة افراد الجيش العربي السوري ، ولكننا بالتأكيد ندرك مدى التمزق الذي يعانيه الضابط والجندي في الجيش العربي السوري حينما تصدر اليه الاوامر بالتحرك ضد قوات عربية وطنية بدلا من التحرك ضد القوات الصهيونية التي تحتل الجولان. وندرك مدى الازمة النفسية والذهنية التي يعانيها هؤلاء الضباط والجنود وهم يواجهون الاختيار الصعب: التحرك الكريه ضد اشقائهم او المحاكمة الميدانية والاعدام.

❊ ❊ ❊

ولكن اسطورة الصمود الحقيقية هي تلك التي يصنعها مخيم تل الزعتر .. فهذا المخيم الذي يعتبر من اكبر المخيمات الفلسطينية (٤٠ ألفا) ، هو في نفس الوقت اكثرها تعاسة وفقرا واكثرها حرمانا من أبسط الخدمات ومن ادنى مقومات الحياة الانسانية .

فحينما بدأ النزوح من الجليل بعد اغتصاب فلسطين عام ١٩٤٨ اختارت السلطات اللبنانية موقع مخيم تل الزعتر بعناية : من ناحية ان يكون في منطقة المصانع حتى يكون مستودعا هائلا لايد عاملة فلسطينية رخيصة لاتتمتع بأية حماية او ضمانات قانونية (كان اجر العامل الفلسطيني في تل الزعتر ٥ ليرات يوميا في الحد الاقصى، واجر العاملة ٣ ليرات في الحد الاقصى ليوم عمل يصل الى عشر ساعات) ، وبحيث يكون المخيم في نفس الوقت في موقع استراتيجي يسهل على قوات السلطة اللبنانية ان تسيطر عليه في حال تمرد سكانه على صنوف القهر المفروضة عليهم .

فالمخيم يقع على سفح مكشوف لمرتفعات تكاد تطبق عليه في شبه دائرة وفي قمة هذه المرتفعات مواقع سكنية للبرجوازية الانعزالية ، وهي المواقع التي تتمركز فيها حاليا القوات الانعزالية التي تحاصر المخيم وتشن عليه الهجمات المتكررة يوميا .

ومنذ سنوات كانت قيادة المقاومة تعتبر مخيم تل الزعتر ساقطا من الناحية العسكرية ، اولا بسبب موقعه داخل المناطق الانعزالية حيث يسهل حصاره ، وثانيا لموقعه في أسفل المرتفعات دون اية عوامل طبيعية يمكن أن يتحصن فيها المدافعون عن المخيم ..

رغم ذلك، ورغم ان هذا المخيم يتعرض لحصار تمويني منذ اكثر من ثمانية اشهر ، ويتعرض للحصار العسكري وللقصف المكثف من جانب مدفعية الانعزاليين ومدفعية حكام دمشق ، فانه استطاع ان يحطم اكثر من ستين هجوما في شهر واحد ، بمعدل هجومين كل يوم ، وسجل المدافعون عنه بذلك اسطورة في الصمود تستحق أعمق انحناءات الاجلال والاكبار .. وجعلوا من هذا المخيم آية فذة ستبقى خالدة في تاريخ الحرب الشعبية على النطاقين العربي والعالمي .

وتبقى الدلالة السياسية لصمود مقاتلي تل الزعتر ، وهي ان الحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية لديهما القدرة الفعلية على الانتصار وعلى خلق لبنان جديد وطني ديمقراطي وعلى اقامة دولة نضالية تحررية تمرست في حرب وطنية وشعبية قاسية على خطوط المواجهة مع العدو الصهيوني لاول مرة .. وهذا بالفعل ما يفزع العدو الصهيوني ، ويفزع الاوساط الساعية الى التصالح والتعايش معه .. وهذا هو الدافع الحقيقي للتدخل العسكري السوري في لبنان ، وهو الدافع الحقيقي للدعم المعلن والمستتر الذي تقدمه بعض الانظمة العربية للتدخل السوري وللقوى الانعزالية.



ولان المعركة في لبنان من جانب المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية هي في جوهرها معركة في خط امامي لحماية الوطن العربي من الهيمنة الاميركية ـ الصهيونية ـ اليمينية العربية ، فان الذين اخذوا على عاتقهم مهمة قمعها انما اختاروا في الواقع لانفسهم مهمة غير شريفة وغير مشرفة ، مهمة لا تضعهم وحسب في صفوف اعداء القضية الفلسطينية والقوى الوطنية في لبنان ، ولكنها وبنفس القدر تضعهم في صفوف اعداء شعوبهم .

الذين تصدوا لقمع هذه المعركة بالحديد والنار في دمشق بدأوا يواجهون المتاعب الداخلية ، لذلك جاء خطاب حافظ اسد رئيس نظام دمشق في العشرين من تموز محاولة بائسة لتبرير نيرانه التي يصبها على مخيمات الشعب الفلسطيني وعلى المواقع الوطنية اللبنانية .

انه في مطلع خطابه يعترف بأن هناك موقفا شعبيا رافضا لتدخله في لبنان ، وان كان يحاول ان يعطي ذلك تفسيرا اخر فيقول : « هناك من يأتي من الخارج ليتسلل الى صفوفنا بالداخل يقولون ما لنا ولاحداث لبنان » .

هذا هو دائما منطق الحكام الذين يتخذون قرارات ضد ارادة شعوبهم ، وحينما يواجهون بمعارضة شعبية لقراراتهم يصيحون بان هذا من فعل متسللين من الخارج .

ولو كانت المسألة مسألة متسللين من الخارج لما اضطر حافظ أسد ان يحشو خطابه بعشرات من الاكاذيب الصارخة محاولا بها تبرير موقفه ، ولكن هذه الاكاذيب اليائسة دليل على ان احدا من ابناء الشعب العربي في سورية لم يعد يقبل ان تستمر هذه المهزلة.

الا انه لا ينبغي ان نتوقع ان حافظ اسد سيسارع الى سحب قواته من لبنان لمجرد انه يجد نفسه في هذا الموقف التعيس سياسيا .

الذين يذكرون التورط الاميركي في فيتنام يذكرون انه كلما كانت العزلة محليا ودوليا تضيق الخناق على السياسات الاميركية في فيتنام كانت الولايات المتحدة تصعد عدوانها برا وبحرا وجوا في محاولة لانهاء الحرب لصالحها بأسرع ما يمكن، ولكنها اضطرت فقط للانسحاب من فيتنام حينما بدأت تعاني الهزيمة الشاملة على ارض المعركة .

ان اركان نظام دمشق على ما يبدو لم يعوا من الدرس الاميركي في فيتنام الا جانبا واحدا .. ذلك هو تصعيد التدخل والعدوان على أمل انهاء الحرب لصالحهم بسرعة كلما تصاعدت المعارضة الداخلية والخارجية لعدوانهم .

ذلك لا يمنع انهم سيلجأون في نفس الوقت لمختلف انواع المناورات والتكتيكات المخادعة على امل تخدير المعارضة وايقاع الاضطراب في صفوف القوات المشتركة .

من هنا كانت ضرورة الحذر ضد اية اوهام .. فالنظام السوري لن يسحب قواته من لبنان الا اذا اجبرته الهزيمة على ذلك .. والحاق الهزيمة بقوات نظام دمشق المعتدية في لبنان هو المهمة الوحيدة الشريفة والمشرفة التي يجب أن تتجمع من اجل انجازها جهود كل المعنيين بالتصدي للموجة الطائفية الانعزالية ، والمعنيين بدحر الهجمة الامبريالية ـ الصهيونية ـ اليمينية العربية ، والمناضلين من اجل انتصار الثورة الوطنية الديمقراطية في الوطن العربي .

« الثورة » البغدادية
١١ آب ١٩٧٦

فريدة الشوباشي

تل الزعتر

انتهى عبدالحليم حافظ من اغنية حب فاشل .. بعد موسيقى قصيرة ، نشرة انباء . المذيع يلتزم في ادائه « الموضوعية » فلا تتغير نبرة صوته وهو يقرأ انباء تطور القتال بتل الزعتر .. غصة خفيفة في قلبي تمحو اثارها خفة دم عادل امام وانا اتابع تمثيلية كوميدية له بالتلفزيون .. ذهبت للنوم بفراشي النظيف الوثير .. نسيت كيف كانت نومتي من قبل ... آه .. كان أشد ما يؤلمني قلة الغطاء شتاء .. كنت اتدفأ بأجسام اخوتي .. احيانا كان البرد اقسى من دفء اجسامنا ... ظللت طويلا احلم بالخبز للجميع واحلم ايضا بالغطاء للجميع .. نبض قلبي لفلسطين .. عدت لتل الزعتر .. ضايقني حياد المذيع .. مددت يدي اتلهى باخبار متناثرة في مجلة مرحة ، ضحكت من رسم كاريكاتوري .. نمت شهرا ... طالعتني مصادفة انباء تل الزعتر .. مذابح .. مقاومة .. بطولة .. بسالة .. فاشية .. يسار .. يمين .. نساء تبقر بطونها .. تستنجد بالمسيح .. قالوا لهن انه يقف هناك .. على الطرف الاخر .. الاصوات والكلمات تتداخل . سرت رجفة في عظامي وانا اتساءل على بعد الاف الاميال . من المخيم .. اين يقف المسيح ؟ كان مثلهم ، يتدفأ في لحم امه في بيت لحم .. مات بردا عندما صلبوه بعيدا عنها .. ظهرت صوره بالتلفزيون كومة جثث لاطفال كان يمكن ان يلتفوا حول المسيح ... يتدفأون فوق الصليب .. يذيبون صلب مسامير يديه .. لم يتيحوا لهم الفرصة .. كومة ساكنة لا تستطيع حراكا .. لا تسمع ولا ترى .. الشماتة والتشفي او .. الاستنكار والعطف .. او .. الثورة والرغبة في الثار : لم يعد شيء يعني الكومة الساكنة. اصبح امرها يعني الآخرين . يجب دفن اكوام اللحم خوفا من انتشار الاوبئة .. وربما ايضا لحرمة الاموات .. هل المسيح يقف على الطرف الآخر حقا ؟ قد يأتي يصحبهم الى حيث دفن هو نفسه .. سمعت انه مثلهم ممنوع من دخول بيت لحم .. بل ومن فلسطين ! حضرت اجتماعا لتأييد مقاتلي تل الزعتر والاشادة ببطولتهم .. فرغت الكلمات من مضمونها والصور تتوالى .. رؤوس فصلت عن اجسادها ... عجوز بين حطام كوخه الصغير يبصق علينا نحن المشاهدين .. عصام او عادل او عمر ملقى في بحر دمائه .. يده تقبض بقوة على بندقيته .. يحتضنها .. يوصي بالرفق بها .. خرجت من الاجتماع ومطارق تدق رأسي .. ترقرقت دمعة في عيني .. قلت لصديقي : « أريد ان انسى . لنذهب الى بار الشيراتون . ونأخذ كأسين . » عدت اضحك مع الاصدقاء الملتفين حول البار .. حمدا لله .. نسيت تل الزعتر وغابت صوره عن عيني .. نمت نوما هادئا لمدة اسبوع ... صحوت على عنوان صحيفة .. لا يزال المقاتلون يقاومون ببسالة .. دفاعا عني ! ! بكيت بصوت عال . رجال المخيم يبكون بدورهم علي .. خرجت الى الشارع . رحت أشكو للنيل .. سألته من يبكي على من ؟ ..

صمت النيل كعادته الازلية .. ادار صفحته وطلب مني توجيه سؤالي لمن يتكلمون .. الناس تسير على ضفتيه .. في ايديهم لب وترمس .. واحيانا لا شيء .. البعض يتكلم والاخر لا ينصت . صرخت صرخة مدوية .. تل الزعتر .. تطلع المارة الي بدهشة . ابتسم نفر من جنوني ومنحني آخر نظرة اشفاق .. قال لي ابي :

ــ ضربني جند الامن وكسروا ذراعي .. اشتركت في الاضراب ..

المشكلة قطع المرتب حتى تشفى ذراعه .. بكت امي .. علا نحيبها . وصبي البقال يسألها دفع دين الشهر الماضي .. كانت دموع امرأة . الرصاص اقسى من صوت صبي البقال .. المخيم جزيرة محاطة بوحوش ضارية . وقفت طبيبة امام الات التصوير .. قالت بنبرة حاسمة : « سنقاوم وننتصر » . اخذت احلل الكلمات التي طالما طربت لقراءتها في سريري المريح.. س .. ن .. قا .. و .. م اي سنرد رصاص المعتدين بصدورنا .. وس . ن . ن .. ت . ص . ر .. ستفنى الرصاصات ونبقى .. أطمأن قلبي .. حاولت النوم .. لم انجح .. شربت كأسا واثنتين . هرب نومي مع طلقات البنادق .. جريت نحو الحبوب المهدئة .. نمت حتى الصباح .. عدت اتطلع الى وجه المدينة .. العثور على مقعد بالاتوبيس يشبه الحرب الصغيرة .. تعقبت رجلا يعدو للحاق بالباص ــ اسمع .. تل الزعتر . رفع يده يطالبني بالكف عن الكلام دون ان يستدير .. قد .. قد يتمخض اجتماع الجامعة العربية هذه المرة عن شيء اكبر من الفأر .. رائحة الخيانة تزكم انفي .. رائحة البارود تسد حلقي ... رائحة بولي وانا اتسمر في مكاني تشبه رائحة الخيانة ــ كل الروائح تتشابه وتجثم على صدري . رأيت نفسي في عيون كثيرة حولي لم تعد الخمر تشفيها .. كسرت ذراع ابي وكسر عنقه .. تحسست عنقي في هلع ــ شعرت بغثيان قاتل .

الطريق الى لبنان محفوف بالمخاطر .. تتزحلق سيارات المسؤولين في الدماء التي تغرق الطرق .. يا تل الزعتر ــ يا تل الزعتر .. اجبني بحق السماء .. اجبني قبل ان يخفت صوتك المؤرق .. كيف السبيل اليك ؟

اني اتزحلق في بولي ودمائك ــ فكيف السبيل اليك ؟

باريس ١٤ آب ١٩٧٦

زهير هواري

تل الزعتر.. أيها الوطن المصلوب

تل الزعتر ! ايها الوطن المصلوب على خشبة الفريسين من الداخل والخارج .

تل الزعتر ! ايها الوطن المنتظر .. نحميك باهدابنا ونجعل من حبات عيوننا متاريس للدفاع عنك .

تل الزعتر ! يا وطن الفقراء والمعذبين ! يا وطن الذين لا وطن لهم ! ووطن الغرباء في وطنهم اللاجئين الى المخيمات رغما عن بطاقة الهوية !

* * *

تل الزعتر يا حلم الرجال ، ويا شجرة السنديان التى نمت فى ارض الجليل وبيارات الارض المقدسة ، وضربات جذورها عميقا في صدورنا ، في اعماق اعماقنا ، في ارض الجنوب .

تل الزعتر ! ايتها السنديانة الصامدة في وجه الاعاصير المتمردة على زمجرة رياح الشتاء والهمجية .

تل الزعتر ! ايها المسيح المصلوب !

تل الكرامة ومصنع الرجال !

تل الزعتر ايها النبي المقاتل !

تل البطولة والسواعد المتشابكة والجبهات المعقودة على النصر !

* * *

تل الزعتر ! نحن لم نزل على العهد ، لم نعد بعد خدما في كبريهات بيروت الموقرة ، بعد ان حملنا السلاح ، سلاح الثورة ولن نصير يا تل الزعتر ساقين في مقاهي واشنطن ولاس فيغاس او مونتى كارلو .

نساؤنا يا تل الزعتر لم تزل النساء الفلسطينيات واللبنانيات اللاتي لم يسمعن بمستحضرات التجميل واحدث المبتكرات العصرية ولا يجدن احاديث الصالونات المخملية . نساء لن يتحولن الى بائعات هوى على ضفاف بردى الدامعة .

تل الزعتر ايها المستقبل !

لا زلت اذكر فيك ذلك الطفل الصغير ، كان حافي القدمين ينتظر مدرب الاشبال فى ساحة مملوءة بالرمال والفقر والاطفال ايضا . كانت عيناه واسعتين كالسماء ، وملامحه واضحة كالقمر فى مطلع الشهر يحمل في يده بندقية من الخشب . كان فضوليا كبقية الاطفال .

يعرف بعضا من تاريخ فلسطين .

سألته : كم ثورة هناك في الوطن العربي ؟

قال : ــ ثلاث :

فلسطين وظفار وارتيريا ...

لقد نسي صديقي الصغير ثورتنا في لبنان ، لانه يعيشها ، يشاهدها بام عينيه لقد نفذت الى عظامه بعد ان اخترقت الجلد . اما اللحم فلا تتحدث عنه لانه ليس موجودا .

ولماذا تتدرب يا فلان ؟؟..

لقد نسيت اسمه .. مع انني احببت فيه كل ما فيه ... فقره ، اصراره ، لمعات عينيه اللتين تشعان بالتحدي .

اجابني بابتسامة الطفل : ــ اتدرب لاقاتل الصهاينة والكتائب .

هذا الطفل قد كبر الان ، مع انني شاهدته في الشهر الثالث من القتال في لبنان ، لقد سجل فى قائمة الاسباب التى تدعوه لاجادة استعمال السلاح (الدفاع عن المخيم ضد ذئاب قاسيون) .

* * *

والنقيب عثمان من منكم يعرفه ؟

بالتأكيد ، لا احد يعرفه . لانكم لم تزوروا المخيم قبل ذلك . .. النقيب عثمان من ابوين فلسطينيين . حصل على التوجيهية ودخل المدرسة الحربية حيث اصبح ضابطا في جيش التحرير ، قاتل في سيناء والجولان حتى حط به المقام في لبنان للدفاع عن المخيم .

النقيب عثمان ، ايها الافاضل ، دخل الجامعة وبدأ يدرس التاريخ عندما انفجر القتال . كان يقوم بدوره القتالي ، وفي اوقات راحته كان يتناول كتابه المقرر عليه في السنة النهائية ويقرأ ..

ايها السادة ، النقيب عثمان منذ وقت طويل لم يعد يقرأ لا كتب التاريخ القديم ولا كتب التاريخ الحديث . تسالونني : لماذا ؟ فأجيب : لان النقيب عثمان صنع بدمه تاريخنا . هذه هي قصته باختصار .

وام محمد ، امرأة فلسطينية فقيرة كبقية الفلسطينيين واللبنانيين الذين يقطنون في المخيم . تحصل على بعض المساعدات التي كانت تقدمها (الاونروا) . ام محمد هذه لها ابن يدرس في الجامعة وزوجها متوف . ام محمد تبيع الترمس والتشيكلس على ابواب براكيتها . والبراكية هي عبارة عن الواح من التنك تسمى بيتا .

في حرب تشرين ، ذهب محمد للقتال في الجبهة ، فقمنا يومها بنصب كمائن حول المخيم للدفاع عنه ضد ذئاب الصهاينة من الداخل ، والتي تحولت بقدرة قادرة الى عروبية اكثر منا لان المقياس تغير وهو السجود على اعتاب السلطان . ام محمد هذه كانت كل ليلة تسهر معنا ــ حتى الصباح تحضر لنا القهوة بالفناجين التي يشرب فيها الفلاحون ، القهوة المرة . كانت تحكي لنا كثيرا عن فلسطين . بالتأكيد هى تعرفها او تعرف قريتها على الاقل .

وكانت تحدثنا عن « سمن الغنم » و « الزعتر في فلسطين » و « البرتقال » وغير ذلك من طعام الفقراء الذين لا يعرفون لا الهمبرغر ولا السجق ولا الهوت دوغز . ام محمد ماتت ، هذا ما علمته من احد الاصدقاء . لم تمت ام محمد على الفراش بل قضت بقذيفة بينما كانت تسرع لالتقاط جريح اصيب بالرصاص على مقربة من احد الملاجيء الذي تقيم فيه ام محمد مع ٤٥ الف مواطن ومواطنة من ستة اشهر بالتمام والكمال ، لا ترى النور الا في النهار ولا ترى حتى المياه ، لان المياه والكهرباء مقطوعة . ولكن اذا كان الانسان يعيش من دون الكهرباء فكيف يفعل اذا قطعت المياه ؟

تعرفون شجرة الصبار التي تنمو في الصحراء وكيف انها تختزن مياه الشتاء في اوراقها المطلية بالشمع لتتغذى بها صيفا وتطرح تمرا وزهرا . ام محمد كشجرة الصبار بالضبط ، هذا ما كانت تفعله . لكن وكما تعلمون جيدا شوك الصبار قاس ومذاقه مر . وهكذا اللحم اللبناني ـ الفلسطيني في تل الزعتر . ولابد لمن يريد الوصول اليه من ان يدفع الثمن اضعافا مضاعفة .

على قبر صلاح‌الدين وقف احد الفرسان الصليبيين نجا من معركة حطين قائلا : ها قد عدنا يا صلاح الدين ! عدنا ولكن من خلال ابنائك لن نخسر بعد الان لا فارسا ولا رجلا ، فقد جاء الصليبيون الان بالحطة والعقال .

وصرخت امرأة من جسر الباشا قتل الانعزاليون زوجها وفلذات اكبادها وشاهدت دماءهم وهم يتخبطون بها بام عينيها ـ صرخت تلك المرأة « وامعتصماه » ولكن احدا لم يجب ، وضاعت صرختها في صدى لانها في جنبات صحرائنا الواسعة في المساحة .

تبا لك ايها الزمان !

قالها عجوز جنوبي لبناني مقيم في تل الزعتر ، بينما كان ينظر الى جاره القريب منه في الملجأ وبصق على الارض بعد ان ابتلع كل ما جادت به لفافته من دخان ، وران صمت عميق قطعته انفجارات القذائف واصوات الرصاص .

« الجمهورية » البغدادية
٢٨ تموز ١٩٧٦

ذوالنون الأطرقجي

بريد بيروت

فيما يرى السامع يا بيروت
يمناك خنجر ، ويسراك سنبله
أراهما يصالبان ..
من يمص النسغ من شريان يسراك ولا يموت ؟
بيروت
يا موجة تصهل في نوافذ البيوت
يرشنا شلال ورد ودم من اول الخليج حتى اول‌المحيط
وحين نمسح الوجوه في الصباح تصبغ الاصابع الحناء

★●★

بيروت يا قمرنا المشطور .. ينعس الضياء
دبقا وباردا على صحارانا .. وتبرق الدماء
بريدها السريع ...
« ان القمر الغاطس في الدماء حق
والفداء وحد الارض ووسع السماء
فليرسل البحر زهور الموج ـ قتلانا ـ
عطر بريد الثورة الكبرى
في ارضنا الكبرى »

★●★

ملاحظة :
ـ أتتركون موتنا يذبل مثل زهرة الربيع داخل الحدود؟
الموت ألا يكبر الموت
وينطفي كطفل فوق مهده الصغير
فلتنزرع صحراؤنا مرافئا تستقبل البريد
وترسل البريد ..
لتتسع للبحر .. للثورة !

★●★

بيروت يا قنبلة تضج في الصدر
تفجري بحرا من الضوء على فضائح العصر
هذي شظاياك قناديل تلف جسد الليل
تضم رعشة المحيط والخليج ..
تقتلعنا وتبعثنا .. جداولا من لهب تصب في البحر ..

« الثورة » البغدادية
٦ تموز ١٩٧٦

زهور ديكسن

أدمشق التي .. لا دمشق التي..

(١)
اذا عشق السر عين القناعات
ماتت على الدرب أم الخطى
او اذا شاع من مقلتيها أفول
هذر .. ما اقول ؟!

★●★

ايه يا ابن المغني
أطل الصدى
عند اطلالة الغار ورده
ونصت .. يا ابن المغني
كأن الدبابيس
ملء حناجرنا .. اذ نغني
أكل الذي عاد لباب القناعات منا خلي ؟
أكل الذي خلف القناعات منا .. شجي ؟
ويكتحل الغيظ بالغيظ
من وقدة .. في العيون
أدمشق التي .. لا دمشق التي ..؟
اسأل الوهج المنطفي
عند بابي وبابك .. والدرب
والشمس .. والموقف
من يؤجج هذا المدى بالشعاع
من يلم القناعات ..
كل القناعات .. من كل هذا الضياع ؟

★●★

أسأل الوهج المنطفي
في الاضاحي اليتيمات ..
بين اطلالة وانضواء
في الظلال القتيمات .. ترتد مصبوغة بالدماء
من يلم القناعات .. كل القناعات
عن كل هذا الضياع ؟
أم ترانا الخليون
شئنا وان لم نشأ
أم ترانا الشجيون ..
شئنا وان لم نشأ
وطر ...
ثم يكتحل الغيظ بالغيظ من وقدة في العيون
قاسيون ..
من سيدرأ سيل الحجارة بالنار
سيل التصدع بالموت
أم اننا الواقفون ؟

★●★

وتمضي السنون
ونفاجيء العفنة المستريبة
يا قاسيون .. باحفادنا
واحدا
واحدا
... وا ...
احباؤنا يرحلون
لماذا ؟
لماذا ومن خلف كل التلال الحزينات
اعداؤنا .. يمزحون ؟ !

(٢) « المشهد الاخير »

العفاء .. العفاء
لغة البحر ضوضاء
والارض ضوضاء
والشمس مصبوغة بالدماء
كان في المتوسط طير من الثلج
يبيض .. يبيض .. لكنه فجأة
مات محترقا بالغناء
خلف تل السبايا
بين بوابة الشام .. والحازمية
زينب الهاشمية
تارة يتساقط جرح المدى بين انظارها
تارة .. يتساقط جرح الجموع
لاثواء تمنى ..
وقد سد سور الجراحات من حولها
لا رجوع

★●★

صحوة الهاجره
عند وجه الصليب الذي امتد
ما بين بوابة الشام والحازمية
مريم المجدلية
سمرت فوق لبنان عينا
وعينا على الناصره
كان قد مزق الحقد
أوصالها الطاهره

« الف باء » البغدادية
١١ اب ١٩٧٦

وليد شميط

«لبنان في الدوامة»

ما هي طبيعة الصراع الدائر في لبنان منذ نيسان ١٩٧٥ ؟ لماذا يتقاتل اللبنانيون ؟

ما هي الاوضاع الاجتماعية والسياسية التي ادت الى اشتعال الحرب ؟ وماذا عن موقف القوى المتحاربة ؟

الفيلم التسجيلي « لبنان في الدوامة » ـ ١٦ ملم ، ٧٥ دقيقة ـ لجوسلين صعب ـ لبنانية ـ ويورك ستوكلين ـ فرنسي ـ ، يطرح هذه الاسئلة ويحاول الاجابة عليها .

رغم مرور اكثر من سنة على الحرب التي لا تزال دائرة في لبنان، لم ينجز اي شريط محلي باستثناء « لبنان في الدوامة » يحمل هذا الطموح ويطرح هذه الاسئلة ، وان كان ثمة مشاريع افلام كثيرة لم تر النور بعد ، والآف الامتار من الاشرطة التي صورت ولم تتحول الى افلام بعد . وكان قد جرى تصوير ـ لبنان في الدوامة ـ خلال الفترة ما بين اول آب و٨ ايلول ١٩٧٥ ، اي بعد اربعة اشهر فقط من بداية الحرب ، لحساب التلفزيون الفرنسي الذي رفض عرضه الا بعد حذف مقاطع منه مما حمل صعب وستوكلين على الاكتفاء بعرضه منذ عدة اشهر في احدى صالات السينما الباريسية حيث استقبلته الصحافة بكثير من الاهتمام والترحيب .

● القضية الاجتماعية هي الاهم

لم يأت ـ لبنان في الدوامة ـ باجابات جاهزة على الاسئلة التي طرحها . وهو لم ينطلق من تحليل مسبق لمعطيات وتناقضات الواقع الذي يتعامل معه . انما هو اراد ان يكون شهادة وملفا موضوعيا ، بالمعنى الليبرالي للموضوعية ، وبالتالي التعامل مع اطراف الصراع من زاوية تريد ان تكون حيادية . ومن هنا فان الفيلم لا يتبنى طروحات اليمين الانعزالي ولا هو في الوقت نفسه يدافع عن موقف الحركة الوطنية ، وان كانت محصلة الفيلم تدين المشروع الانعزالي وتتفق مع طرح الحركة الوطنية للقضية الاجتماعية التي اعتبرها الفيلم انها الاهم من بين الاسباب المحلية والخارجية التي ادت الى تفجير الصراع، مشددا على ان التركيبة الاجتماعية اللبنانية والنظام السياسي القائم هما في اساس الانفجار وسببه الرئيسي . وبالتالي فان الصراع ليس صراعا بين المسيحيين والمسلمين وان كان اتخذ في بعض جوانبه طابعا طائفيا ، ولا هو صراع بين اللبنانيين والفلسطينيين ، وان كان تواجد المقاومة الفلسطينية على ارض لبنان عجل في كشف التناقضات الداخلية في تفجيرها . ولقد رفض اليمين اللبناني هذا الطرح واتهم جوسلين صعب ، وهي مارونية ، بخيانة ـ الطائفة والوطن ـ . وقد تعرضت اثناء تصوير الفيلم للضرب والاهانة في احد مخيمات تدريب الكتائبيين في ميروبا .

يبدأ الفيلم بطرح السؤال : لماذا حمل المسيحيون السلاح وبوجه من ؟ ويعطي الكلمة لعدد من قادة الاحزاب والميليشيات الانعزالية: بيار الجميل ، شربل قسيس ، شاكر ابو سليمان ، هنري صفير ، جميعهم يردون ، بتعابير مختلفة ومتشابهة معا ، ما يطرحه اليمين من اسباب حمله للسلاح : الدفاع عن المسيحيين وعن ـ الصيغة اللبنانية ـ وعن النظام وعن لبنان من خطر المقاومة الفلسطينية وتجاوزاتها ومن ـ اليسار الدولي ـ ومؤمراته ، ويلاحظ الفيلم كيف ان عملية « الدفاع هذه اتخذت شكل حرب صليبية جديدة وادت الى قيام الميليشيات المسلحة » .

● اقطاعية وعشائرية وفوضى

هذه هي اسباب الصراع ؟ جوسلين صعب ويورك ستوكلين يذهبان الى ـ الفريق الآخر ـ يعطيان الكلمة لكمال جنبلاط وفواز طرابلسي وعبدالمجيد الرافعي وفاروق المقدم وسمير فرنجية وغيرهم . المعركة هنا تأخذ طابعا آخر . انها ضد تقسيم لبنان والمحافظة على عروبته والدفاع عن حق المقاومة في التواجد على ارضه ، وهي ايضا لاصلاح النظام السياسي القائم على الطائفية والاقطاعية والعشائرية والفوضى الاقتصادية ، والذي لم يعد يتفق مع معطيات الواقع الراهن وتغيراته الاجتماعية والاقتصادية والديموقراطية ، والذي يكرس جملة امتيازات لفئة من اللبنانيين على حساب الاقلية ويعمق من الهوة القائمة بين طبقات الشعب ، ويجعل من لبنان تجمعا للطوائف وليس وطنا بالمعنى الحقيقي ، ولتوضيح طبيعة هذا الصراع السياسي وتقديم صورة حية يتجول الفيلم في عدد من المناطق ويعطي الكلمة لمقاتلين يتحدثون عن الاسباب التي جعلتهم يحملون السلاح ولمواطنين ينتمون الى مختلف طبقات الشعب .

● حفلات الشيخ .. ومآسي الجنوبيين !

نرى النائب والوزير السابق الشيخ خليل الخوري في حفلة اجتماعية صاخبة في بيته تضم بعض ـ علية القوم ـ يتحدث عن ـ هموم النظام وواجباته ـ ، ونتابع بدهشة كلام صحفي يميني يحكي بصفاقة وغرور وادعاء عن الاسلحة الحقيقية والثقيلة ، التي يملكها ـ ليتخلص من الفلسطينيين ـ بينما هو يلعب التنس في فندق السان جورج ، ثم ينقلنا الفيلم الى الجنوب لنرى مزارعي التبغ وصيادي السمك ونسمعهم يشرحون اوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية وما يعانونه من السلطة والاقطاع والمحتكرين ، ونرى الطبيب الشيوعي احمد مراد الذي كان قد اختطفه العدو الصهيوني ، يتحدث عن اهمال السلطة للجنوب وتركها المنطقة تحت رحمة التخلف والحرمان والاعتداءات الاسرائيلية ، الامر الذي زاد من مشاكل الجنوبيين وحملهم على النزوح من قراهم ومنطقتهم الى العاصمة ومن الجنوب ننتقل الى البقاع وبالتحديد الى الهرمل لنكشف وجها آخر من وجوه الازمة الاجتماعية وهو الوجه العشائري ، الامام الصدر يحاول حل خلاف بين عشيرتين حول اقتسام مياه الري . وفي الوقت نفسه تكشف اهمال الدولة بل غيابها الكامل عن تأمين سبل الحياة المعقولة للشعب الامر الذي جعل معظم شباب المنطقة ينزحون الى العاصمة ثم ينقل الفيلم

صورة عن ـ حزام البؤس ـ الذي يحيط ببيروت والذي يضم النازحين والفقراء من الجنوب والبقاع ومختلف المناطق اللبنانية . وبيروت التي يحيطها ـ حزام البؤس ـ هي ايضا شارع الحمراء والفنادق الضخمة والملاهي الليلية والثروات الفاحشة وحفلات ـ المجتمع المخملي ـ !

● **الفيلم .. ومهمات السينمائيين التقدميين**

هذه هي فقط اسباب الصراع في لبنان ؟

ان الفيلم في تاكيده على ـ لبنانية ـ الازمة ، أي اسبابها الداخلية الاجتماعية ، يتجنب الاشارة مباشرة الى الجانب الفلسطيني فيها وبالتالي يهمل ربطها بمخططات الامبريالية الامريكية وحلولها السياسية في المنطقة كما انه لا يشير ايضا الى دور الصهيونية واسرائيل في تفجير الصراع . ومن جهة ثانية ، وفي معرض تقديمه لاسباب الصراع الداخلية ، لا يربط هذه الاسباب بالدور السلبي الذي لعبه الانتداب الفرنسي ، خاصة لجهة منحه فئة من اللبنانيين امتيازات على حساب فئة اخرى ، هذه الامتيازات التي كرسها الميثاق الوطني عام ١٩٤٣ وقام عليها ـ كيان ـ الوطن وجرى بموجبها ربط النظام اشبه بالكتاب المنزل والمقدس الذي لايمس ولا يعدل .

ولعل اهم ما يمكن اخذه على الفيلم هو عدم توضيحه طبيعة التغيرات التي حصلت في لبنان منذ ١٩٤٣ والتي زادت من التناقضات بين الطوائف عن اعطاء حلول لها ، وعجز النظام السياسي الدقيق بين الطوائف عن اعطاء حلول لها ، وعجز النظام السياسي القائم عن ايجاد مخرج لازمته حياتها . ولكن هل المطلوب من فيلم واحد انجز في ظروف صعبة وبهدف اعلامي مباشر ، واريد منه ان يكون مجرد ملف عن جانب واحد من جوانب الازمة ، ان يطرح كل المسائل المعقدة والمتشعبة والتي تفترض تحليلا سياسيا على درجة كبيرة من العمق والوعي ! ان هذه مهمة تنتظر ان يتصدى لها السينمائيون في لبنان . يكفي جوسلين صعب ويورك ستوكلين ، انهما قاما بخطوة اولية في هذا المجال . وهي خطوة مهمة يجب ان تكون موضع تقدير واهتمام .

« الاخبار البيروتية »

سعدي علي السند

لبيروت عذاب .. ولنا عذاب

« ١ »

علمتنا الشوارع : ان الهوى قاتل ،
والطريق الذي ما احتوته المحبة لا خير فيه ،
ولا خير في عاشق عذبته الجراح .. ويبكي
علمتنا الشوارع :
ان الدم الحار زنبقة ورصاصة ..!!
فاحتوتنا ضلوع النضال .. وقلنا : البقية فينا
وبيروت صابرة ،
والعيون الجميلة فرقها العاذلون ،
وهذا اوان الحنان ..
كل عشق له غربة .. ولبيروت في عشقها غربتان

« ٢ »

ضيعتنا المواعيد والكلمات التي لم تقم
وادعاءات من وعدوا الليل بالحب ،
لكنهم في الصباح نسوا حبهم ..
ودمشق الجميلة تدرك : ان الهوى قاتل
والجراح التي في الصدور ضماداتها البندقية !!
واحـــدا
واحـــدا
علمتنا الشوارع : ان المحبة أقوى من الجوع ،
ان المحبة يعرفها الطيبون ،
وسر محبتنا البندقية ..
آه يا وطنا يتنافس في حبه المخلصون
ويحلم في حبه الشاردون
ويعرف : كيف تكون القلوب ، وكيف تكون العيون

« ٣ »

سيدي أيها الوطن العربي الكبير
سيدي ايها الوطن المستجير
غدنا واحد ..
وهوانا الذي سره البندقية والامل الصامد ..
واحد ..
غير ان الاحبة يحترفون هوى ـ لا يطاق ـ غريبا ،
ففرقنا الحب عن اهلنا وتباطأ فينا المسير ،
وكان الدم الحار نارا ،
وكان الهوى الحار جمرا ،
سيدي ايها الوطن العربي الكبير
سيدي أيها الوطن المستجير
ان احلامنا واحدة ..
ان احلامنا واحدة ..

ملحق الجمهورية البغدادية
١٤ آب ١٩٧٦

هشـــام المراني

بـيـــروت المحــتـــرقــة

« اعلن قائد الطائرة ، اننا الان فوق مدينة بيروت »

مرت عليك ،
لا ادري ، دخانا كان ام سحبا تغطيك
مرت عليك ،
كان الشاطىء البسام مكتئبا
وكان الموج منتحبا
ينـــاديك
وكانت حمرة الشفق
تلون وجهك المستنزف الباكي
فتغمره دما ،
أم ان ألسنة من اللهب
تراقص فوقه ، فكأنها الشفق
أحقا انها بيروت ؟!
وهل « نيرون » عاد يمنع النظرا
« بروما » وهي تحترق
وهل سيموت منتحرا
كما في المرة الاولى ؟

★ ● ★

عروس الشرق
هل مرت عليك حوافر التتر ؟
كما مرت على وطني
وهل فقأت عيونك خيل هولاكو ؟
فعتم كل ما فيك
أحقا لم يعد في « شارع الحمراء » اطفال ؟
أماتت امسيات الحب والشعراء والغزل ؟
أحقا لم يعد يتكاثر التفاح في الوادي ؟
وهل شاخت صباياك
فما عادت تجيد الحب والصبوات والضحكة ؟
ولا يتردد الموال والدبكة ؟

★ ● ★

عروس الشرق ،
ماذا حل بالجبل
أأحنى رأسه العملاق تحت سنابك الخيل
ومزق كل عرق نابض فيه ؟
أم ارتعشت فرائصه
فأطلق صوته الدامي
يعاتبنا
يحشرج : يا بني وطني
أما من حامل دمه على كفيه ينقذني ؟
أما من صائح بالوحش : قف !!
فيهاب صيحته ويتركني
أماتت في قلوب الناس حتى نخوة العرض ؟
وحتى حبهم للارض ؟
يا لخسارة الارض
فأين سيدفن الاموات
أين سيدفن الاموات
يا وطن الاغاني والاساطير
واين المارد العربي ..
اين محطم النير ؟

« الثـورة » البغدادية
٨ آب ١٩٧٦

حنا مقبل

الكتابة الدائمة بالدم !

ابو حسام

عندما فكرنا في المؤتمر التأسيسي لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ان يكون شعار الاتحاد « بالدم نكتب لفلسطين » وقفنا طويلا وقلنا قد يكون هذا الشعار كبيرا ..

وعندما قيل لنا ان غسان كنفاني عضو اللجنة التحضيرية للاتحاد ، قد جسده قبل اسابيع سائرا على خطى عبد الرحيم محمود ، قلنا ايضا ان الشعار ما زال كبيرا ..

يومها ، قال كمال ناصر مخاطبا المؤتمرين : « ان النصر سيكون في عيون المقاتلين من الكتاب والصحفيين ليس بالكلمة وحدها وانما بالرصاصة من خلفها ايضا ، وليس بالحبر الثوري فحسب وانما بالدم الثوري معه .. » .

وكان كمال اول من كتب بدمه بعد ان اصبحت الكتابة بالدم هي شعار الكتاب والصحفيين الفلسطينيين.

ومضت القافلة ..

انيس صايغ لا يكتب بدمه فقط وانما بنور عينيه .. وكذلك بسام ابو شريف . وبما تبقى من الدم ومن نور العينين يتابعان المسيرة ..

حسين مصطفى يسقط وهو يقاتل في برج حمود ..

كمال ابو راضي يسقط وهو يواجه عصابات الفاشست في الدامور ..

طلال رحمه يسقط وهو يشق طريقه الى مخيم تل الزعتر ..

ولن يكون نايف شبلاق ابن فلسطين الذي قاتل فوق ارضها واستشهد على طريق تحرير هذه الارض لن يكون آخر من يكتب بالدم ، لان الكتاب والصحفيين الفلسطينيين الذين التزموا بان لا يكتبوا الا بالدم ، سيواصلون المسيرة بنفس العزيمة وبنفس الاصرار .. لن ترجعهم رصاصة او قذيفة ، فهم يدركون معنى ان يكونوا ثوارا ، ومعنى ان يكونوا جزءا من هذا الامل العظيم الذي تجسده البنادق الفلسطينية ..

يعرفون معنى ذلك .. ويعرفون ايضا ان عليهم ان يدفعوا ضريبة هذه المعرفة وذاك الالتزام ..

ومنذ ان تحول جسد غسان كنفاني شظايا متفجرة قنابل وادبا وثورة في الحازمية .. ومنذ ان اصر كمال ناصر ان تكون اخر كلماته ثلاث رصاصات يوجهها الى صدور اعدائه .. وقبلهما اختار عبد الرحيم محمود الرصاص ليكتب به الشعر . منذ ذلك الوقت ، وفلسطينية الكاتب او الصحفي تحدد فقط من خلال التزامه بالثورة ، ومن خلال قتاله في صفوفها .

واذا كان الكتاب والصحفيون الفلسطينيون قد قدموا حتى الان هذه القافلة الطليعية ، فان خنادق الثورة الفلسطينية ما زالت تعرف الكثير منهم ..

هذه الخنادق تعرف قائد ميليشيا شمال الاردن خالد ابو خالد ، وتعرف الشاعر المقاتل احمد دحبور وتعرف رشاد ابو شاور ويحيى يخلف وتوفيق فياض وتعرف غيرهم الكثيرين ..

ليس فلسطينيا من يكتب بغير الدم ..
ليس فلسطينيا من لا يقاتل من اجل فلسطين..
هذا هو شعار كل كتاب وصحفيي فلسطين ..

وسنظل نكتب بالدم الفلسطيني .. حتى نكتب في فلسطين ..

فلسطين الثورة (بغداد)
١٢ شباط ١٩٧٦

محمدعلي شمس الدين

نقطة من دمي المحارب الحزين !

نقطة من دمي على آخر السطر ، هذا اعترافي ان الحروب
انتهت وان الكلام الذي ما انتهى ـ سينفتح بابا جديدا
الى الحرب او للكلام واولها « كتابة اني احبك » لكنني
... رجل شيبته معارك عينيك ها انني اجنح الان
للسلم ـ او ادعي هدنة واهمة .
اؤجل موتي الى اخر الليل ... او اخر السطر .. قررت
ان اختم الموت بالحب هل استطيع ؟
سألقي سلاحي الى عابر ينحني لالتقاط السلاح .
اقول سلاما
وامنح للعسكري « الذي لم يمت » حصيلة ما اكسبتني
الحروب من الاوسمة .
بكائي على صاحب مات « هل ينفع الدمع او صورة
لانتصاري »
وطفلا عثرت عليه يفتش بين النفايات عن امه
فاطعمته جوع قلبي
وقررت ان اختم الموت بالحب .. او بالغناء

* * *

نقطة من دمي على اخر السطر .. هذا ادعائي بان
الحروب انتهت
وان الدموع التي اثقلت جفن أمي ،
تجف بمنشفة الريح شيئا فشيئا . وتشربها شمس
تموز ...
لا بد ان يشرب الصيف كل الدموع ..
وان يطلق الطير احلامه .. في سماء بلا ساحل
ولا نقطة للجمارك عند اشتباك الغيوم ..
ولا بد ان يبدأ العام من نقطة في سقوط المطر ..
اول العام .
ها قد فتحنا شبابيكنا للطيور الاليفة
وها تأخذ الطير اعشاشها
في سطوح المدارس او في ثقوب الحوانيت والاقبية
تعالوا ادخلوا
ولا تفزعوا من عداوات ابائكم
والقوا على الباب العابكم العسكرية
ان في دندنات الصغار ودندنة البحر سرا
يفور الى فرح الارض .. او للبكاء ..
ولكن هذا الشتاء الذي اثقلته السحائب
لم يستطع غسل حزني
ولم يستطع محو كل الدماء التي في زوايا الشوارع
او في زوايا العيون ..
وهذي العواصف لم تستطع محو تنهيدي في الهواء ..

* * *

نقطة من دمي على اخر السطر ..
احلم ان الحروب انتهت
فأحزم تبغا كثيرا .. وشيئا من الخبز والخمر ..
أمضي الى البحر .. أودعه هم قلبي ..
واندس تحت الرمال التي لامست ذات يوم
أصابع رجليك او لامست ظهرك النار فيها ..
والقاك فوق الشواطيء تبكين .. والموج
يخزن خفق دمائك فوق الرذاذ ..
وحين تمر خيول من الماء .. تأتي .. وتمضي
تنامين تحت انكسار الزبد
وفوق انكسار البكاء .

* * *

نقطة من دمي .. على اول السطر :
(شمس المساكين) تغفو
والبراكين مغلولة في القبور
ولا بد من قول سر دفين :

مرة جاء (مروان) من غوطة الشام
في آخر الليل القى على قبره نظرة
والقى قليلا مـن النار فوق العظام
وحين استفاقت مفاتيح اغلاله
وحطمها واحدا واحدا
اوى الى أمه في الخيام
واغفى زمانا على صدرها ..
ولا بد مـن قول سر دفين :
مرة صار (مروان) نهرا ..
ولكنه ضل مجراه .. فاستوعبته الحقول
وظلت نواعير حمص تغنيه حتى الافول ..
وقيل (تولول) .. قيل بان النواعير تعلك احشاءها
ولا تشرب الماء .. هل اكشف الان
سرا اخيرا وهل اكشف الان سري ؟
تقمصت (مروان) منذ الطفولة
(ومروان طفل عثرت عليه يفتش بين
الخرائب عـن شكله
فاطعمته جوع قلبي
وآويت غربته ..)
وعشنا معا نأكل الشوك والعشب او
نرتدي وبر الابل تحت الخيام
وعشنا معا في الحوانيت او في صعاليك
وادي الظلام
واحببته ...
قلت اني (أحبك انت) .. ولا شيء غيرك
لكـن سرا حثيثا يراودني في سطور الكلام
ولما اتكأنا على شرفة الله .. ابصرت
(مروان) يهرب مني ..
ويجنح للخمر .. مازجته
وشربنا معا كأسنا المر حتى الجمام
سقطت نقطة من دمي على طرف الكأس ... فاهتز فيها
الـذباب
(ومروان لا يشرب دم اخوانه) ..
ولكنني ملزم ان اقول الحقيقة .
انه شارب
... شارب
... شارب من دمي للقرار
وها ان لحمي يداف على خبزه
ورأسي يطاف به فوق رمح ذليل لاعوانـه
وترتاده الطير والسابله ..
ولكنني قلت ان الحروب انتهت
وان الكلام الذي ما انتهى يستثير الكلام ..
وداعا
الى اخر الارض ... اني سأفرغ قلبي
واسكب بين الحوانيت ما ضمه جسدي من دمائي ..
وانصب روحي على شكل مشنقة ..
اشرب في ظلها القهوة المره العربيه ...
وداعـا ...
سأدخل في رقصي العصبي الاخير
وداعا ..
سأطلق نحو السماء رصاصة رفضي ..
وداعـا ..
ودا .. عا
و .. دا .. عـ .. ـا
(فشمس المساكين) آتية .
واسماؤها الحركية تجتاحني
وما زلت ازعم اني احبك
وانك زادي وامي ، وعكاز قلبي
وطفلي الذي قطرته المرارات مـن الف عـام
وما زلت أزعم أن الحروب انتهت
وان الكلام الذي ما انتهى .. لـن يجر الكلام .

جريدة « بيروت » ١٥ تموز ١٩٧٦

عبدالرحمن الشرقاوي

جسارة سوريا .. وعجز الجامعة !

كيف حدث هذا كله والاطراف جميعا عربية ؟!

كل هـذا الدم العربي تسفكه سواعد عربية ؟!

على اننا لا نريد ان نقتنص احدا في جريمته ونجمد صورته امام التاريخ وهو يذبح اخاه !

لا نريد ان نعلق الغير في مشنقة خطاياه .. !!

ولكم نتمنى على الرغم من كل شيء ان يظل العربي قادرا على ان يطهر يده من دماء اخيه بدموع الندم !! نتمنى ان تستطيع هذه اليد المغسلة في التوبة ان تمتد الى الاخرين بالسلام والمودة بدلا من الخنجر والرصاص!..

ومع ذلك .. فما من عربي واحد يستطيع ان ينجو من عذاب الضمير وكل هذا الطوفان من الدم والخراب والالام والبشاعات يغمر وجه لبنان ويصم ضوء النهار نفســه !

ما من عربي واحد يستطيع ان يصدق ان الدول العربية مجتمعة قد عجزت ذات يوم عن انقاذ الشرف العربي من عار المذابح التي ارتكبتها قوى العدوان ضـد شعب لبنان وقوات الثورة الفلسطينية !!

كيف استطاعت سوريا وهي عضو في الجامعـة العربية ان تمضي في حرب الابادة والتدمير الشامل ضد التحالف الثوري الفلسطيني اللبناني مهدرة بذلك كرامتها هي نفسها ، متحدية قرارات الجامعة العربية ، منتهكة القيم العربية متحدية كل المشاعر والآمال وتراثها الثوري المجيد ، والضمير العربي العام ؟!

ماذا كانت تريد باحتلالها ارض لبنان وبشن حرب الابادة على مخيمات اللاجئين الفلسطينيين وعلى الشعب اللبناني ؟! ثم على الاماكن ذات التاريخ الحضاري .. وهي ميراث انسـاني لا تملكه لبنان وحدها ولا العرب فحسب بل الانسانية جميعا ؟!

لقد نفهم دور شـمعون وحلفائه من الامبرياليين والصهيونيين والاسرائيليين .. ونفهم ان يحارب معه في الصف نفسه اسرائيليون وارهابيون صهيونيون ومرتزقة اجانب .. ولكن الجيش السوري المجيد ؟! كيف يقف معهم في خندق واحد ويسدد معهم الرصاص الى قلوب الثوار والوطنيين العرب ويحرق اجســاد الابرياء من الشيوخ والاطفال والنساء ؟!

كيف وجدت سوريا كل هذه الجسارة على حياتنا وعلى عروبتنا وعلى سمعتها هي نفسها وسمعتنا نحن جميعا ، وتركت جيشها الباسل يغوص في اوحال دامية من العار على ارض لبنان وهو لا يملك حتى رفـض الجريمة ؟ ! والاخوة العرب ينظرون ويكتفون باصدار قرارات يعلمون ان سوريا لن تنفذها !!

من حق الراي العام العربي ان يعرف .

لماذا لـم يصـدر قرار واحد باسـتنكار موقف سوريا .. حتى قرار !! كلمات !!

لماذا لم تتخذ الجامعة العربية اجراء رادعا لانقاذ لبنان وتقهر سوريا على وقف اطلاق النار والانسحاب من لبنان !!

ان العرب كلهم يعرفون ان امريكا واسرائيل تبارك المذابح السورية في لبنان وترى في تدخل سوريا فرصة لاقرار النظام هناك .. والعرب كلهم يعرفون ان سوريا تحارب الى جانب قوات شمعون التي تتضمن اسرائيليين وارهابيين صـهيونيين ومرتزقة اجانب ، وان هـدف شمعون وحلفائه وسادته هو القضاء على الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية التقدمية في لبنان ؟!

ولكن ما هـو هدف سوريا التي تقف مع شمعون على خط واحد ، وفي الخندق نفسه ؟! .. ما هدفها !.. لماذا لا تفصح الجامعة العربية .. !

لا ريب ان بعض العرب يرضون عن موقفها والا لما اعجزهم قهرها على وقف اطلاق النار وسحب قواتهـا التي تحتل ارض لبنان وتشن حرب ابادة همجية وحرب تجويع وحشـية على شعب لبنان وعلى الفلسطينيين جميعـا ! ..

من حق الراي العام العربي ان يعرف الحقيقـة كاملة .. فلتقل لنا الجامعة العربية اذن : اهناك حقا

نزار سمعان

طلال رحمة

.. ودمعة من بردى !

كان دوي استشهادك يا طلال أقوى من دوي القنبلة الحاقدة التي قتلتك .. ومع ذلك كان الحقد كبيرا .. وظل يلاحقك حتى بعد الشهادة !

★ ● ★

عندما قلت ان كلمات سعيد عقل تتحول الى رصاص من الحقد يقتل الناس .. هل كنت تعلم أن سعيد عقل اياه يخبيء لك قنبلة من ذلك الحقد !

★ ● ★

عندما تجرأت على ((المافيا الثقافية)) في هذا البلد فامسكت بخناقها ورحت تعريها قناعا اثر قناع .. هل كنت تعلم انك ممسك بافعى .. وان ما كانت تلك الافعى قد وضعته من بيوض سيتحول الى حيات تدب في عين الرمانة ، وان صلا منها سيغدر بك ... فتتراقص كل جمعية الافاعي فرحا وانتقاما وتشفيا !؟

★ ● ★

الوطنيون كثر يا طلال .. وتبلغ بهم الوطنية حد الشهادة .. تطلع حولك فالشهداء كثيرون .. لكن قبل ذلك ، كنت قد دخلت التجربة التي هي اقسى من الشهادة :

عملت في (الحوادث) وبقيت وطنيا .

ومن يعمل في (الحوادث) ويبقى وطنيا ، لا تعود كبيرة عليه الشهادة .

هنا قتلت ... نجحوا في قتلي بالمحاولة الثانية . بعد ان فشلوا مسموعا أبدا يقول :

هنا قتلت .. نجحوا في قتلي بالمحاولة الثانية .. بعد ان فشلوا في الاولى !!

★ ● ★

عفوك يا طلال .. اعري الحقد الذي قتلوك به . لانه الساحة التي استشهدت فيها . واستشهد فيها كثيرون .. كانت معركة بين الحقد والمحبة . قاتلوا بالحقد ومن الحقد .. وقاتلنا بالمحبة ودفاعا عنها ..

استشهد منا أحياء كثيرون .. لكنهم لم يموتوا .. بل هم يولدون من جديد .. في كل سنبلة قمح .. وعلى صدر كل امرأة تطعم اطفالها حليب المحبة للانسان والوطن .. فينا يولدون ، وفي جوارحنا يسكنون ما بقينا اوفياء لشهادتهم .. وامناء على ابتسامات المحبة التي واجهوا بها الموت .

★ ● ★

اخي طلال .. بالمناسبة .. اين دفنوك ؟ لم يشهق بك قاسيون! هل تسممه يئن ؟؟ لماذا لم يغسلوا وجهك بدموع بردى ؟؟

لماذا يبكي بردى ؟

((الهدف)) البيروتية

٧ شباط ١٩٧٦

بعض الدوائر العربية ترى انه يجب تأديب تحالف الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية ! ويجب اضعاف قوات الثورة الفلسطينية والابقاء عليها هزيلة وسحق القوى التقدمية في لبنان لانها تمثل خطرا على مصلحة ما ..؟!

امن أجل ذلك استمرت سوريا تقوم بدور كلاب الصيد ، لتنهك الفريسة وتمزقها قبل ان تذعن وتستسلم للصياد !

الكل يعرف أن سوريا تعيش على دعم عربي سخي ومعونات سوفيتية هائلة .. وما نظن ان هذه المساعدات قصد بها هدف آخر غير التنمية وتحرر سوريا من الاحتلال الاسرائيلي .. اما ان يتحول الدعم الى عدوان على الثورة العربية والى احتلال لارض عربية مقابل وعد بحل سلمي لاعادة الجولان كما يقال فهذا عار لسوريا ، وعار على العرب جميعا ان هم سكتوا عنه ! ان دماء الفلسطينيين في جنوب لبنان ليست ثمنا في صفقة ، ويجب الا تكون !

وقوة الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية التقدمية اللبنانية ليست ورقة للعب على قمار لكسب آثم من بعض قوى الرجعية !! ..

اننا نطالب الجامعة العربية بأن تطرح الحقائق كلها على الرأي العام العربي .. فهذا حقه .. ونطالب كل دولة عربية بالقيام بدورها لانقاذ شعب فلسطين ولبنان .. ونطالب الدول الصديقة بموقف واضح من العدوان السوري .

ان الذي ينتهك اليوم على ارض لبنان انما هو شرف العربة كلها .. يا للرجال ! غضبة للشرف والحياة والمستقبل ..

يا للرجال !!

((روز اليوسف)) القاهرة ١٩ يوليو ١٩٧٦

شوقي بزيع

عناوين سريعة لوطن مقتول

ـ ١ ـ

كما تتعرى لذاكرة النهر زنبقة النهر
كالخوف ينسل من حدق الميتين

وكالبحر يذهب للموعد المتأخر
أفتتح الان موتي وادخل في موسم النار،

كل الجداول صالحة للملاحة ،
فليتقدم حفاة المدينة نحو المدينة

وليسرج الجائعون العرى
هي الارض تدخل في الدورة الدموية

او في مدار الشظية
او في جنون يدور

ليسقط على القلب هذا الندى الليلكي
ويهوي المساكين نحو القبور

فان اورق الدم والارض الغت مواعيدها
فليقوموا ...

سيعرف كل بأوجاعه ،
لا علامة فارقة في جبين الجياع سوى الجوع
والارض شاهدة اغمدوا صدرهم في التراب

ولم يبلغوا الخبز
لكنهم حين ماتوا اضاءت مصابيحهم في القبور

ـ ٢ ـ

وقفت على باب تلك المدينة احصي دم الذاهبين الى حربها
فاستدار الرصاص الى حيث كانت بلادي
وقد اوثقوها الى النار

فانفجرت آية الماء

يا نار كوني سلاما وبردا على المدن الصامدة
وقد اوثقوها الى الجوع فانتشرت فوقها السنبلات العجاف

وكان الطغاة على بعد سنبلة من فم الجائعين
وكنا على بعد قنبلة من عيون الطغاة

وحين سقطنا معا في التراب
انحنت سدة الارض

وامتزجت بالدماء السنابل
وفي دورة الخبز تنحل كل العناصر

كانت مناقير ترفع طائرها
من جنون الرياح

واشرعة تستحث البحار

وكانت بلادي على طرف الموت
تدخل في جثة وتقاتل

ـ ٣ ـ

وقفت على باب تلك المدينة احصي دم الذاهبين الى قلبها
فاستبد بي العشق واحتشد الميتون على جانبي
وكانت على الصدر عاشقة من عصير البنفسج
في اول الليل

والارض كانت جنوبية
والجراح جنوبية حين تدخل برج الكآبة
كأن التراب الجنوبي خارطة للعذاب

اذا ما توجع نهر بأرض توجع ماء الجنوب
وان صوب المقاتلون الى أي جسم
ففي جسم هذا الجنوب تكون الاصابة

ـ ٤ ـ

وأسندت جسمي الى جثة في مهب الجنون
رايت بلادي تنام فقلت أجيء من الحلم

وانكسرت زرقة في المساء المجاور فأرتعش الميتون
ومر بي العسكريون واشتبكوا حول شكل العلم
لتحيا بلادي

لتحيا الحكومة والارز والخبز والاوسمة

لتحيا الخضار ويحيا الدمار وتحيا القصور وتحيا القبور
لبست ثيابا جديدة

لبست بياضا يشكلني ، شارعا ، ربطة للعنق

وحين اتيت الى بابها لم أجد عنقي
انا الرجل الصفر ابداً من نقطة في بلادي ولا انتهي في احد
ويرقصني البحر حتى انطفاء الزبد
وبيني وبين المدينة جسر تقمصته فارتدتني خطى العابرين
لاني قتيل ولا ظل للعينين
لاني شريد ولا موت يستقبل الجائعين
أمد جناحين بين القبور وابحث عن طائر في الوسط
وانشر جسمي علانية في الثلوج البعيدة
خذوني الى صدر امي ولا توصدوا البحر خلفي
انـا القروي الجميل

ابادل كل العواصم بامرأة في السرير المجاور
اي النسـاء التي تتزين للحب

ان دمي موصل للتراب
ليأت المحبـون نحـو حبيباتهم
والمصابون نحو اصاباتهم ، والمساكين نحوي
ففي ذات قنبلة في نهار يجيء
على بعد خمسين الف قتيل واغنية واحدة
ستمشـي بـلادي على الماء

من يفتح الان نافذة ، من يغني لشيء ينام
مساكين يأتون عند الحروب ويمضون عند الحروب

ولا يتركون سوى نجمة في الظلام

— ٥ —

وسافرت بين الرصاص واسواقه في ضواحي السكينة
رأيت احتراق المغنين بين الاغاني

رأيت حبيبين سهوا
وطفلين سهوا

وسهوا رأيت المدينة
وكانت هوت منذ عام ولم يبكها ميت أو مسافر
رأيت بقايا البحار على خشب من حطام البواخر
وكل الذين احبوا وماتوا
وغنـوا وماتوا

وما خبأ العشق في جثث العاشقات
صرخت اجمعيهم فكان الرصاص
اجمعيهم فكان الرصاص
اجمعيهم وأطلقت جسمي الى جهة في الهواء
فقام الضحايا من الموت
قام الجياع من الجوع
قام الصغار من الامهات
ولم يبق تحت ركام المدينة الا الطغاة

— ٦ —

هو الدم يرفع قاماتنا فوق هذا الحطام
هو الدم يستنهض الارض فينا
فلا عاصم اليوم الا من اختزن العشب في جرحه ثم نام
كتبنا لاحبابنا جثة وانتظرنا بريد العظام

واروع من ان يموت المساكين
ان يبلغ الموت حد الـكلام

سنطلع من كل بيت تشتت من كل حلم تفتت
من كل طفل هوى في البياض القتيل
باسم من يحرثون الصباح لكي تشرق الشمس
او يكتبون الرياح لكي يزهر الحدس او يقرأون الدليل
ونحن المساكين نحن الملايين لا شيء يفصل اعراسنا
عن سقوط الطغاة

توحدت الارض فينا فكل قتيل سيصبح جيل
وكل بنفسجة احرقوها ستغدو بنفسجة المستحيل
وكل شهيدتكمله الارض ، كل احتراق تكمله النار
فليبلغ الحقد حد الاصابة والرقص حد السماء
فلا شيء يبقى سوانا على الارض
لا شيء يبقى سوانا على الارض
لا شيء الا قناديلنا واحتمال الدماء

« الاخبار » البيروتية
١٠ تموز ١٩٧٦

ابراهيم العلي

رسالة مفتوحة إلى رفاق بعيدين

عبر المسافات المطفأة المقطوعة بعشرات الحواجز ، نعلن لكم شوقنا اليكم، ونعلن : يعز علينا كثيرا انكم لستم بيننـــا .

ويعز علينا كثيرا ان نسأل : اين انتم ؟ انتم الذين بشعركم الجزل فتشتم في زوايا بيروت، يوما عن قصائدكم فكتبتم الشعر ، وعن صورتكم فرسمتم وعرضتم وبعتم، واعلنتم، لانكر، حبكم الجزل لبيروت العاهرة ــ الضياع.

نعلن لكم شــوقنا اليكم ، يارفاقنا الذين توزعتم العواصم العربية وغير العربية تبحثون مجددا عن ضرورة تثوير « وطننا العربي الكبير » ، وعن « وطننا العربي الكبير » ، وعن « دور الفن في المعركة» وعن العمل بين الجماهير لرفعها الى مستوى فنكم العظيم .

من ركام بيروت والبحث عن الماء والرغيف ، يعز علينا ايها الرفاق ان نكــون في عيد صــمودنا الكبير ، واصواتكم بعيدة عن آذاننا المرهفة ــ بفعل القذائف ــ ، ووجوهكم المفكرة بعيدة عن اعيننا اليقظة ــ بفعل الحرائق ــ ، يعز علينا الا تشاركونا فرحة عيد صمودنا الكبير ، ولــو عبر بيانات « ثورية » من التي اعتادت دبجهــا اقلامكم المشرئبة .

من جوعنا الذي نحتمله بصمت ــ وكنتم وعدتمونا به في نتاج ابداعكم وعاهدناكم عليــه ــ ، ومن انتظارنا للفجر الطالع من بين ركام الغبار والاطلال ، نعلن ، ايها الرفاق ، حزننا العميق لغيبتكم الطويلة عن بيروت التي احببتموها كثيرا ، وعنا نحن الذين احببناكم كثيرا وعن الغضبة المشتركة « قضية الوطن الكبير » .

ولكن ، رغم شوقنا اليكم ، وحزننا لغيابكم ، يفرحنا انكم في سعادة تعيشون ، تبحثون في الاركان الهادئة عن وسيلة جديدة « لتثوير الجماهير » ، بين اقداح الخمر واجساد الملهمات النجلاوات ، في العواصم التي قد تمن عليكم بشيء مما احببتموه يوما في بيروت . يعزينا انكم تفرحون في زوايا دافئة وحنونة في امكنة ما من هذا العالم، بعيدا عن جحيم بيروت .

ونعاهدكم ، ايها الرفاق ، اننا سنصمــد ، لن نستسلم ، سنحمل العبء عنكم جميعا ، نحقق الحلم المشترك ...

وغدا ، حين يطلع الفجر يا رفاق ، ســننتظركم مجددا على ارصفة بيروت ، الالقة .. ونعدكم : سيكون كل شيء قد تغير ... بيروت الارصفة الحب والثورة .. سيكون كل شيء اتخذ حجمه الحقيقي الحقيقي . قد تشعرون آنذاك بالغربة ، وقد لا تتعرفون على وجوهنا التعبة ، لكننا ، نعاهدكم منذ الان : سنساعدكم على التعرف الينا ، وسنعطيكم مواد جديدة لشعر ورسم وفن جــديد ...

ولن نسألكم : اين كنتم حينما كانت الاضواء مطفأة.

فقط ، لانه سيكون لدينا اشياء كثيرة نفعلها ..

وسنترك لكم مسألة الاهتمام بالارصفة والضياع والثرثرة ، وكل الاشياء التي بدانا ننساها .

ها انتم ، رفاق قدامى لنا ، على اي حال .

« الاخبار » البيروتية ١٠ تموز ١٩٧٦

عزيز السيد جاسم

دفاعاً عن لبنان والمقاومة الفلسطينية

كيف يكون التضامن ؟

شغل القطر اللبناني مكانة استراتيجية متزايدة الاهمية في النضال العربي ، وبالاخص بعد الانكسار الذي منيت به حركة المقاومة الفلسطينية في احداث الاردن عام ١٩٧٠ .

وفيما بدت الساحة اللبنانية وكأنها ليست من دول المواجهة الجدية مع العدو الصهيوني ، كما اشارت الى ذلك المظاهر وليس الظواهر ، اكتسبت تلك الساحة اهمية متنامية ومتعاظمة لصالح الوجود الفلسطيني العربي ، وحقه في النضال ضد الكيان الصهيوني.

ورغم المميزات الخاصة التي انطوى عليها الوضع السياسي في لبنان ، فان المميزات المتقدمة للنشاط الوطني اللبناني ، والعلاقات الديمقراطية التي اكتسبتها الحركة الوطنية بالنضال ، وتحول لبنان الى مركز للنشاط القومي التحرري ، والى موقع اشعاع ثقافي باد للعيان ، كل ذلك احاط النضال الفلسطيني العربي بضوابط وأطر وطنية وقومية جيدة ، دفعت الامبريالية الامبركية الى ان تحسب الف حساب لقوة المتغيرات القومية والديمقراطية في التجربة اللبنانية .

ان القبول الامبريالي العالمي بالوضع اللبناني التقليدي ، مرهون بحدود عدم السماح لذلك الوضع باطلاق ابعاد ملموسة لصالح النضال الفلسطيني وحركة التحرر الوطني العربية والديمقراطية .

وبمعنى اخر ان التضحية بلبنان واردة اساسا ، من زاوية المصالح الامبريالية ما دام ليس بالامكان ارجاع لبنان الى صورته التقليدية .

فكيف والامر قد تجاوز ذلك الى تحول لبنان الى موقع خطير في النضال العربي بعامة والفلسطيني بخاصة ؟

وقبل البدء بالشكل المسلح للمؤمرة الامبريالية ضد لبنان ، اقتطعت المؤامرة مسافة تمهيدية ، أي ان المؤامرة ابتدأت قبل الفصل المسلح الذي لا زال قائما منذ اكثر من ستة عشر شهرا . وقد ركزت المؤامرة في طورها التمهيدي على :

١ ـ اثارة اللعبة الطائفية لتمزيق وحدة الجماهير والتشويش على الخطوط السياسية للمؤامرة .

٢ ـ تصعيد التناقضات بين صفوف الحركة الوطنية .

٣ ـ تغذية التناقضات داخل الصفوف الفلسطينية .

٤ ـ القاء مواد الاشتعال في مجرى افتعال التناقضات الفلسطينية ـ اللبنانية .

٥ ـ الحيلولة دون وحدة حركة المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية .

٦ ـ الاحتواء الطائفي بالتخطيط والاكراه للقضايا ذات المضمون السياسي .

اضافة الى نشاطات مشبوهة اخرى بغية التأثير على السمات الايجابية المتميزة لوضع لبنان الوطني والقومي والثقافي والحد منها باقل تقدير .

واذا كانت الابعاد اللبنانية للتفكير الامبريالي والرجعي مرسومة على اساس المؤامرة بمعناها الكامل ، وعلى مراحل ، فان جريان ذلك قد تم في المجرى الاوسع للنشاط الامبريالي الامركي ، وهو العمل من اجل ضم بعض الاطراف الفلسطينية الى جدول الاتفاقيات التسووية مع العدو الصهيوني . وفي الرحلة من اتفاقية سيناء ، الى اتفاقيات تسووية اخرى ، احتدمت المؤامرة في لبنان .

وقد اضطلع النظام السوري بدور مخصوص ، منذ الطور التمهيدي للمؤامرة ، مدفوعا باعتباراته وخصوصية ظروفه .

فالتناقض الصارخ بين الادعاءات الوطنية والقومية والفلسطينية للنظام ، وبين سيره الحثيث الى اتفاقية متكاملة مع العدو الصهيوني، قد اوقعت به في سلسلة من التناقضات غير المستورة .

الا ان الموقف الاساسي للنظام السوري تمثل بالضبط في كيفية تخريج سياسته بدون وطأة تلك التناقضات . أي كيف ينجز صفقة كبرى بشأن الجولان والتسوية الشاملة ، في اطار السياسة الامبريالية الامبركية ، دونما اخلال بادعاءاته الوطنية والقومية والفلسطينية ؟

في النطاق المذكور للرؤية الحكومية السورية ، جرت المراهنة على علاقة النظام السوري ببعض الاوساط في حركة المقاومة الفلسطينية للعمل على (فلسطنة) الصراع وتصفية النضال الفلسطيني من مواقعه المتقدمة .

واعتمادا على دراسة ليست بسيطة باحداث ايلول في الاردن وظروف التوطنة لها ، فقد كان المنطلق هو افتعال الصراع اللبناني تحت واجهات طائفية ، وشن الهجوم على الحركة الوطنية اللبنانية، وانتظار التناقضات الفلسطينية الناجمة عن موقف الحياد الذي قد تتمسك به بعض الاوساط في حركة المقاومة الفلسطينية ، وترفضه أوساط اخرى .

ازاء التقدير المذكور ، في حسابات النظام السوري ، كان التوقع هو : انتقال الصراع الى الصفوف الفلسطينية المقاتلة وانسحاب ذلك باشكال متعددة للصراع بين فصائل فلسطينية وفصائل وطنية لبنانية ، سرعان ما انتقل الى مستوى صراع لبناني ـ فلسطيني تتيح له الدوائر المخططة الحلول في مشاريع جزئية قد يجد فيها بعض الفلسطينيين مكانا ما يسمى زورا دولة .

الذي الغى التقديرات السورية : هو وعي حركة المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية بطبيعة المخطط الانقسامي التآمري .

ورغم ان النظام السوري بدأ في الفترة الاولى من المؤامرة المسلحة حذرا في تخطيطه ، معتمدا على أدواته في منظمة (الصاعقة) الركيزة

الجوهرية في (فلسطنة) الصراع ، الا ان ذلك الحذر فارقه امـــام الوقفة الكفاحية التضامنية للحركة الوطنية اللبنانية وحركة المقاومة الفلسـطينية .

وكان التدخل العسكري الصارخ تعبـــيرا عن العنجهيـــة التي استثمارها فشل كبير في التوقعات والحسابات ، وتلك خصلة في صلب طبيعة النظام السوري لا شك .

وقد كشف الغزو العسكري الذي باشرته ادوات النظام السوري العسكرية عن اهدافه العاجلة وهي :

١ ـ اسناد اليمين الفاشي المتقهقر وشد ازره .

٢ ـ توجيه ضربة انتقامية لحركة المقاومة الفلسطينية وللمخيمـات الفلسطينية بالذات على نحو يكشف عن عقدة جديدة للنظـــام تنبع من طبيعته ، اسمها العقدة الفلسطينية وقوامها مقت كـل مـا هو فلسطيني .

٣ ـ فرض الحلول من موقع الغزو والسيطرة العسكرية .

ومن المؤكد ان قوة المجابهة العسكرية الثورية الموحدة لبنانيـــا وفلسطينيا قد احبطت العديد من حلقات المؤامرة الامبريالية ، رغـم التضحيات الهائلة التي فرض على الجماهير اللبنانية ـ الفلسطينيـة ان تقدمها .

ولا يزال واردا في اذهان رؤوس النظام السوري واليمين الرجعي الفاشي اللجوء الى حيل الهدنات والمفاوضات لاعطاء القوى المتآمـرة والمجرمة فرصا للهجوم الكثيف من جانب ، وللبحث عن تناقضـــات محتملة في الصفوف الوطنية اللبنانية والفلسطينية بشان الموقـــف من التفاوض من جانب اخر .

ومهما تكن نوعية الاساليب التي تلجا القوى العدوانيـــة الى اتباعها ، في مسيرة الحرب القذرة التي تشنها بلا حياء ، فان مـن الحقائق الثابتة ، ان السبيل الوحيد لانقاذ الثورة الفلسطينيـــة والحركة الوطنية اللبنانية والجماهير اللبنانية والفلسطينية يتمثــل في الحفاظ على وحدة الموقف الثوري للحركتين الوطنيتين اللبنانيـــة والفلسطينية ، وتعزيز هذه الوحدة وتصعيدها طبقا للاهداف الوطنية والقومية الموحدة ، ومن منطلق الاستيعاب العميق لدروس التجربـة الهائلة الدائرة على الساحة اللبنانية ، والتي فرزت امورا اساسـية على نحو جذري لا يمكن ابعاده عن أي تصور للحاضر أو للمستقبـل. وكذلك ، يتمثل في الوعي الشامل بابعاد وهدف المؤامرة الجاريـــة في لبنان ، والشروط الاساسية اللازمة للتصدي للمؤامرة والحيلولة بينها وبين تحقيق هدفها .

ان خطورة المؤامرة ، باعتبارها غير مقتصرة على القطر اللبناني، بل تشمل القضية الفلسطينية من الجذر ، وتتصدى لحركة التحرر الوطني العربية ، تستلزم تقوية صمود الحركتين الوطنيتين اللبنانية والفلسطينية في عملية المجابهة الثورية الموحدة لهما .

وهنا تتجلى القيمة الحقيقية للحرب طويلة الامد ، التي هي من اولى سمات حرب التحرير الشعبية ، والتي تدخل في مسلمات حركة المقاومة الفلسطينية والعمل الفدائي .

واذا كان من غير المنطقي تراجع القوى المتآمرة والعدوانية عـن نهجها ، ما دامت لم تحقق أيا من اهدافها ، فان من غـــير المنطقي الانخداع باساليب تلك القوى من قبل الاوساط الوطنية والجماهـير الشـعبية .

ويفترض عدم الانخداع ، التحلي بالنفس الثوري وعدم التعامل مع الصراع القائم وكأنه مشكلة لابد من حسمها زمنيا بالتسـويـــات والتنازلات . وان الموقف الثوري المجيد للحركتين الوطنيتين اللبنانية والفلسطينية يقدم امثلة مشرقة في ادراك خطوات الاعداء والاساليب التي يعتمدونها .

وانطلاقا من اعتبارات الحرب الثورية ، حرب الشعب التي قد تكون طويلة الامد ، فان التمرس الكفاحي المسلح الذي يتنامى في لبنان بصورة باهرة ومتميزة في التاريخ ، قادر على احباط الفصول الخطيرة من المؤامرة .

بالمقابل ، فان النظام السوري وضع نفسه في موضع لا يحسـد عليه مطوقا اياها بمشكلات خطيرة . ان الجماهير العربية في القطـــر السوري لا ترى اية مصلحة لها في العدوان على الجماهير العربيـــة اللبنانية والفلسطينية وتعريضها باستمرار للابادة .

وبالعكس ، فان الاعباء المادية والمعنوية التي تدفـع ثمنهـــا ، والتضحيات القسرية ، وخسران العديد من ابنائها في حرب غادرة ضد الاشقاء ، تضع بينها وبين النظام السوري هوة كبيرة لا يمكـن تسـقيفها .

كذلك الامر بالنسبة للقوات العسكرية التي سرعان ما تتلقـف ارادة شعبها وتتململ حتما في ظل وضع عدواني مفضوح ليس بالامكان تبريره .

وعلى الصعيدين القومي والعالمي لم يجد النظام السوري مـن ينتصر له من قبل الاحزاب والقوى والاوساط التقدمية والخيرة بـل قوبل بالادانة والاستنكار من قبل الرأي العام العربي والعالمي ، الى الحد الذي حشر فيه نفسه في زاوية حرجة ، لا تسمح له بالذهـاب بعيدا في التوغل العدواني داخل لبنان .

ان العدوان طويل الامد كفيل بتشظية قوى المعتدي ، وانهاكه حتمـا .

بالطبع لا يغفل احد دور الدعم الامبريالي غير الاعتيادي للاطراف المشتركة في الهجوم العدواني ، ضد الثورة الفلسطينية والحركـة الوطنية اللبنانية والجماهير . الا ان الحقيقة المواجهة لذلك ، هي ان الموقف القومي العربي الموحد في الانتصار لحـركة المقـاومـة الفلسطينية وللقطر اللبناني ، ودعمهما بارقى اشكال الدعم والتضامن، كفيل باسناد الصمود الكفاحي المسلح مهما طال امده .

ومن هنا تعطى لموضوع التضامن مع الحركتين الوطنيتين اللبنانية والفلسطينية اهمية استثنائية ، بالمنظور التالي :

أولا : ان التضامن يجب ان يكون متميزا تقرره سببا ونتيجـة قومية الصراع الدائر في لبنان ووحدة مصالح النضال العربي . فالنضال اللبناني الفلسطيني يتبوأ الان مكانة طليعية في مجمل عملية صـراع الامة العربية ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية . وبالتالي فـان انتصارات النضال اللبناني الفلسطيني أو اخفاقاته سرعان ما يرتسم مردودها على مصالح الامة العربية ونضالها القومي .

ان التضامن المنشود ، يجب أن يكون اكبر مما تطرحه كلمـة التضامن في مجال دعم الاصدقاء .

واذا استطاعت الاحزاب والقوى التقدمية ان تتوصل في مرحلة سابقة الى صيغة الجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية والتأكيد على كلمة « المشاركة » بما تحمله من معان اكثر دقة من « المساعدة » بالمفهوم السياسي ، فان التضامن مع الثورة الفلسطينية والحركـة الوطنية اللبنانية ، يجب ان يتجاوز الاشكال التقليديـــة للدعـــم والمساندة .

وبالضبط ، ان التضامن العربي يكتسب معانيه الحقيقية من خلال الطرح المصري : وحدة الكفاح ، وحدة الموقف ، وحدة مصالح النضال العربي ، واستقطاب ذلك بتمامه في النضال الفلسطيني اللبناني .

ثانيا : ان امكانات الدعم الامبريالي للافواج اليمينية المسعورة ، والظروف التي اتاحت وتتيح للنظام السوري الغزو العسكري السريع، والمحاصرة ، وخنق مداخل لبنان ومخارجه وصلة ذلك بامكانات العدو الصهيوني الرابض على الحدود اللبنانية واعتداءاته المتلاحقة ، تضع العرب امام مسؤولية قومية تاريخية ، بتقديم الدعم المؤثر ، وانتهاج الاساليب الضرورية لفرض التراجع والانسحاب على قوات النظام السوري العسكرية والدفاع عن حق الجماهير اللبنانية والفلسطينية في الذود عن كرامتها الوطنية . كما ان مسؤولية الاصدقاء ، وبالاخص القوى التقدمية المتحالفة والمتضامنة مع حركة التحرر الوطني العربية، والثورة الفلسطينية محور تلك الحركة ، مطالبة برفع مستوى التضامن مع النضال اللبناني والفلسطيني . لان الانتصار الامبريالي في تلك الحرب القذرة ضد الجماهير يعني تعريض الثورة العالمية لاخفاق خطير ، وتعريض مصالح شعوب العالم كافة لاضرار فادحة .

ثالثا : ان التضامن مع النضال اللبناني والفلسطيني يجب ان يتصاعد الى مستوى ضرورات الرد على شراسة الهجمة الانتقامية ضد الجماهير وقواها الطليعية ، والتي لم تعد تميز بين احد واحد في عمى ضراوتها . فمن أجل ان تدمر موقعا وطنيا في مدينة ، تدمر المدينة بكاملها وتبيد الجميع . هذا هو منطق تلك الهجمة ، وخطها .

وان جسامة التضحيات اللبنانية والفلسطينية ، وقسوة الظرف الدموي الذي تجتازه ، والحجم الكبير للمؤامرة المستمرة ؟ وما يعنيه ذلك بالنسبة للجماهير اللبنانية الفلسطينية من عذاب لا يوصف ، كل ذلك يحتم التعجيل بتقديم دعم فعال على جميع الجبهات ، للحركة الوطنية اللبنانية وحركة المقاومة الفلسطينية، وممارسة الضغوط المؤثرة من اجل انسحاب قوات النظام السوري، وايقاف سيل الدماء ، وكبح جماح القوى الفاشية .

رابعا : ان مقررات المؤتمر الشعبي العربي ، في الدعم المادي والعيني والسياسي والاعلامي والاشكال الاخرى للدعم ، يجب ان تتحقق بالسرعة المنشودة ، وبصورة منهجية متكاملة .

مع ضرورة انتهاج الاساليب القادرة على اعطاء (التطوع) تطبيقه العلمي الملموس ، كيما تتوافر الامدادات البشرية ، الى جانب الامدادات المادية والعينية ، والاشكال الاخرى للتضامن والدعم .

خامسا : ان منهجية التضامن والدعم بالمعنى القومي والمصري، تتحقق من خلال بناء الجبهة الشعبية القومية التقدمية ، التي تعبىء احزاب وقوى ومنظمات الجماهير الوطنية المناضلة ، والتي يشدها برنامج كفاحي قومي وديمقراطي يستجيب لارادة ومصالح الجماهير في النضال من أجل تحررها الكامل والشامل ، وتجسد ضرورات المرحلة في التصدي للهجوم الامبريالي بقيادة الولايات المتحدة الاميركية ، وتساهم في تعزيز المواقع التحررية العربية والدفاع عن المكاسب الوطنية والقومية والديمقراطية .

وان اقصى الوعي واليقظة ازاء احتمالات تصدير الدوائر الامبريالية لطبعات جديدة من المؤامرة ضد لبنان والمقاومة الى مواقع عربية اخرى ، هو امر ملح .

سادسا : تتحمل الحكومات العربية مسؤولياتها في تطبيق قرارات الجامعة العربية ، والتصدي لمواقف الخرق والتحايل من قبل النظام السوري والقوى المشبوهة .

سابعا : استنادا الى المعنى القومي المصيري للتضامن ، فان من الضروري تكثيف التوجه الى الجماهير العربية وقواتها العسكرية في القطر السوري للمشاركة في الموقف التضامني .

ان الجماهير تدرك ان عدوان النظام السوري ضد الجماهير اللبنانية والفلسطينية ، هو عدوان عليها أيضا ، ولذلك فهي واحزابها وقواها الوطنية الغيورة مدعوة الى تأدية دور مشرف في الضغط على النظام ، ومحاسبته ، والانتصار للثورة الفلسطينية وللحركة الوطنية اللبنانية .

ثامنا : ان الدعم الاعلامي للثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية ، يجب ان يتطابق مع المعنى القومي المصيري للتضامن ونجدة الثورة الفلسطينية والجماهير المناضلة في لبنان . وكما ان التضامن ليس ممارسة اعلامية بحتة بل مهمات تضامنية مصيرية ثابتة ، فان الاعلام المستجيب لنداء تلك المهمات المصيرية يجب ان يتجاوز الحدود التقليدية للاعلام . ولابد ان تتوجه جميع ادوات الاعلام ووسائطه وانشطته الى ما يجري على الساحة اللبنانية باهتمام عميق ومتابعة جادة تخدم النضال الفلسطيني واللبناني ، وتعزز تلاحمه ، وتقوي أواصر التحالف القومي التقدمي من أجل الانتصار للبنان والمقاومة وردع المؤامرة اللئيمة .

« الجمهورية » البغدادية ٢٧ تموز ١٩٧٦

عبدالكريم شمس الدين

هذا زمن للموت

قليلا ونبدأ من حفرة في الطريق
ومن فوهات البنادق ،
نبدأ من رحم الارض مثل الاجنة
خلقا جديدا
على صهوات الدم
النصل شرع باب الخروج الى عالم
تتواصل فيه الدماء ووهج
الحرائق .
قليلا نغادر اجداثنا ونسابق
اشواقنا
لغد مثل عمر الزنابق .

شرعت الابواب فهات يديك وخذ
كفني
علمني كيف امارس خطوى فوق
الرمس
وكيف اقلم اجفان البكائين على
الاجداث
اخلع ثوبي التاريخي
اجدف ، العن اجدادي
وابارك وطني الضالع في الحرب
واغرق ايامي بزعاف الدم
اهدر مثل الشلال على ساحات
الوطن المطعون .
أحطم وجه المرآة
والغي كل الصور الشوهاء
اغير وجه الحاضر
ابدل هذا الزمن العابث زمنا آخر .

ابحر خلف الاشرعة الحمراء
افتش كل بحار الدنيا
عن وطن لاتسكنه الغربان
اجلد وجه البحر
نبيا امشي فوق الماء .
آتي معجزة
اتقمص كل الاشكال واحمل كل
الاسماء

اشرع صدري للريح تزاملني في
رحلة صيف
انزف ثقل قيودي وتواريخي
اسقط كل الازمنة الغابرة
اسير على حد السيف
اخلع زمنا يتفسخ من حولي
ادخل زمنا يحمل اشواقي
ونبوآتي
وجها لايتغير في المرآة ولايتبدل .

اتسلق غابات الضوء
المتهدل من نافذة الكون وارحل
نحو الفجر الاتي رهوا
يتوزع عدلا بين الناس
ويوقظ كل الاجفان الوسنى
يأخذ شكل الفرح وشكل الجرح
يرتسم على خارطة الوطن المهور
عذابات
قوس قزح .
نتوهم أنا ندركه وهو بعيد عنا
نتوهم ان قد غادرنا وهو بداخلنا
يتعامل والشوق الى زمن

تتحول فيه الهجرة وعدا بالضوء
ونهرا يخصب كل الاشياء
يرسم خارطة لبلاد
لاتحمل لون الفزع وطعم الوجع
ولا الحزن المتجسد فوق وجوه
الاطفال
يمسح وجه الارض
يبدله وجها موسوما بالفرح
ونهرا يتعمد فيه الابطال

للحرب مساحات يختصر اليها
الشهداء الدرب
وللسلم دم يتحقق فيه السلم
وللاوطان فداء

هذا زمن للموت
وهذا جسد يبحر فوق الاسفلت
اصابع تتبادل عشق الزناد
وتدخل مرحلة الاشواق
اغنية حمراء تشاغل صمت الليل
المطبق فوق المدن المترفة
وتحطم كأس لذاذات العشاق
تأخذ كل العفن
وكل الوسن المتهالك فوق الاحداق
تزرع فجرا بنويا فوق الساحات
وفي الطرقات
وتعلن بدء الاشراق
تحمل وجع الحرف النازف كالورد
من الاعماق
تلغي صدأ التاريخ وتنتصر الاعماق

اغنية حمراء
يتوحد فيها لون الارض ولون
الشهداء
تتسلق جدران القلب
تعرش اوردة تطلق للريح دما
ورصاص
يرعد فيها غيم يحترف الامطار
جداول تتسابق نحو الارض
المعشوشبة
بنبض الفلاحين واحلام البسطاء
تتساقط برقا يأخذ شكل الحربة
موجعة ومضيئة
توغل في الاحداق وفي الاعماق
تمد جذورا للزمن
ولاتغلبها السكين
تصلب ليل المحرومين على شرفات
القصر
وتبدأ زلزلة التكوين .

« الاخبار » البيروتية
٣ تموز ١٩٧٦

« الشعر والمعركة »

في اوائل تموز الماضي ، اقيم في النبطية ، لبنان الجنوبي، مهرجان شعري تحت شعار « الشعر والمعركة ». وننشر فيما يلي ملاحظات صدرت في مجلة « الاخبار » البيروتية (١٠ تموز ١٩٧٦) حول هذا المهرجان

لعلهم يصلون الى مستوى واقعنا الاجتماعي

القصائد التي قدمت في مهرجان «الشعر والمعركة» الذي اقامه المجلس الثقافي للبنان الجنوبي كانت ، حسب قصد اصحابها ، محاولة انتاج شعري جديد في اطار « المعركة » . ذلك ان هذه القصائد كتبت جميعها في هذه الفترة الزمنية .

ولعل هذا القصد يحمل دلالة هامة ، هي ادراك الشعراء ــ وهو ادراك صحي ــ بضرورة التغير الشعري الذي تفرضه تحولات واقعنا الاجتماعي ، ومثل هذا الادراك هو الخطوة الاولى التي لا بد ان تسبق المحاولة ، كما ان المحاولة هي الخطوة الثانية ــ الخطوة العملية الطامحة الى تحقيق هذا التغير . فهل انتقل الشعراء بالقصائد التي القوها في المهرجان من خطوة ادراك ضرورة التغير الى خطوة محاولة هذا التغير محاولة فعلية وجدية والى أي مدى ؟ . .

الانطباع العام يفيد ان معظم القصائد كانت اقرب الى التحويم في عالم اصحابها الشعري السابق وانها لم تتمكن من الدخول ، شعريا ، الى عالم واقعنا الاجتماعي الذي يتكون ونعيشه ، وليست الفاظ الدم والاستشهاد، والم الفراق والموت بدليل كاف على دخول القصائد الى هذا العالم ، بل لربما كانت اقرب للدلالة عن رؤيته من بعيد .

كما يفيد الانطباع العام ان معظم القصائد ما زال يعاني صعوبة التحرر من الشكلية والتجريد ويتعثر في اكتساب التميز الشعري لصاحبه .

ان حسن عبدالله الذي يتمتع بامكانيات شعرية كبيرة تجلت في العديد من قصائده نراه هنا لا يتجاوز هذه القصائد مقدرة شعرية ، بل لعل قصيدته الجديدة التي القاها تظهر ، على ما فيها من وضوح في الموقف الجديد ، لاجمة لهذه الامكانيات . ويظهر اللجم في علاقة الضرورة بين المعاني من جهة والالفاظ في تشكلها من جهة ثانية .

المعاني التي تنتجها التحولات الاجتماعية والتي هي في الوقت نفسه حياة المجتمع على مختلف المستويات فيه، ما ظهر منها وما خفي ، وفي مختلف الابعاد والخلفيات والتطلعات ، اي التي هي حياة المجتمع في صيرورة التجاوز المستمر .

وهذه المعاني التي تنتجها التحولات ليست وجودا مجردا في المجتمع ، بل هي وجود مادي في اشكال تعبيره المختلفة والتي منها سلوك الناس وعلاقاتهم ببعضهم ، ولغتهم المادية المعبرة عن احاسيسهم ورؤاهم وعالمهم اليومي بجوانبه النفسية والمادية وبكل الهموم التي تحتل سويعات عيشهم وزوايا ذاكرتهم .

الا ان اشكال التعبير التي ذكرنا غالبا ما تبقى قاصرة عن الاحتواء العميق لهذه المعاني وعن امكانية النفاذ الى الابعاد التي ذكرنا او لنقل عن الوصول الى ان تكون على مستوى صيرورة التجاوز المستمر . من هنا كان من مسؤوليات الشعر ــ والفن عامة ــ مسؤولية محاولة الوصول او الوصول ، الى هذا المستوى .

ومحاولة وصول الشعر الى هذا المستوى تعني تحقيق هذه الضرورة القائمة بين المعاني المطروحة في اوسع ابعادها واغناها وبين الالفاظ في اوسع قدراتها على تفجير هذه المعاني وتطويرها . ومن هنا تنشأ ضرورة التغير ، تغير اشكال التعبير التي هي في الشعر اللغة ، اللغة ــ الالفاظ في قوانين انتظامها وبنائها .

وارتباط المعنى واللفظ بعلاقة ضرورة يعني ان اللجم للقدرة الشعرية ليست تقصيرا في تغير اللغة الشعرية او ادوات التعبير الشعري وحسب بل هي ايضا عجز في امتلاك المعاني التي ينتجها الواقع الاجتماعي في عملية تحوله وتكونه الجديد وعجز في كشف ابعادها .

ومن هنا كانت محاولة التغيير هي محاولة امتلاك وعمل ، امتلاك للواقع وعمل على مستوى اللغة او الادوات، والامتلاك لا يكون بالنظر الى الواقع من بعيد بل بممارسته فعلا ، بالمشاركة في عملية تكونه ... والعمل هو عمل واسع في حقل الشعر ، عمل يعرف الشعراء صعوباته ، وبدون ذلك يبقى ادراك ضرورة التغيير ادراكا مبدئيا وربما مطلقا .

ولقد كانت قصيدة شوقي بزيع الثانية (عناوين سريعة لوطن مقتول) في بعض مقاطعها توحي بهذا الامتلاك وبهذا العمل ، وبذلك جاءت تعبيرا عن محاولة جدية للتغير ، التغير لجهة التحرر من الشكلية والتجريد وفي اتجاه اكتساب صفة التميز . هذه المقاطع كانت تعانق الواقع شعرا وتقوله شعرا وهي اذ تعانقه وتقوله لا تختنق به بل تنوجد به لينوجد فيها ابدا . لعل شوقي يمتلك هذه المحاولة فيطلقها . ولعل شعراءنا الذين استمعنا اليهم في المهرجان يصلون الى مستوى المعركة، الى مستوى واقعنا الاجتماعي التاريخي الذي نعيش ، هذا الواقع الذي عبر محمود درويش عن عمق المأساة فيه حين انتهى بقصيدته الى القول .

« ولذا يكتب الراوي على كل البيـــوت
الحقيقي يموت »

يمنى العيد

* * *

انها امسية تضامن !

خمسة من شعراء الجنوب التقوا ظهر الاحد الماضي في النبطية ، والقوا بعض قصائدهم عن نافورة الدم اللبنانية والارض المثخنة بالجراح . والشعراء هم شوقي بزيع وحسن عبدالله وعبدالكريم شمس الدين ومحمد عبدالله والياس لحود . وذلك في لقاء اول نظمه المجلس الثقافي للبنان الجنوبي ضمن سلسلة مماثلة .

في هذا اللقاء اخترق المجلس الثقافي للبنان الجنوبي اشكالا متعددة من الحصار ، ابتداء من تفرق الاعضاء والاصدقاء في مهمات المعركة وواجباتها ، ومرورا باهوال النقل تحت قذائف الغزو والفاشية ، وليس انتهاء بالقلق الكبير على مصير الوطن والارض امام المؤامرة الكبيرة .

الامسية الشعرية كانت تحت عنوان « الشعر والمعركة » . كما سبق الشعراء كلمة تقديم لعصام عبدالله وكلمة تبرير ، اذا صح التعبير ، لان يكون عنوان الامسية، هو « الشعر والمعركة » ، لحبيب صادق . اما التاثير العام للامسية فربما يوضحه حديث قصير بين كاتب هذه السطور واحد شعراء الامسية . فقد قال الشاعر انه لا يملك ان يكتب الان الا ما هو تحريض للناس ودفع لهم الى الثورة . وقد يقترب ما يكتبه ، بدرجة كبيرة ، من المضامين المباشرة والى ما يحتاج اليه الناس من معرفة عن المأساة اللبنانية .

ولكن ماذا كان الشعر قبل المأساة اللبنانية منذ ستة عشر شهرا ، او ماذا يكون الشعر في جوهره قبل أي وقت من اوقات الشدة ان لم يكن دفعا وتحريضا ، وبشكل او باخر ؟ وبالتالي لماذا كان هذا العنوان الساذج منذ البداية : الشعر والمعركة ؟ ولماذا ايضا حديث الاستاذ حبيب صادق عن بابلو نيرودا الذي لم يزد كثيرا في المعرفة بنيرودا او بنظرية الشعر ـ المعركة التي لا تحتاج الى كثير تنظير ؟

واذا كانت قصائد بعض شعراء الامسية نفذت الى اعماق ذلك التحريض الذي تحدث عنه شاعرنا ، فان البعض الاخر من القصائد لم يتنفس بعد من هواء لبنان المفعم بالموت ودخان الحرائق وشظايا القذائف ، لم تتنفس من الهواء الحقيقي الذي يتنفسه اللبنانيون . والانطباع الذي قد تكونه الامسية لدى قادم من الجبهة هو انها امسية تضامن لشعراء لبنانيين مع قضية لبنان، لا شعراء مقاتلين في معركة الوطن المهدد . وتكرار كلمات «الشهيد، الدم الالوان الحمراء ، الموت ... » لا تغني عن حرارة وتحريض ظلا مفقودين .

لعل شكل الامسية الشعرية ، وامام جمهور مختار يأتي مرتاحا ، لم يعد ملائما للهواء اللبناني الحقيقي . ولعل مشاركة الشعراء في الاحتفالات بالشهداء والمناسبات العامة المشحونة بالتوتر والغضب والتحفز هي الافضل لكي يكون للشعر ذلك التحريض وذلك الاثر النفاذ والمضيء.

نزار مروة

نزار مروه

« كوابيس بيروت » وغادة السمان

في عواصف الاحداث اللبنانية التي تتصاعد في حدتها فهـا، ليس هناك ما يدهش في ان يحجز انسان اسبوعا أو اثنين في بيت مجاور لمعارك الفنادق الشهيرة ، وحيدا تقريبا وفي ظروف حياتية مستحيلة .

لكن غادة السمان تجعل من هذه التجربة موضوعا مدهشـا ومادة مبتكرة للاختبار الانساني والفني . فقد نشرت في مجلة « الاسبوع العربي » . وعلى مدى عشرين اسبوعا تقريبا ، يوميات هذه التجربة ، وتحت عنوان واحد هو « كوابيس بيروت » . وقد وصفت في هذه السلسلة وبنثر جميل ، تفاصيل حياة فتاة حجزت اياما طويلة في بيتها القريب من الهوليداي ان ، والفارق في محيط من الرعب والموت والقذائف . ولم يكن الى جانبها سوى العم فؤاد وابنه أمين والخادم ، وذكريات صديقها يوسف الذي قتل على حاجز ، والذي « يأتيها » والثقوب تزداد اتساعا في جسده مع اقتراب الموت وتصاعد الانفجارات .

تختلط في اليوميات عناصر انسانية مختلفة من الضعف البشري المبرر الى الصفاء الفكري .. الى التناقضات والتمزق النفسي . وقد سبق للفتاة ـ ولا يهمنا ان كانت هي غادة نفسها ام لا ـ ان امضت عشر سنوات في الدعوة للثورة .. كما انها كاتبة وفنانة ، وفي ذلك ما يضفي على اليوميات نكهة العمق والغنى والتنوع ، وينشرها على قوس يمتد من الثرثرة المحمومة الى القلق الوجودي عبر اشارات قاتلة الى اسباب ومسببي هذا النزيف الرهيب .

تأخذ الكوابيس امتدادها الحر الى عالم عنيف لاحدود لهمجيته. هناك الطبيب الناجح الذي مل محبسه فتحول الى قناص .. وسائق التاكسي الذي تخطى بركابه كل الحواجز ، حتى حاجز العقلانية حين توقف وقتل ركابه السبعة . لكن هذا العالم يصبح لاقط اصوات مرهفا ، كالرصاصة المتجهة الى هدفها ، حيث يتحول « الجسد الى جهاز في غاية التعقيد والدقة لتنقية الاصوات وفرزها » ، فتلتقط الفتاة صوت الاكورديون البعيد البعيد يعلن نشيد « الوردة هي ما يهم » الذي يتساوق وخطى المقاتلين (لا القتلة) . (الاستدراك لغادة) .

وهكذا لم يبق امام غادة الا خطوة واحدة لتتجاوز شهادة المتفرج ومعاناته ولتشير باصبع الاتهام الى المسبب التاريخي لهذه اللاعقلانية.. الى الخطأ التاريخي ، لا الجغرافي ، الذي جعل « السماء تمطر حديدا لتقتل ابراهيم مرزوق » . ذلك ان وصف مشاهد الموت « الجميل » والموت الغبي خارج قضية التغيير غير مجد ، ويمكن ان تستخدم ضد الذين « حملوا السلاح من اجل ان تظل الحياة نقية وعذبة كوردة لا تذبل » ، وضد الذين استشهدوا في كفر قاسم !

وبالفعل كيف يمكن تصور هذا العالم السخيف حيث « ثمن قطعة فضية واحدة يساوي ثمن مكتبة ؟ » غادة تبشر بزوال هذا العالم من ذاكرة التاريخ حينما وصفت موت العم فؤاد الذي اصبح « مثل فزاع طيور يحرس حقلا من الرماد » . لقد مات العم فؤاد « وحوله فضياته الثمينة التي لفها بعناية ، وكان يرتدي ثوبه العثماني الرسمي العتيق ، وقد ملأ صدره بنياشينه العتيقة كأنه في انتظار زائر هام » ، وحقا لم يخلف الزائر موعده !

من الصعب الاعتقاد ان عشر سنوات من الكتابة للثورة تجعل الموت مريرا الى هذا الحد في مناخ الحد الادنى من الشروط الانسانية. ومن هنا تنبثق و « تزهر نبتة الكوابيس الوحشية » . فالموت الان يعني الخوف والحرمان من ضروريات الحياة اليومية ، الحرمان من الحنان والتواصل الانساني والحوار ... التي يصبح معها الموت محتملا وجميلا ، الحرمان من الجريدة والبوصلة والمعرفة والقراءة. لكن هذا الحرمان لا ينفي المقدرة على الكشف والاتهام ، حين نقرأ حكاية السائح اللبناني الوحيد في لبنان ، سليل المردة ، الذي ذهب ـ قبل هجرته ـ الى مرقد عنزة جده وحفر تحت روثها ، فلم يجد الا مزيدا من الروث ، لكن لم يجد احجار الاشعاع المسحور كما وعدوه . لقد وجد ذلك السائح الوحيد مفتاح القضية كلها في تل الزعتر و « حمراء » برج البراجنة وحزام النار حول بيروت ، وفي الجنوب ايضا حيث اعطى رغيفا معجونا بالشوك ومغطى ببقع الدم يسد به جوعه . المفتاح وجده ذلك السائح الوحيد الذي شاهد انهيار سيرك الازدهار والمعجزة اللبنانية !

ان الخطأ ليس في « الموقع الجغرافي الخاطيء » ، بل هو في الموقع التاريخي الخاطيء . وعندما تكون غادة في الموقع التاريخي الصحيح ، فانها تشع بالومض الرومانسي الكشاف والحس الصادق بان دراما لبنان الراهنة تحمل في قلبها بذور تخطيه ومقومات لغده الافضل .

بعض « كوابيس بيروت » نستطيع قراءته على انه قصص قصيرة تقترب من الكمال في بنائها وفنيتها . هناك مثلا مأساة الممثل الذي يشبه الحاكم شبها عجيبا والذي يطلب منه ان يستلم الحكم بعد موت الحاكم والا تعرض للقتل . وقصة شاكر ، صاحب الدكان الذي تلاشى في حريق سوق سرسق ، شاكر الذي تحول الى « صياد » بعد ان كان المسلحون يصطادون غلة عمله المرهق . وهناك قصة الطبيبة النسائية التي تنتظر عبثا ان يتم استدعاؤها لصنع طفل حقيقي ، بينما تتشاغل هي بصنع تمثال من طين ، ثم تصبح الطبيبة « اما » عبر اصابعها الخلاقة وعبر معاناة سوريالية باهرة .

واذا كانت « كوابيس بيروت » نشيد رثاء لبيروت ، فانها ايضا رثاء لعالم باكمله ولعلاقات باكملها . وبذلك يمكن ان ترتفع الى مستوى تسجيل روحي لوجه من وجوه عذاب بيروت واشارة الى وجه من وجوه خلاص بيروت ايضا !

ملاحظة : كل النصوص الواردة بين مزدوجين هي لغادة السمان...

« الاخبار » البيروتية

١٠ تموز ١٩٧٦

احمد صافي

بطاقة انتماء الى الوطن العربي

ـ ١ ـ

تعرفني ارضي العربية طفلا ـ
ينتقل في الاحياء ـ يبيع « العلكة » يا بيروت .
يحمل « صندوق البويا » يمسح احذية (النبلاء) ـ
حذاء احمر مغبرا ، متسخا ابيض ،
اسود ـ عرفتني سابق ذي عهد بلدي ..
يعرفني ـ حي المصرارة ، باب العامود .

ـ ٢ ـ

يدفعني الحب لاطفال العالم ان احمل رشاشا ،
ما عاد الصمت يفيد بشيء يا وطني :
ما عاد لشعري فائدة ، في وقت اصبح فيه رغيف الخبز ـ
هوية انسان يكدح يومين ، ولا يلقى أكلا فيموت .

ـ ٣ ـ

تدعوني بلدي ان اتقن قتل الاعداء ،
اشارك في خلق الانســـان
« الرفض » تعمق في ذاكرتي ـ في الاحساس
« جاء الحـق ، وزهق الباطل ـ
« الثورة »هدمت كل أساس
ان البـاطل كان زهوقا » .

ـ ٤ ـ

بلدي .. يا بلـدي .. يا بلدي
هذا زمن العنف الثوري .. الردع ، وتحديد الاشياء ـ
وبقـر بطـون المتخومين
الارض تميد .. تميد .. تميد ،
الجـوف يمـور ،
اقول سينفجر البركان

ـ ٥ ـ

تعرفني ارضي منذ الصغر اموت ابيا ـ
لا اركع خوفا من سوط المأجورين .
يعرفني الجوع .. الليل .. النجم .. الطير
القمر .. الصبح ـ صديقا ،
تعرفني اشجار اللوز البرية ، اشجار الكرمـة ..
تعرفني اشجار التيـن ،
ينابيـع الوطن المحتـل ،
هضـاب القدس ـ
ازقـة بلدي ، سـهل جنين ،
وجبل النـار ، ورام الله ، وغـزة ..
هذي ارض الثورة ـ بلدي تعرفني ـ كل فلسطين .

ـ ٦ ـ

بلدي .. يـا بلدي .. يـا بلدي ـ
تعرفني الارض العربية طفـلا ـ
ينمـو في الاحيـاء .. على الطرقات
يبيع « الشو مر » والزعتر ،
يقتات « العليق البري » بطعم التوت .
يعرفني العـالم يـا بلدي ـ
طفلا مهمورا بالاختام على كفيه ،
عـلى قدميـــه ،
على شفتيه ـ تجمع كل ذباب العالم في وطني .
عرفوني ـ الساكت مذلولا .. ينمو .. لا ينمو ..
ما عرفوا اني تحت الجلد اخبىء حقدا طبقيا ـ
غضبا .. بركانا امهله ـ لا اهمله
ما قرأوا تاريخ الثورات الشعبية والكونية

ـ ٧ ـ

تعرفني الارض العربيـة ،
يعرفني « المسلخ » و « الجية » و «ضبية »
تعرفني « الدامـور »
شـوارع « بيروت » العذراء ـ المغتصبة ..
بيروت الثيب ،
على كتفي تحط هموم العمر الضائع ،
بين فنارات العائم ـ في هذا القرن ،
ـ القهر على وجهي « سمة »
والفرح سجين ، خلف عظام الصدر
البسمة شنقت منذ سنين مات الجسد
وهذي روحي يعرفها كل الفقراء .

ـ ٨ ـ

اني من صلب الاباء ولدت فقيرا لا انكر .
اعيش فقيرا ـ لا انكر
لكني اصرخ اذ ينكر اني انسان ! ..
افجر كـل عذابات العمر المحروم ،
واشعل نارا اوصلها في كل مكان ـ
حـط القهر عليه جناحيه السوداء ،
افجر ارض العرب براكينا من نار بدل النفط ـ
فلا يبقى وطني ـ قطعا .. اشلاء تنهشه الغربان ،
وحوش الغـاب التتريين ،
أنـا انســان .

مجلة الصمود ـ ١٤ ايار ١٩٧٦

هادي دانيال

اوراق للحرب والضجر

١ ــ امتص احشاء لفافتي ، واناجي وردة الحلم ..
ووردة الحلم ليست امرأة كما قد يخيل لكم ــ انها مدينــة تعرفونها ، وتجهلونها أيضا !.
ليست أبنية وشوارع تضج بها عربات امراء النفط ــ انها قلب ينز دما .
بين أصابعها خواتم الغزاة ، افرد شـــــعرها بين اناملي .
وأتابع الحلم :
في قمة الجبل اعري امرأة في الليل ، نحرق كتب الباطن والظاهر .. نجرع العرق ، ونرقص حول النار ، ونذرو رماد السرطان في الريح ! .
أهب في شوارع مدينة القلق ابتسامة ينخر اليأس خضرتها ، ومظلتي تقاوم المطر المسلح بالرياح ، تبرق السماء ، وتغتصب الطفولة لان الحرب حصدت رأس أمها ، وتنتسب عينـــــاي للينابيع !.
يدي لم تومىء للشمس ، لانه موسم الليل والشتاء ..
وابتسامتي لا جذر لها في القلب ..، وتذبل اللفافة منتحيــة قبرها ..
قالت الشجرة : مر بي شارع بين عينيه تقطيبة الخجل .
قالت « الشياح » : قرفت الجثث .. اين أشعة الشمس ؟.
قالت الارض : سئمت نفسي قبرا ، اين قبري ؟.
ولم تهمس العصافير ، لانها مشنوقة من حناجرها باغصان اعمدة الهواتف .
قال الجفاف : لا خريف لي .. ،
وقالت الامطار : اضعت لوني .. ،
والمقاتلون لا ألسنة لهم ، لقد لجمت أفواههم بالبنادق ...
قال العاشق : من قتل حبيبتي ؟
قالت العاشقة : من قتل حبيبي ؟
وأنا أكتب ضجرا ، وليس عندي ما يقال !..

★●★

٢ ــ لن اقرأ الآن ، سأكتب .
فاضت الذاكرة :
قال محمد : احمله كالصليب في شوارع الكبت .
تمتم سيف : علي ان ابني حزبا ثوريا .
لهج أمير : اغتصبت عذريتي بين المتاريس .
قال حيدر : المدينة تحترق .. لست حطبا ..
همهم أبو توفيق : فرغت زجاجة النبيذ .. ،
قال شريف : فليذهب العالم الى الجحيم .. ،
حدق نديم : انفجر البكاء من قلب امك ، وعيني ..
وقبل ان افتح فمي ، دوى انفجار بعثر الصمت على جـدران الغرفة .

★●★

٣ ــ عانق لهب الكبريت فم اللفافة ..
حنان تبرز مفاتنها ❋ ايمان تقنع نفسها بالتصوف والاكتفــاء ذاتيا ❋ يسرى تنتظر المنقد الذي لم يات ❋ ثائرة تفتش عن اسرة رجال السياسة الشاغرة ❋ فريال تمشط شـــعرها ، وتحلم بالبلوغ ..
وقبل ان تنفجر القهقهة في حلقي ، اختنقت بذكرى موعـــد غرامي !.

★●★

٤ ــ نامت المدينة ، وذاكرتي تنبع :
فايز خضور : فان جوخ بتر اذنه ، ابراهيم زاير : لمــاذا انتحر مايا كوفسكي ؟ ،
هتلر : عزيزي الشيخ بيير نحن بخـــير ! طمنونا عنكم ،
جين فوندا : كان حلما مزعجا ! لقد زرت مكة ، محمد الماغوط : عزرا باوند كان نازيا ..
بعد ان مضغت لقمة الخبز والسردين ، ابتدأت حرائق التبغ. سأكتب حتى الصباح !

★●★

٥ ــ ناتالي ساروت ، تنهض من قبرها ، وتتجول في عين الرمانة ، وقبل ان تسجل اولى قصصها القصيرة جدا ، تريحها رصاصة قناص الى حفرة في جسد الشياح .

★●★

٦ ــ هالوركا بربابته ، يغني على ايقاع الرصاص ، ويبتسم لبنادق الاطفال الخشبية .. وقبل ان اردد وراءه كلمات الاغنية .. انقطع وتر في حنجرتي .

★●★

٧ ــ البلابل استحالت قنابل انهمرت فوق الاشرفية ، وقطعان الفيلة استحالت ملالات دمرت في القنطاري ..
وفي « كفر شوبا » ينزف جسد ابي ذر وعيسى بن مريم !.

★●★

٨ ــ يطلعون من البحر بنادق وازهارا ، ومن البيوت وبين الاشجار تخرج البنات مزينات بالاصباغ ..
عادوا من الحرب مسربلين بالانتصار الواقف مذهولا على بوابات المدينة المنهوبة .. كان حلما ، ولا تفسير له .

★●★

٩ ــ خبأت في ذاكرتي طائر المستقبل ، واطلقت من حنجرتي نعيــق البوم .. لان الرصاص غبي يهمه القتل وحسب .

★●★

١٠ ــ دقات الساعة تعلن تمام السابعة صباحا ، وكالعادة ، ينهض العامل والموظف والتاجر ، وقد تشرق الشمس على المدينة ، وقد يكون يوما ممطرا ويطل الاطفال فرحين ، او مذعورين من النوافذ او الشرفات .. ،وقد اصل الى المطبعة سالما ، فالحركة بدأت تدب حذرة في الشوارع ، لانك لاتضمن جسدك من رصاصة طائشة ، او شظايا صاروخ يمد يده قائلا : صباح الخير !

« الهدف » البيروتية
١٧ كانون الثاني ١٩٧٦

أحلام مستغانمي

سقطت اوراق التوت

هذا الزمن المتقلب مثل الـ « ق .. » ...
يتقن كل الاوضاع
يحمل كل الاسماء
(ثوار ـ عهر ـ تضحية ... وغباء !)
يحمل كل الالقاب
لما تغدو الوطنية حزمة اوراق في المتحف
يعرضها الحكام امام السواح
ينفرد السرّاق بمفتاح
تتساوى كل الالقاب
(سمسار ـ ملك ـ قواد ـ ضابط بوليس ـ بواب !)
فلتفتح كل الابواب
لجياع العالم والشهداء !

* * *

يا آخر من يشبع
بشرى .. سيجيء العيد
(زادت قائمة الشهداء شهيد .. .)
ما بين الاول والثاني
سقطت عمان ...
ما بين الثاني والثالث
سقطت سيناء
ما بين الثالث والعاشر
سقط الجولان !
تتساوى كل الاسماء !
يا آخر من يشبع
من اين يجيء الجوع مساء العيد
لا زالت قائمة الشهداء تزيد ...
. . . .
والآن ... دمشق ؟ !
. . . .

هامش ١

يا مال الشام   ياالله يا مالي
طال المقام   يا حلوة تعالي

* * *

الآن نحاول ان نفهم
كيف يموت الطيار العاشر
مشنوقا . . .
او مرميا في ساحات الاعدام
ونحاول ان نغفو ...

* * *

يا آخر من يفرح
هذا زمن الضحك الباكي
فلتضحك حتى تبكي
(سقطت اوراق التوت عن العورات الرسمية
وتعرى كل الحكام
(العنكم !)

هامش ٢

(شام يا أمة ماض حاضر أبدا
. . . .)
يحضرني الليلة وجهك القديم والجديد
تحضرني نشرة آخر الاخبار
أرفع جثث الرفاق في حاملة الاثقال
احفر للجميع قبرا واحدا عميق
اضحك يا دمشق
اسقط مثل امراة تجهض في الطريق
يحملني صديق
اروي له نكتة « تل الزعتر »
وابكي يا دمشق
لماذا يا . . . دمشق ؟
لماذا . . يا د . . م . . . ش . . . ق ؟

الجزائر

د . خليل احمد خليل

بير العصافير

« الى بيروت ١٩٧٥ »

خرج الليل وعاد سريعا
يبرق للاشجار سريعا
ـ يشعر ان الضوء كتابه
يشعر ان العين فراشه
يشعر ان الليل خرافه ـ
اصبح في منتصفه الجسر صريعا
اصبحت اغني في واد ، حنجرتي اضحت نبعا
موسيقى
الوانا ، وترا مقطوعا

بين الصوت الاتي والصوت الراحل
اصبحت اغني مغناة الليل الشاعر
(اذكر ان جفوني احترقت وقت الحب وذابت
لكن فراشة هذا الليل الشاعر
ضحكت من صوت الناي وذابت)
ما بال الوردة ، هذي الليلة ،
لا تقطر دمعا ، لا تحضن عشبا ، لا تغفو
ما بالي ، والناس اتوني بالوردة ؟

ـ ١ ـ

ورق الاعدام على طاولة الليل يناغي الرأس ويبكي
يتحلل في مختبر الاعمار ، يواسي الافاق المشنوقة
يضحك من صبر القوم ويضحك من ضجر الخنجر في الرقبة
ورق الاعدام يغني في قصر الاحكام السرية
يصعد رأس مثل النجمة فوق جفون الماء ويحكى
تنفتح الاذان ، الاعماق ، الافواه وتحكى
صار الحكى رواية شعب تحكى للرايح والاتي ،
تحكى ، تمتلىء الصفحات ، تفيض العين دموعا
يدرج نهر ، نهران ، ثلاثة
يبنى سد ، سدان ، ثلاثة
يحكم جيش ، جيشان ، ثلاثة
ورق الاعدام يسد النهر بجيش من رمل الصحراء :
ابجد . هوز . حطي كلمن . سعفص . قرشت .
قرشت . سعفص . كلمن . حطي . هوز . ابجد .
ماتوا في الحرف الابكم ، ماتوا في الجسد الابكم ، ماتوا في الوهم الاعظم
تخذ . ضدغ . لا شيء عليه . قام الالف الاعظم من بين الاموات

حطي . كلمن حطي . كلمن . كلمن . حطي .
قام الالف الاعظم ، قام الالف ، الالف ، الالف
هزي وجهك يا ناقة ابجد . ارخي حبل الالف قليلا
نامي كالخيمة في حضن الشعر ، وهاتي . نرقص رقص المعـول !

تخجل صاحبتي في عنق الموت ، وتغدو رسنا للجوع ، لجاما
يستفنى الجوعى في سجن الهبل الاول
وتغن الطرف ، كأن لسان السجن نبى
ترجف تحت الغيظ ، تغنى من وجع ، تغفو ، وتغض كتاب العين

وتغفو ... ارخي حبل النوم قليلا .. ره حلما يشعل عينيك
ره نهرا يجذبك اليه ويمضي
تاج من ورق الاعدام وقتل الجوعى . من قهر النسوة ،
لص يسرق افواه الارض ، يسد سماء النور ، ليبقى
رأسا فوق رؤوس ، فوق قبور ، فوق الايدي والاعين ،
هل هذا تاجك ، ثوبك ، بعد الصبر وبعد اليأس ؟
تخجل صاحبتي من صنم يلجمها ، تخجل من جسد اخر يدنو ،
يتعطفها وهي العذراء الحامل شمسا ، ويطرزها وشماً ،
صاحبتي تخجل
يدنو ، تخجل ، يدنو ، تخجل ، ويطرزها وشما ، تخجل وتهز الالف الباقي من اسم الامة
تكبر صاحبتي ، يدنو منها الوسواس
تهز الحبل وتقطع ظهر الهبل المستلقى فوق تلال اللحم
وتطفىء عين العسكر

ـ ٢ ـ

سقطت من نافذة الورد في شوارع البراءة
ركضت مع بنادقي وكتبي ، حبرت وجهي بالبحار كلها
زورقت احلامي ومزقت عيني على مرآة الجبل المشنوق
هللت في هلال حواء ، ولم اجد آدم في البستان
ناديته في غرفة جائعة ، ودعته ، لا اعرفه
ودعته ولم اره . قالوا : اتاه الموت قبلها
فأنجبتني أنجبت قبائل الاحباب والاشعار والطيور
واغدقت بحارها على دم يفيض حربا ، ثعلبا ومحكمة
شهدت اني قاتل الاوراق بالكلام
قاتل الاوهام بالاوراق ،
اشتقت في سجني الى حـواء
رأيتها في الكازينو ، ترقص يالبنان ما احلاك ، ما احلى !
هربت منها ، هذه امي لا ، ولا قرينتي ، ولا ..

نهدت من شفاه الوردة البيضاء علني احيا ، ولو ...
جعلت من مياهها وجنسها الحياة لا تموت
اين هي ؟ باكية على يدي – وهي يدي – رأيتها تلبس
ثـوب الحب
تخرج من مقصوفة هناك ، تحت النهر ، في اعماقها
تلبس ثوب الحب ، ثوب الله ، ثوب الادم الذي اشتهيت،
تنظرني بدهشة نبية ، نبية ..

.. علمني التضاد ان اكون سنبلة
وبيدرا ، ومدرجا لطائرات الحرب والرحيل
فطرت من مطار صدرها ، وهي السفينة بعد نوح ،
وانا في فمها الرصاصة .
حلقت فوق قبرص اليونان والاتراك والعرب
اعجبني في الحرب كيف تلتظي النيران في حديقة المياه
وكيف يحيا الموت في اعناقنا كأنه اشتهاء
اعجبني موتي يطير حاملا رسالة ومبخرة
ويفقس الامواج في عين التراب
تغرغر الماء ، ولاح لي لبنان والزوارق المحترقة
واودعت صور بيوتها المتهدمة
كأنها عيون بحر ، او قصيدة ، او ارض
واغلقت بالنار والمطاط والرجال
دروبها الى العواصم الجرباء
واقفلت بحارها . كأنها الاسكندر لا يبتغي سواها
كأنما الموت على أجفانها لا يبتغي سواها

وحدقت قانا – يسوع مرّ من هنا – وسقطت قنبلة على
جسده ، الكنيسة الخضراء
والتمعت زبقين ، صديقين ،
مخيمات الحب ، والقرى ،
عاد يسوع وحده من بحر صور ، ليله مضاء
ودار في شوارع المدينة الموردة
ضاع على جدرانها بين الشعارات وبين السمك الصغير
– وحين اودعوه سجنه بتهمة المجيء
بكي يسوع ، لم يناد أحداً ، هذا زمان الصمت
وآثر الحب على الخطيئة
جعله موطنه ، جعلني شاهده في الماء –
وفي المساء اخرجوه حتى يبرىء الاطفال في الجنوب
فسار في ملالة تفرق الجموع ،
هنا بكى يسوع ، لم يناد احدا ، هذا زمان الصمت
والملالة الخطيئة .

عاودت قلبي ، زارني القتيل ، زارني الحبيب والصحابة
واخلفوا آياتهم على دمي ، حين اتى عليّ
بكوا مع التراب تحت « الشفرة المسممة »
تحت قنديل الفوسفور والنابلم
واضرموا النيران في عباءة الملوك والشيوخ
وقهقه النفط على اعتاب أمريكا وأوروبا
وفاض الخير من كل مكان
– هكذا احببت ان احكي الحكاية –
قالوا لهم : يا من تنامون على السبائك المذهبة
الم تروا الى الفانتوم تشوي شعبكم
الم تروا الى الحداد في بلادكم وارضكم
واختنق الكلام في مجلسهم حين اتى علي
كأنه يعيش كربلاءهم في آخر الجنوب
وحدق الحسين ، طأطأ الملوك والشيوخ رأسهم
وسقطت اخبارهم :
« اجتمع الملوك والشيوخ
وقرروا ان يذبحوا آمالكم على المدى الطويل
فانتبهوا ، انتبهوا ، انتبهوا » ،
هنا بكى الحسين ، اعطى رأسه للناس في الجنوب
واحتدمت تظاهرات الجوع والحرمان
احتدمت امواج صور ، غردت بنادق الشباب
ركضت مع بنادقي وكتبي ، حبرت وجهي بالدماء كلها
ولم تزل حواء مثل الارض تطعم الحروب والحضور
وآدم المسكين تحت الماء ناظرا ، منتظرا
لعله يأتيه ، قبل الساعة ، الرصاص والرفيق !

– ٣ –

تفور دموع الصليب ، تفور يداك ، السماء
وعيناك غور كخط الرمال ، كريح على خارطات الوعود
تعودين غابا – كما كنت يوما ، كما كنت بحرا ، كما
كانت الامنيات جنينا ، وكان الضياء
على مفرق الله حبا ، وكان الشتاء
على مفرق الارض عشبا ، وكان الطريق
مروجا ونهرا وبعض الكلام .

عرجت اليك براقا ، سحابا ، غضبت
تهجـأ في راحتيك السلام وشيء تركت صداه
فصار يناغي ، يكاغي ، يدغدغ لحم التراب
يمر لطيفا كنار ، يمر جريحا ، شهيدا ، غريبا ،يمر ويبقى

يفاجىء سيف الحقول ، يقاتل حتى ، وحتى ..
ويدرك وجهك وجهي كما في مرايا البحار ، مرايا الموانى
ويعصف نهر من الناس ، يعصف نهر من الموت في الحب
يعصف شعر الصبايا على غابة الماء ، يبتلّ بالصوت
يأتي طريا من الكهف حيث تراءى لك الناس
آلهة ، انبياء وسحرا ، وحيث بكيت من الوحي
آياتك الداميات ، العذارى ، وحيث حملت الزمان
صليبا ، حملت الصليب زمانا ، حملت حقول الجياع
وقلبت في فيزياء الجموع لهيباً ، وكنت رمادا
فلم تولد الارض فيك ، ولم ..
ولكن شيئا اتاك على بئر زمزم
فصرت رغيفا
وصار الفقير يحج اليك ليشقى
وصار الغناء اليك صلاة وبعض الدعاء المرنم .
ويوم اتاك الكلام وحيدا ، ودمدمت شعرا
على رئة الهاربين في الارض خوفا ووجدا
على رئة الهاربين عينا وقلبا
كتبت سقوط الشوارع فوق رؤوس الملوك
كتبت عبور الشباب الى جنة الوهم
حيث الملائك موج وسحر
وحيث القناديل تبكي لقلة وهج العيون
وغنيت زهدا ، فما حرك الميتون سكونا
ولا حرك الطيبون سكونا
ولا زغرد الاقحوان الزمان
وظل نداء السماء غريبا على غرفتي الساهرة
ودار الحديث شتاء وصيفا ، ودارت فصول الدماء
شتاء وصيفا ، وفاحت زنابق صدرك
فاحت زنابق عينيك
فاحت جزائر وعد الحبيب ،

تخبأت حين اتاك العصافير من مهجة النبع
حين رآك الصليب الوحيد وحيدة نار ، رآك
وتبنين بيتا من المرمر ــ الارجوان ــ اليواقيت
بيتا من النهد يثغو وبيتا من الماء يهمو
وبيتا من التين والداليات ــ
توضات من بئر قلبي ، توضأت من ماء نبعي
رآك وحيدة نار ، فصلى على جمرة قانية
تهيمين فوق البنفسج والآس واللؤلؤ القرمزي
ولما ركعت ، توضأ حتى يقيم صلاة الحبيب
على عشبة طاهرة ــ
تخبأت بين وضوء اليدين ، وصليت ركعة واحدة
وصارت مياه الصلاة سقاء ، وامطرت الخابية :
هنا شاح وجهك ــ كيف خجلت ؟
الم تجعلي الغاب مهدا وكل الجبال طرائد ؟
الم تهمسي في اذن الليل نجما وفي اذن البحر ريحا ؟
الم تكتبي فوق كتاب الزواج طلاقا
وفوق كتاب الطلاق زواجا
وفوق الخطايا سماء وماء وماء وماء ؟
قرات ذنوب المواشي ، ذنوب الليالي التي أولمت جسدا
اظلمت قربة للحبيب ، وباضت نسورا
ودبجت في حلك الوجه نورا
وخفضت موت الدموع

الم يأتك في العصور الخوالي رماح تشق الطريقا
وتكوى ثغور العناقيد ، تبكي ــ فراقا ــ علينا ؟
وحين التقينا هدوءا ونوما ، تكفنت بالجوع ، جعنا معا
ومن قفص في القلب صار العصافير رفا
وصرت مناقيدها
وها انت بعد الوداع الطويل تذوبين في فجوة الانتظار
كأن قليلا من الحب يكفي ،
قليلا من الوعد يكفي ،
قليلا من الاحتضـــار .

« بيروت ــ المساء »

١١ ايار ١٩٧٦

د . مروان أمين

لبنان الطائفي .. ولبناننا الآخر!

ـ ١ ـ

ان التحالف الطبقي الحاكم ، والجناح المهيمن في هذا التحالف على وجه التخصيص ، قد نجح حتى الان في اضفاء طابع طائفي على المعركة . غير ان نجاحه نجاح مؤقت ، نسبي ومسدود الافق : مآله انتحاره : التقسيم .

انما يبدو ان البرجوازية ككل ما تزال قادرة على تحويل هذا النجاح النسبي الى نجاح « كامل » ـ تطيل عمرها .

وكيف يتم ذلك ؟ ـ بتصفية خلافاتها غير التناحرية وتبديل في مركز الهيمنة ، وابقاء التقسيم الطائفي على ما وصل اليه ، بعد ضبطه .

وثمة امكانات عربية ومساع اميركية ، استنادا الى قوى داخلية لا يستهان بها ، لتكرار نتائج ١٩٥٨ .

واذا كانت ظروف اليوم مختلفة عن ظروف الـ ٩٥٨ بفعل ميزان القوى الداخلي ، فما يسمح استنتاجه حصرا هو ان المعركة لم تحسم بعد . وتبقى كل الاحتمالات واردة .

واذا كانت استحالة الحل العسكري تفتح المجال للحل السياسي وحده ، فحتى يتوفر هذا الحل لا بد من تشديد النضال الايديولوجي وتصعيده . فمن لا ينتصر ايديولوجيا لا ينتصر حتى في حال احرازه كل الانتصارات العسكرية ومحلقاتها .

والمهمة الايديولوجية الملحة هي تامين الانتصار على الطائفية .

ـ ٢ ـ

ولا يختلف باحثان في ان الايديولوجية المسيطرة في لبنان هي الايديولوجية الطائفية ، وهي الشكل اللبناني لسيطرة الايديولوجية الدينية .

ويحار بعض المتمركسين امام هذا التعارض الظاهر بين سيطرة الايديولوجية الدينية ـ الطائفية هنا ـ وهيمنة علاقات الانتاج الرأسمالية فتزدهر الابتكارات النظرية ، غير اننا لسنا في معرض جدالي الان وما يهمنا مؤقتا تلمس بعض الخيوط لفهم آلية هذه السيطرة .

ولا بد من التذكير بان هذا الفهم يمر بتمثل عملية توفير شروط اعادة انتاج علاقات الانتاج الرأسمالية . وبان هذه العملية تحصل اساسا حول عملية الانتاج بالذات ، ويتقوم دور الدولة بمؤسساتها السياسية واجهزتها الايديولوجية بتامين استمرارية عملية توفير شروط اعادة انتاج علاقات الانتاج السائدة ، وفيما يخصنا علاقات الانتاج الرأسمالية مع هيمنة مصالح القطاع المصرفي ـ التجاري في ظروف التخلف . واذا ما وضعنا مؤسسات الدولة ، العسكرية والقضائية والسياسية ، جانبا ، وتبين خلال الاحداث امكانية هذا الوضع ، رأينا ان استمرارية وظيفتها ممكنة ولو لفترة محدودة ، مما يسلط الاضواء على الدور البالغ الاهمية لاجهزة الدولة الايديولوجية واهمها المؤسسات الدينية والعائلية والتربوية والاعلامية .

وتبدو ، بالنسبة الينا ، المؤسسة الدينية وتعبيرها «اللبناني» الايديولوجية الطائفية الركيزة الاساسية ، الجهاز الايديولوجي الرئيسي للدولة ـ اضافة الى المؤسسة العائلية .

واذا كانت ايديولوجية الطبقة السائدة هي الايديولوجية السائدة ، فالايديولوجية الدينية هي الايديولوجية السائدة في لبنان وهي التي تغذي وتشكل ـ تعطيها شكلا ـ ايديولوجيات جميع الطبقات المسودة .

والجهاز الديني والديني ـ العائلي هو الجهاز الذي يؤمن هذه السيادة بلا منازع .

ـ ٣ ـ

ولا بد من التذكير ثانيا ، رغم اعتراضات القراء الماهرين والحفظة ايضا ، انه ليس ثمة من تنافر جوهري بين الايديولوجية الدينية والرأسمالية ، والتاريخ الدموي للصراع بينهما (الثورة الفرنسية) لم يطل جوهر آلية السيادة للايديولوجية الدينية .

ففي ظل الرأسمالية ظل الانسان شخصا يخضع بـ « حرية » د « دون أكراه » للقانون الرأسمالي . واذا كانت الدولة قد حلت محل الله ـ وليس ثمة من تنافر جوهري ـ فانها عقدت تحالفا معه في اكثر من بلد متطور رأسمالي .

المقصود انه باستطاعة الرأسمالية ان تستغل الدين وتضعه في خدمتها بأمان .

ونذهب أبعد من ذلك لنقول ان هذه التسوية أصبحت امرا لازما وفي « العالم الثالث » بصورة خاصة لم تعد البرجوازية الوطنية بقادرة ـ البرجوازية الاخرى لا تريد ـ على القطع مع المؤسسة الدينية قطعا مبرما . بل عليها الاستفادة منها والتكيف معها .

ولم تر الدوائر الامبريالية خيرا من المحافظة على اوضاع العالم الثالث وتغذية الايديولوجية الدينية والانقسامات الطائفية .

وعرفنا من ذلك دعوات ايديولوجية شهيرة « الشرق المؤمن والغرب الملحد» ، ومعزوفة الافكار المستوردة ، والدعوات السياسية (المشروع الصهيوني ، الحلف الاسلامي ، الكتائب اللبنانية الخ ..)

والمقصود من كل ذلك طبعا المساهمة في استمرارية تامين توفير شروط اعادة انتاج علاقات الانتاج في ظل التبعية .

وفي لبنان تتعقد المشكلة اكثر بكثير حيث تزدوج السيادة المطلقة للايديولوجية الدينية بسيطرة الانقسام الطائفي على الجماهير .

ـ ٤ ـ

نتيجة التطور التاريخي الحديث للتشكيلة الاقتصادية في لبنان أصبحت الايديولوجية الدينية ـ الطائفية الصمام الاكثر امانا لاستمرارية النظام القائم وأصبحت المؤسسات الدينية وشبه الدينية هي المؤسسات الاكثر ضراوة في قهر واستغلال الجماهير الشغيلة والعاملة . وامتدت في تنظيمات سياسية ذات شان في الدولة .

واذا أمكن تلخيص النداء الايديولوجي الموجه الى كل لبناني بالتالي :

« انظر يا من هناك ، انت أحمد (أو حنا) . انتبه لقد خلقك الله مسلما (او مسيحيا) .. وهذا وضعك في المجتمع خادما كنت ام سيدا . عاملا ام رب عمل .. انت مسلم بين المسلمين . (أو مسيحي بين المسيحيين) وخلاصك مرهون بتصرفك . بطاعتك وعملك لمصلحة هذه الكتلة البشرية التي انت منها وشبيه بها . فان اطعت فلك جزاء الدنيا وثواب الاخرة وان عصيت فانت مارق وزنديق وخائن للوطن الخ .... » .

اذا كان بالامكان تلخيص آلية الهبل الديني ـ الطائفي من حيث فعلها في المجتمع معتبرا كمجموعة اشخاص (في المنطوق المثالي) فان الاهم من ذلك هو تلمس آلية هذا الهبل الايديولوجي على الصعيد الاعم ، الصعيد السياسي . وهذا يضعنا مباشرة في مواجهة المقولات الرئيسية للايديولوجية السائدة .

ولا بد من أجل ذلك من العودة الى « فيلسوف » هذه الايديولوجية. ذلك المنظر الذي صاغها والذي يحظى باحترام المعلم الاكبر عند كل سادة هذا النظام بلا استثناء . عنيت الطيب الذكر « ميشال شيحا».

— ٥ —

يتبنى أفكار هذا « الرائد » شيحا كل برجوازيينا بلا استثناء . واهم هذه الافكار سردا هو التالي :

١ ـ وجود الطوائف في لبنان امر طبيعي ، تدعمه الجغرافيا ويكرسه التاريخ والوجود الطبيعي ، عند المثاليين ، لا يزول وانما يصلح على الأكثر .

٢ ـ لبنان « بلد الأقليات الطائفية المتحدة » .
(تقول الكتائب التكثرية) واحتواء التناقضات ، تجاوزها في الرقي والتاخر ، المدنية والبربرية .

٤ ـ هذه التناقضات مجموعة ومنظمة ضمن طوائف دينية محكمة التركيب ودائمة .

٥ ـ افضل ما يناسب لبنان ـ و « ما يناسب » هو دائما الحقيقة في المنطوق البرغماتي ـ هو اذن « تعايش » هذه الطوائف في اتحاد فيدرالي على رأسه الدولة . الدولة لا صلة لها مباشرة بمواطن بل بافراد عشيرة طائفية عبر مؤسساتهم الطائفية .

فالدولة جهاز فوق الطوائف .

٦ ـ هذا التنوع والتعدد (الفريد) يسيطر عليه ويضبطه : « التوازن » و « الاحترام المتبادل » ويسمح بتنمية « الحرية والتسامح » في ظل « التعايش الاخوي » .

٧ ـ وهكذا تبدو الطائفية كنظام سياسي ليس عنصر تخلف كما يروج المفرضون والملاحدة بل عنصر « كرم اخلاقي » و « تراض وطني » و « سلام اجتماعي » .

واذا كانت الاحداث الاخيرة قد برهنت بسخرية ما بعدها سخرية كم تعبر هذه المفاهيم عن ضدها : الحرية والتسامح والتوازن والاحترام المتبادل والتعايش الاخوي في مقابل الفاشية والسيطرة والتعصب والقتل المتبادل والتشنيع .

واذا كانت نصائح شيحا لسياسيي لبنان بالتحلي بالمرونة والدبلوماسية ـ وما اشتهر فيما بعد بالطريقة اللبنانية في معالجة الامور المصيرية أي بالمراوغة ـ لم تنفع في منع « السلام الاجتماعي » المنشود عن التحول الى حرب طائفية بدأت ترعب مصمميها .

واذا كان هذا جديرا بالاشارة فان الاهم في الموضوع هو كشف العقدة المركزية في هذا اللفط الايديولوجي . والعقدة هي : ابدية ازلية الوجود الطوائفي وحيث أن « كل شيء بحكمة قد صنعت يا رب » فان الحكمة تأمين « السلام الاجتماعي » بمعنى أصبح الاطفال يفهمون تحويل الصراع الطبقي عن مجراه الحقيقي ، الحلم بالغائه مع الابقاء على مسبباته .

— ٦ —

قلنا في بداية هذا المقال ان البرجوازية نجحت حتى الآن في اضفاء طابع طائفي على الصراع الطبقي الدائر في لبنان . ونضيف انها ناجحة بقدر ما يزال فكرنا العلمي مسودا وغير منتشر .

ان الفكر اليميني ، أي الديني ـ الطائفي السائد ، يتغذى باستمرار بمعطيات « الواقع » البديهية المعاشة (المعطيات البديهية للوجدان يقول بارغسون) . ان بديهيات « الواقع » المعاش تصرخ قائلة : « الم يحصل اقتتال ديني ، وذبح على الهوية وخطفجماعي. الم تسمعوا بعين الرمانة وداريا وعشائش والقاع وبيت ملات وتل عباس وصور وحي الفوارنة وسبنيه ... والسبت الاسود .. الخ.

« اليس معظم المقاتلين في طرف مسلمين وفي الطرف الآخر مسيحيين وموازنة تخصيصا » كما اوضحت بديهيات رئيس الجمهورية ...

ولا يكفي الرد السريع والاستشهاد بوجود عناصر مسيحية في الصف الوطني وعناصر مشبوهة مسلمة تعمل لصالح الانعزاليين . فالاستثناء لا يفعل سوى تعزيز القاعدة ـ الفكر اليميني تعلم هذه ايضا ـ والقاعدة هي ازلية ابدية الوجود الطوائفي ،والتقاتل بالتالي لا يمكن أن يكون الا تقاتلا طوائفيا ، ومعطيات « التاريخ » البديهية هي ايضا تفقا عين الوجدان البرغسوني : الحروب الطائفية في القرن التاسع عشر ، وليس من الصعب استنباط معطيات اخرى ، وليس من الصعب التدليل على صحة هذه المعطيات من الحاضر ، من احصاءات ردود الفعل ودراسة طرق العيش واشكال التصرف الاجتماعي للتجمعات البشرية في لبنان .

نهجان ظاهرهما تمردي ـ حتى لا نقول ثوري ـ وجوهرهما خاضع للايديولوجية الدينية الطائفية :

الاول تجاهل هذا الواقع وانكار بديهيته .

والثاني التعامل بالبديهيات الواقعية ومحاربتها ببديهيات من جنسها .

والنهجان محكوم عليهما بالفشل في ما يزعمان وان انتصرا من حيث منطلقهما الداخلي وهو تأمين استمرارية سيادة الايديولوجية السائدة باشكال متجددة . والمعطيات البديهية لا تحارب بمعطيات بديهية أو على الاصح لا تقهر . فتناقض الواقع لا يكفي وحده لقلب الواقع ولا بد من التدخل فيه ، أي لا بد من نقده بالمعنى الذي استخدمه ماركس لكلمة نقد .

— ٧ —

يعمد الماركسيون عادة الى التحليل التاريخي لنقد الواقع . وهذا صحيح جوهريا ، وقد فعله الفكر الماركسي في ما يخص المشكلة التي نحن بصددها . فبين مثلا ان التاريخ يعطي أدلة مغايرة للبديهيات الطائفية الواقعية وانه قبل القرن التاسع عشر لم يشهد لبنان حربا طائفية وعندما حرفها (١٨٤٠ ـ ١٨٦٠) كان ذلك بفعل التناقضات الاجتماعية ، وتناقضات البنية التحتية اساسا . وبين الباحثون انه لاسباب تاريخية تعود الى شكل السيطرة العثمانية وضعف السلطنة وبدء تقاسم العالم ، ومع دخول الرأسمالية الى مصر أولا فلبنان وسوريا بدأ النظام الاقطاعي بالتفكك في جبل لبنان .

ورافق ضعف الاقطاع « الماروني » وعي الفلاحين « الموارنة » وقوة نفوذ الكنيسة . في حين رافق قوة الاقطاع « الدرزي » ابقاء الفلاحين « الدروز » تحت سيطرة الزعامات الطائفية .

ورافق ذلك في الجانب « الماروني » انتشار الحرف والتجارة والاتصال بافكار البرجوازية المتطورة . فكان ان شكل الفلاحون « الموارنة » عصب التحرك التحرري من نير الاقطاعية ، ووقود

ثورة ١٨٥٨ ـ ١٨٦٠ اضخم حركة جماهيرية في القرن التاسع عشر واكثرها جذرية .

ويضيف الباحثون ان الثورة الفلاحية « المارونية » فشلت وقضي عليها عسكريا ولم يكن ذلك ممكنا الا بالتدخل الخارجي والفتنة الطائفية حيث لعب الاقطاع « الدرزي » الاداة العسكرية الضاربة للرجعية .

ويتابعون : ان الفشل العسكري للثورة كان يخفي انتصارا استراتيجيا على الصعيد السياسي قطفته الكنيسة المارونية ونط عليه بعض عملاء الاستعمار واكمل لبنان تطوره في ظل تبعية جناحه المتقدم للاستعمار والامبريالية ، وأصبح الجناح المتقدم التبعي هو الجناح الهيمن بفعل التطور اللاحق وبفعل الانتداب وعمل الانتداب على اضعاف الاقطاع دون اهلاكه وغذى الفكر الانعزالي بهدف جعل لبنان قاعدة دائمة للرأسمالية الغربية .

وادى تطور لبنان المستقل الى سيطرة البرجوازية التجارية الوسيطة والطغمة المالية سيطرة شبه كاملة على الدولة وسيطرةنظام الاقتصاد « الحر » .

وينتبه الباحثون الى الجديد المغاير لما حصل في القرن الماضي فيرون انه نتيجة للتطور المتفاوت للرأسمالية في لبنان ونتيجة للمد التحرري العربي أصبحت الجماهير « المسلمة » عصبالتحرك التقدمي والوطني بعد ان كانت الجماهير « المسيحية » عصبه في القرن الماضي .

— ٨ —

من الملاحظ ان معظم الباحثين ، أن لم نقل جميعهم ، ينسون أو يتناسون ان يضعوا عبارات جماهير مسيحية وجماهير مسلمة بين مزدوجين ، لكن هذه ليست « خطيئة مميتة » . ان الاهم ، في نظرنا، هو التشديد عبر التحليل وضمن نتائجه على الامور التالية :

● ١ ـ اذا قلنا ان التحالف الحاكم يتالف من البرجوازية التجارية والبرجوازية الصناعية وبقايا الاقطاع ، فان الهيمنة في هذا التحالف هي للفئة الاولى والتناقض في السلطة ـ الذي ليس بتناحري ـ هو بين الفئة الاولى مدعومة من الفئة الثالثة أو ما يسمى بتسرع اكيد « الاقطاع السياسي » ، وبين البرجوازية الصناعية تدعمها فئات واسعة من البرجوازية الوسطى . والهيمنة السياسية هي أيضا هيمنة ايديولوجية .

● ٢ ـ ان « كل الطوائف في لبنان اليوم موزعة على لوحة طبقية شاملة » وانه لا معنى نظريا للقول بطبقية الانقسام الطائفي .

● ٣ ـ الانقسام الطائفي هو اقوى آليات السيادة الايديولوجية والسياسية للبرجوازية الوسيطة . ولم تستطع ، والاصح لم تعارض البرجوازية المرتبطة بالانتاج المحلي المنطق الطائفي ـ الديني بجدية حتى الان ، وقد استفاد جميع ممثليها بلا استثناء من تقسيم الجبنة الطائفية .

● ٤ ـ ان منطق التقسيم الطائفي يحمل تناقضه في ذاته . فقد اضفى هذا المنطق لاحقا طابعا طائفيا على التناقض البرجوازي. وفي غمرة ممارسة السحر الديبلوماسي ، حسب وصية شيحا ، انقلب السحر على الساحر واضطر ممثلو البرجوازية ان يكونوا موارنة أو سنة أو ... الخ . واضطر المثلون « المسلمون » الى اللجوء الى الشارع في عملية صراع النفوذ وفي وجه السلطة شبه المطلقة لرئاسة الجمهورية . ولا يصح في اي حال تصوير صراع النفوذ هذا وكأنه صراع طائفي . انه تعبير ملتو للتناقض البرجوازي الذي يحتدم بفعل خارجي : تزايد النضال والضغط الاتي من الطبقات والفئات المستغلة والمقهورة .

ويمكن القول على وجه الدقة ان صراع النفوذ هذا هو حصيلة الفعل « التحتي » ورد الفعل « الفوقي » في الحقل السياسي العام. وعدم فهم هذه المسألة يحول السياسة الى لعب غير مسل على الاطلاق .

● ٥ ـ ان البرجوازية الوطنية والمرتبطة بالانتاج المحلي والسوق الداخلية والعربية قد برهنت على عجزها عن ممارسة الحكم لصالحها ، عن فرض هيمنتها في ظل سيطرة الرأسمال الاجنبي وتعاظم النفوذ الاميركي من جهة وخوفها من الجماهير وتطلعات الطبقة العاملة من جهة اخرى .

وقد فضلت دائما الانضواء تحت سيطرة البرجوازية التبعية على اشراك الجماهير الكادحة والعاملة في الحكم .

— ٩ —

ان التشديد على هذه الامور يعيد الى الانتباه مسألتينتحتاجان الى النظر الجديد : نتائج انتفاضة ١٩٥٨ وتركيب المؤسسات الدينية في لبنان .

واذا كانت انتفاضة الشعب اللبناني على مشروع الاحلاف العسكرية قد أعطت نتائج مباشرة ايجابية بضربها لمشروع ايزنهاور وعزلها لاكثر الفئات المذثورة عن الحكم فان النتائج الابعد كانت دون هذه الايجابية : لقد اعيد ترتيب الامور بشكل يضمن الاستقرار السعيد لحكم البرجوازية في ظل تركيبة الهيمنة ذاتها .

ويقال في شرح ذلك ، والشرح بعضه تبرير : كانت الحركة الوطنية بقيادة البرجوازية الوطنية « القيادات التقليدية » التي سرعان ما افرغت الانتصار الشعبي من محتواه .

انما من هم ليسوا بابرياء ولا بطيبين لا يسعهم الا الوقوف عند شعار « لا غالب ولا مغلوب » . فلا يجدون له معنى سوى لا غالب مسلم ولا مغلوب مسيحي . الحل لمشكلية ايديولوجية سائدة اتى من ضمن مقولات الايديولوجية السائدة ذاتها . ولا يمكن ان يكون الا كذلك .

ويقال أيضا : ان الجماهير المسلمة كانت عصب التحركالوطني لاسقاط شمعون . وهذا صحيح مع هذه الاضافة البسيطة : ان المنطلق البرجوازي السائد لم يكسر : وما زلنا نجد في النتيجة ما وضعه سوانا في المقدمات .

ولا بد هنا من طرح السؤال : الا تكمن في كون الجماهير « المارونية » عصب التحرك التقدمي في لبنان الـ ١٩ النتيجة المنطقية لاحداث الـ ١٩ ؟؟ الا يصح السؤال نفسه بالنسبة لاحداث ١٩٥٨ ؟؟ والسؤال نبقيه سؤالا .

ونتبعه بسؤال اخر : أليس ثمة من علاقة منطقية بين عجز البرجوازية الاصلاحية « الشهابية » عن ايجاد دولة عصرية تتلاءم مع طموحاتها المعلنة والواقعية وبين تبعيتها الايديولوجية للتقسيمالطائفي (٦ و ٦ مكرر ، تدعيم الميثاق) ؟؟ وبتساؤل : الم يتعاظم نفوذ حزب الكتائب ، ألم يتحول الى حزب « جماهيري » انطلاقا من ١٩٥٨ ؟؟

ومن التساؤل الى السؤال : لماذا بالضبط بعد ١٩٥٨ ؟ ولماذا بواسطة الجماهير « المارونية » اصبح حزب الكتائب هو الذراع الضاربة للنظام القائم ؟ تلك هي المسألة .

— ١٠ —

يمكن القول بدءا ان الجناح الهيمن من التحالف الحاكم اخذ عبرة من احداث ١٩٥٨ . وبدأ يعد العدة للاحتياط الجماهيري للتحول الفاشي لـ « اعادة التوازن الى الشارع » .

وقد لبى حزب الكتائب هذا المطلب للبرجوازية ككل واستطاعان يعطي مدا جماهيريا منظما لليمين الرجعي منذ دخوله في التحالف الثلاثي الشهير الى جانب حليفيه : الفئوي والارستقراطي .

وقد كتب الكثير لتفسير انضواء جماهير « الموازنة » والمسيحيين عموما تحت لواء حزب الكتائب . فكتب في تاريخ الموارنة وسكناهم الجبلي والارساليات الاجنبية كما كتبت تحاليل تاريخية وسلطت اضواء على جوانب مهمة من القضية . ولكن احدا لم يجرؤ على

فتح الملف السري : المؤسسة الدينية بحد ذاتها من اجل فهم افضل لالية الهبل الديني الطائفي .

مما لا شك فيه ان آلية الهبل هذه هي ذاتها من حيث الجوهر في جميع المؤسسات الدينية على اختلافها . فهذه المؤسسات هي الاطار المادي للظهور المادي للايديولوجية الدينية . وهي التي تجعل من هذه الاخيرة شيئا ما غير مجرد حيلة اخترعها بعض الماكرين . فمؤسساتنا الدينية تتعهد « الابن المؤمن » ولادة واسما وتعليما وزواجا وتشغيلا وطموحا ووفاة وارثا . وان دعوت هذا « الابن » بصفته « مواطنا » فان الطائفية السياسية هناك لتفقدك هذه المنعة السماوية .

ان هذا التعهد (والحكمة الالهية أو العناية الربانية) هو الكفيل باقفال الدائرة : ردود الفعل الطائفية الجماعية .

وتفعل ردود الفعل هذه فعلها بصورة اساسية في جماهير البرجوازية الصغيرة والمتوسطة . ولعله من نافل القول تعليل ذلك ، غير انه في ظل الهيمنة المطلقة للهبل الديني والهبل بصورة عامة يصبح ناقل القول ضروريا ، نقول اذن ان كون البرجوازيات الصغيرة محل ردود الفعل الطائفية عائد الى كونها مصالح آنية اساسا . أي لا مصالح اساسية استراتيجية لها .

ولعل هذا يكفي لقول تال انه بمقدار ما تزداد قوة ومتانة تركيب مؤسسة ما ، بمقدار ما يتعاظم مردودها .

واذا اعتبرنا ان مؤسساتنا الدينية ليست مجرد اماكن للعبادة بل هي هذا الجهاز الديني المتكامل وامتداداته العائلية والسياسية (التنظيمات السياسية الطائفية) ، اصبح من الواضح انالمقصود اصلا هو هذا الجهاز بتنظيمه الداخلي واناسه ، الوكلاء العامين بكل « اخلاص » على نشر تعاليمه وحماية مصالح « ابنائهم » و «اخوتهم» في الله . ان قوة هذا الجهاز هو الذى يفسر ــ في المجال الذى نحن بصدده ــ التلاحم « الاخوي » الملاحظ بدءا عند من يسمون موارنة ولاحقا عند من يسمون سنة . كما يفسر في نفس الوقت التفككالذي يأسف له « ذوو الحمية » عند من يسمون شيعة او ارثوذكس . (هذا طبعا باستثناء الاقليات الباقية والتي لا تقل تلاحما عن الاولين لاسباب متنوعة ليس اهمها انها اقليات وليس اخرها المساعدات العينية المادية لابنائها) .

ــ ١١ ــ

الخلاصة ان الدائرة محكمة الاقفال على جماهير البرجوازيات الصغيرة والمتوسطة وان الانشقاق العمودي ذاهب في الاتساع وان الخراب اللاحق بهذه الفئات نتيجة الاحداث المستطيلة المستطالة لا يفعل سوى زيادة هذا الانشقاق حتى يصل خطره وفعله الى الطبقة العاملة وسائر الملحقين بها من الفئات الاجتماعية الاجيرة .

واذا كان من المتفق عليه ان الطبقة العاملة والملحقين بها هي الطبقة الوحيدة المؤهلة مبدئيا لعدم الدخول في هذه اللعبة فانه ما زال من غير الواضح ولا المتفق عليه ــ مع الاسف ــ أن طريق الحسم يبدأ بحسم مشكلتها .

لذا ترانا نشدد على المسألة التالية :

ــ ان اعادة توحيد الطبقة العاملة هي الطريق الوحيد لاعادة توحيد شعب لبنان ، لان في توحيدها اخراجا للبرجوازية الصغيرة من الحلقة الجهنمية التي تدور فيها ولان فكرها هو الفكر الوحيد القادر على ضرب كل النواءات الفكر الطائفي والبرجوازي الاصلاحي الذي لا مصلحة له بالغاء الطائفية الغاء نهائيا .

ــ والعائق الاكبر في هذا الطريق هو « جماهيرية » حزبالكتائب (= قوة البرجوازية الحاكمة اعتمادا على ذراعها الضاربة حزب الكتائب وملحقاتها المباشرة والسالبة) .

اما لماذا هذا الحزب وليس سواه فلانه في رأينا قد استطاع ان يشكل الامتداد الضروري للمؤسسات الدينية وان يتكيف مع المتغيرات الطارئة على آلية الهبل الديني في أوساط من المفترض ان تكون اقل الاوساط تعرضا للهبل نتيجة لاحتكاكها بالغرب الملحد . لقد استوعب بشكل افضل من سائر الدكاكين الطائفية تطورات الازمة الايديولوجية للفئة المهيمنة على الحكم .

ولعله من المفاجيء لبعض « المطلعين » ان يكتشفوا ان المقولات الايديولوجية الاساسية لهذا الحزب هي هي المقولات الاساسية لمجمل الاحزاب البرجوازية الكبيرة والصغيرة ومجمل الدكاكين السياسية ــ الطائفية .

ــ ١٢ ــ

يقول أمين ناجي في كتابه « فلسفة العقيدة الكتائبية » ــ تقديم بيار الجميل : « الغاية المحورية لحزب الكتائب هي الشخص الانساني » .

ويفسر : « ان هذا معناه ان الانسان شخص خلقه الله ووضع فيه نفسا من روحه .. على صورته ومثاله » .

ويستنتج : « فحزب الكتائب هو حزب المؤمنين بالله ، ليس الهـا بعينه بل اله جميع الديانات الموحدة » .

والمجتمع الذي من هؤلاء الاشخاص المؤمنين هو « مجتمع شخصاني » و « مجتمع جماعات » وعشائر . ومجتمع تعددي أي « مجتمع يعتبر أن نمية الشخصية الانسانية تتطلب قيام تكتلات متنوعة في داخله يكون لها حقوقها وحرياتها واداراتها المستقلة » . (= التكتلات هنا هي الطوائف) .

واذا سألت عن السبب في هذا الابتكار كان الجواب بالواقع: « هذا هو الواقع اللبناني . ونحن لسنا اصحاب نظريات كلية ». (والمفكر الديني يكره اصلا النظر والنظريات) .

ــ واذا كانت الغاية المحورية هي الشخص ، فليس معنى ذلك ان الشخص هو نواة المجتمع (كما هو معروف فيالراسمالية المتطورة). النواة الفعلية هي العائلة .

« ان ايماننا بالعائلة هو من القوة والعمق والاهمية بحيثتحتل العائلة المرتبة الثانية في المثلث العقائدي الكتائبي » (الله ــ العائلة ــ الوطن) اذ « في العائلة يعيش الولد روح الاندفاع والتضحية » « اقـرأ : في العائلة يتم ربط الاجيال الناشئة بايديولوجية الطبقة السائدة : دينيا ومسلكيا » .

ــ اما الوطن فهو لبنان « ملتقى الشرق والغرب . وبــاب الغرب الى الشرق » ، و « هو ذو وجه عربي » (أي ليس عربيـا) حسب ما كتب بيار الجميل سنة ١٩٦٥ « الذين يتوخون التدرج بنا من لبنان ذي الوجه العربي كما اتفقنا عام ١٩٤٣ الى لبنانالعربي فالشعب العربي في لبنان فعبثا يتوخون . والذين يحاولون تمريرهذه النعوت والاوصاف لتمييع طابع لبنان الخاص عبر العقائد والافكار الاجتماعية المستوردة فعبثا تذهب محاولاتهم » .

وفيما عدا ذلك فحزب الكتائب هو « حزب علماني » . لكنه من نوع طريف . فلنقرأ .

ــ ١٣ ــ

يقول امين ناجي : « لقد تأثرت العقيدة الكتائبية تأثرا مباشرا بالتعاليم الدينية حتى انه من غير المستطاع ان تفهم هذه العقيدة اذا وضعت التعاليم الدينية جانبا ... وعلى العموم فانه ليس بمقدور العقيدة الحزبية ان تتجاهل الدين وتأثيره في حياة الانسان».

ويقول ايضا : « الشيوعية ايديولوجية مادية . والعقيدة السورية القومية الاجتماعية تعزل حياة الانسان الروحية عن حياته الزمنية . أما العقيدة الكتائبية فهي عقيدة روحية لا تقر بالفصل المطلق ما بين الحياة الروحية والحياة الزمنية » . أما ما يترتب على ذلك من نتائج فان على عقيدة الحزب السياسية ان تعترف « بحق

الدين بالتوجيه في حياة الانسان المجتمعية وان تنسجم انسجاماً تاما والمبادىء الدينية » .

ومع ذلك فالكتائب تطالب بعلمانية الدولة اللبنانية ، ولكن كيف ؟ .

● ١ ـ ترفض ان يكون لبنية الدولة الحقوقية دين معين أو ان يكون احد الاديان مصدرا للتشريع والحكم .

● ٢ ـ ترى ان التمييز بين السلطات الزمنية والروحية ضروري .

● ٣ ـ تعتبر ان جميع المواطنين متساوون امام القانون دون تمييز في الاصل أو العرق أو الدين .

● ٤ ـ ترى وجوب اعتماد الكفاءات مقياسا للتوظيف ولادارة دفة البلاد . أي ترى « الغاء الطائفية الادارية » .

وهي علمانية تعترف بحق الطوائف بفرض التعليم الديني في المدارس الرسمية وبحقها في انشاء مدارس طائفية وبوجوب التمثيل السياسي على اساس طائفي . (والعبارات كلها ماخوذة من كتاب أمين ناجي وليس من أية مشاريع عرضت مؤخرا كما يظن المتسرعون)

بمعنى اخر ، علمانية الكتائب ، ومجمل النظام ورجالاته من كل الاطراف تعني ابقاء التقسيم الطائفي السياسي والمدني وتشكيل جهاز دولة اداري علماني يكون حكما بين الطوائف ، حكما حياديا الا بوجه الالحاد . انه علماني بمعنى انه ديني بشكل عام .

☐ لان « الدين مساعد اكبر لتنظيم حياة اجتماعية افضل لانه يحث المؤمن على القيام بواجباته المدنية قياما حسنا ، ولان مبادىء الدين الاخلاقية ترفع من مستوى المواطن الاخلاقي اذ تعلمه ان يكون انسانا شريفا عفيفا ، محبا ، مسالما » .

واذا كانت الغباء الماركسية تكفي لايضاح مرمى هذه النعوت المترادفة فان فيلسوف العقيدة الكتائبية لا يبخل عليها بزيادة الايضاح فالمبادىء الدينية الاخلاقية المقصودة ثلاثة :

ـ المبدأ الاول : اولية الشخص .

ـ المبدأ الثاني : العمل الذي يخرج الشخص من التركز حول ذاته . لذا لا بد من تنسيق وتنظيم العمل وذلك مثلا بوضع التخطيط العلمي لحقوق العمل « وتنظيم علائق ارباب العمل بالعمال واعطاء هؤلاء اجورا وتعويضات عادلة » .

ـ والمبدأ الثالث : الحفاظ على الملكية . لان الغاءها والغاء حق استثمارها يحد من الاندفاع الشخصي للعمل ويحد من الانتاج العام . ولان الملكية اساس الحرية الشخصية . والدفاع عنها يستوجب « حرية الدفاع عن حرية التصرف بهذه الملكية » ضمن مصلحة المجتمع » (المجتمع « الحر ») .

ـ ١٤ ـ

تتماثل اذن ايديولوجية الكتائب مع سائر ايديولوجيات البرجوازية الكبيرة والصغيرة الهادفة الى توفير شروط اعادة انتاج علاقات الانتاج الرأسمالية في ظل التبعية ، في هذا :

● ١ ـ الايمانية الدينية أو ملحقاتها التوازن والتواجد الطوائفي .

● ٢ ـ تقديس الملكية الخاصة .

● ٣ ـ المحافظة على التقسيم الاجتماعي والتقني للعمل (العداء للشيوعية) وتمتاز بهذا :

ـ تخويف « المسيحيين » من اجل ضمهم تحت جناحها بفزاعة العروبة والاسلام .

وبتعبير ادق :

ان تقسيم العمل في خدمة التحالف الحاكم والايديولوجية السائدة يخصص مجال العمل للكتائب في القطاع المسمى « مسيحيا »، وليس فقط من أجل المحافظة على الانشقاق الحاصل في جسم الشعب بل من اجل « اعادة انتاجه » كلما بدت في الافق مخاطر جدية أو غير جدية :

فمع انه لم تطرح بشكل جدي في يوم من الايام مسألة وحدة لبنان العربية (التعريب في لغة الكتائب) فان المتكرر الايديولوجي الكتائبي هو ذاته منذ الاستقلال : (لبنان ليس عربيا لان العروبة معناها الاسلام .. لبنان على الاكثر جزء من العالم العربي وكل مشروع لتعريبه معناه تذويب المسيحيين في المحيط العربي وتحويلهم الى اهل ذمة) .

ومنذ ٢٠ آب ١٩٥٤ أي قبل وجود المقاومة الفلسطينية بكثير و « اختلال الميزان » حسب قول « العمل » وجه بيار الجميل كتابا مفتوحا الى رئيس الجمهورية كميل شمعون ، يرد فيه على بيان « اللجنة التحضيرية للمؤتمر الاسلامي العام » ويرفض فيه أي تعديل للدستور كما يرفض الوحدة الاقتصادية مع سوريا ويذكر بقدسية الميثاق ، ويهزأ بمطلب الغاء الطائفية ويقول انه من دعاة العلمنة (حسب ما فصلناه اعلاه) في حين ان الاسلام لا يقر بالعلمنة . (انظر كتابه : « لبنان واقع ومرتجى ») .

فالنغمة التي نسمع اليوم ليست بجديدة على الاطلاق ، ماهو جديد فيها فقط هو ان المتكرر الايديولوجي بلغ حد التلف في محاولته « اعادة انتاج » نظامه في وقت بلغت ازمة هذا الاخير مبلغا لم يعد يفيده مجرد الكلام وربما ايضا الكلام المدعم بالسكين والبارود ...

ـ ١٥ ـ

وعودا على ما بدأنا به عن قدرة البرجوازية على تحويل انتصارها المحدود الى انتصار اشمل ، نقول انه بين التماثل والتمايز للكتائب وسائر الاحزاب البرجوازية نرى ان التماثل هو الاساسي والتمايز هو الثانوي .

واذا كانت اطراف عديدة تقاتل من أجل الثانوي ـ وهذا ايجابي ـ فان على الطبقة العاملة وحلفائها الستراتيجيين ـ ومن بينهم المثقفون ان كان ثمة منهم من لم يهاجر بعد او لم تهجره ثقافته وقدرته على التفكير في حمى الهبل الديني ـ الطائفي ـ وكل تفاؤل هو كرامي ـ قلنا ان على الطبقة العاملة وحلفائها الستراتيجيين ان يقاتلوا من أجل الاساسي الذي يتضمن الثانوي ويتجاوزه :

ذلك ان القتال ضد الكتائب هو قتال ضد الرأسمالية .

وتوحيد شعب لبنان يمر بتوحيد الطبقة العاملة وجميع الخاضعين للظلم والحرمان الاجتماعي .

« الاخبار » البيروتية
١٧ و٢٤ كانون الثاني ١٩٧٦

ابراهيم الزبيدي

هتاريس

من قلب بيروت

البدايات كثيرة
أيها الطفل الذي يغفو وحيدا
تحت انهار الرصاص
راعشا يبكي ويبكي
ويمل الدوران

★●★

خارجا
أحمل رايات المواعيد الامينه
داخلا
يغرق صوتي بالعفونه
انني أهرب لكن أين ؟
في الخارج والداخل وجه الجبروت

★●★

واعديني
يا سماوات بلاد الفرح الموقوت
بالشهر الذي يعقب شهر الذوبان
ان هذا الجبروت
لن يغطي عبراتي
لن يمد العنكبوت
اصبعا يثقب وجه القمر المقبل نحوي
فوق بحر من دخان
واعديني
ان شطآنك تلغى
ان كل الزمن الهارب مثلي
من ثقوب الجبروت
لا يغطي وجهه بالزبد الاسود يوما
انني أكره كل الاغطيه
فاجعلي كل الجبال
والتضاريس بطولي
والبطولات العريقه
والنبوءات العميقه
دون رأسي
أفلا تخشين مثلي
ان يصير النفس الخارج منا النفس الداخل فينا؟!
والى م الدوران ؟!

★●★

حينما يختلط الضحك بأنفاس البكاء
حينما ينهدم الحائط بين الفقراء
والمرابين ، الصباحات وأحزان المساء
الولاده
وارتعاش الموت ، الموتى وأقدام الصغار
والصبايا
حينما يصبح وجه الارض دوره
صحن دم
يعرف الله زمانه
ومكانه

★●★

يهبط الليل على الشرفة ، والليل عيون
يحبس القلب دموعه
قيل ان القتله
في زوايا الشارع المحتل يصطادون همس الشرفات
وانا وحدي اعاند
وادخن
ابرة المذياع تجري من اذاعه
لاذاعــه
واعد المطر الاحمر من حي الى حي .. ولكن
فجأة كان يهز الشرفة الرعد البريق
فيراني الفاتحون

★●★

أطعموني شرحة واحدة من بيضة الرخ الحديدي، سيكاره
اصبعا يدخل في الرأس لكي ارخي عروقي وأنام
واريحوني من الافعى التي تركض في القلب وفي الرأس
تعـالوا
قد مللت الدوران
وصل السيف الى النحر .. اذن
فالحجر الساقط يختار جبيني
ليتني من أول العرس أفقت
وتلقيت الخناجر
كنت ذقت الحجر الساقط من قبل ..
ككل الشهداء

واضأت الغضب الباكي الذي راح يضاء
كيف لم يصح فتيل زرعوا فيه زناده
منذ ساعات الولاده ؟!
كيف لا نصحو الى أن تأخذ النار الوساده ؟!
لست أبكي
رغم اني آخر العرس أفيق
تحت أزرار البجامه .
كل هذا العفن الطاغي ..
ولم ألبث حمامه ؟؟!!
يا بجامه
أصبحي كاكي اذن من هذه الساعة ،
يا رائحة التبغ الكريهه
أصبحي رائحة البارود من لحمي تفوح
وتمط الآن يا مشط الوسامه
صر على خصري حزاما من رصاص ،
كل طفل شد من قبلي حزامه
يا متاريس رفاقي الفقراء
قادم أصهل كالمهر الخرافي .. خذيني
قد مللت الدوران

★ ● ★

فرحوا أن الملايين سكوت
فرحوا ان اوان الجبل الواقف كي يسقط فوق الملكوت
لم يحن بعد .. يفوت
آه لو .. لو للتماثيل دم .. كنت استرحت
آه لو افتح في هذي الجباه الخشبيه
ثقب ابره
عله يدخل عطره
موسم الكسر القريب !!

★ ● ★

خرجوا مثل الخفافيش التي
من بعض خرقاء السقوف
تتدلى وتغامر
والعصافير تنام الآن في حضن العصافير وتحلم
بمعاد الدوران
والصقور
والنسور
والمشاعل .

★ ● ★

ملك الجان ويقهر
كيف لا يقهر فينا الغثيان !!
كيف لا يوقف فينا الذوبان !!
واذا نحن احترقنا .؟!
حسنا .. فلنحترق
سوف نقتاد جباه الشرفات
والمداخن
عاليا . هل يعبر الخفاش تلك الجبهات !!
غادروا سورا من السكر من شعر البنات
وتعالوا
لنغني داخل النار .. نسافر
نحو أقطار من الحلوى التي ليس تذوب
يا رياح الزمن الاقدم من كل طواحين الهواء
يا رياح الزمن الاكبر من كل طواحين الهواء
يا رياح الزمن الباقي
وحيدا ..
دمويا ..
نبويا ..
في السماء الابديه
واقفا بالفقراء .

بيروت ٨-٤-١٩٧٦

أحمد مفدى

ملصقات اتهام على جدران دمشق

يا جبل الرفض على اشلاء التاريخ المتعهر ...
ان لمت جارية الشام سفوحك
لا ترحـل ...
او مرت افراس قرامطة الشام تدك
النبض المتوهج
في عنق حمامة ..
لا ترحـل ...
او اسروا انفاسك وامتصوا الحب
من النبعـة ...
والمـاء من الاعراق ...
لا ترحـــل ...
لكن سجل يا جبل الرفض
ان قرامطة الشام انبعثوا
لمـا غازلهم من « جبل الشيخ » رفاق
عـــاثوا
في رحم الامـة ...
فقرامطة الشـام انبعثوا
لمـا عجزوا عن كشف الاحزان
صاروا في قلب الوطن السـاخر غمة !!

يا تل الزعتر
افراس قرامطة الشـام
آتية ، تلعق مافي القلب من الدم
تنهش منا أشياء أخر ...
آتية وتراها ــ قد زلت ــ
اقـدام القتلة ...
في ايصال عراجين الثورة ...
وانكشفت عورات الخونة ...

سجل يا جبل الرفض
ما حفرته سنابيك الغازي
في ذاكرة الآتي
واندحاح الوجـه العربي
في وحل التاريخ الاجرب

سقط الوجه العربي
غاصوا في العين دماميل
وامتصوا دمنا الفائر
حتى نخـاع الظهر وما
انكبح الصوت الثائر ...
غاصوا في دمنا والقلب دماميل ...
والعـين المنبهرة .
حتى لو مازت بالغيظ
لا تستطبع هنا الرؤيا ...!
فالوجه العربي الفائم
مركبـة تائهة او
ملاح في لجج البحر الهائج نائم ...!

يا جبــل الرفض
فلتنفجر الرغبة فيك الى الثار
ولتجر صخورك قطرانا/ويلا / وصديدا ...
في قلب القتلة
ولتلتصق الاحراش باقدام غزاتك نارا ...
أو تنتفض الاشياء واقبية الشام ثوارا ...

يا جارية الشام المسبية في غسلين دمشق
بالامس رأيت ذراعيك
في عنق الغازي مسـدا
فانعطقي ، السـاعة ، صاعقة ، واشتعلي سقرا ثارا ...
ها ابناء الامة ينتظرون لهاثا
اعراس دمشق ...
فانتظري ...!
ابنـاء العشق
آتـون اليـك
والقلب على الايدي يحمل غاره ...
آتـون اليـك ..!
والقلب هدايا ترسم كوفية الثورة شارة ..!
فانتظري ...
آتـون اليـك
كي تغتسل الابواب الشرقية من مدن السبي

ودمشق / الجارية المحروسة ...
تنتظر الآتي بالحلم مفاجأة ...
لكن تتوجس ..!

أن يستخلف حلم قرامطة الشام
احقـاد العزى .. !

ورأيتك يا اكواخ التل المنهوش من الشام
غيمة غيظ ...
مرجل ثار يغلي من خبب التاريخ ..!
اذ ينجر ضبابا /موجا/عاصفة/ناقة لعنة ..!
في عنق الاسد الفاشي
الاسد الفاشي في قلب الامة طعنه ...

ورأيتك غيمة غيـظ
اثداء تطعم ابناء الشهداء ...
لبن النقمة
وحلمت بتكوير الكون المتحلزن
وحلمت بك الكون الشامخ
وحلمت بعصف ياكل شاربه المتعفن
غابات رؤوس مقطوفة
ورأيتك منسدلة
اشـجار اصـابع
تتهم التاريخ العاهر في شرفات دمشق
يا غيمة غيـظ
سيلي زفتا / وانداحي في مصران القاتل
يا اشـلاءالتـل
لا تنزعجي
ان الخيَّم في السفح
احفاد قرامطة الشرق
وانزرعي بذرة ثورة
ها جاء التاريخ يغربل اصحاب الباطل
ويذيب شعارات الزيف
نقعا ينساح على وجه القاتل

جريدة « العلم » المغربية
٤ ايلول ١٩٧٦

حافظ عليان

ضد البديل عن القتال

ـ ١ ـ

وينام هذا الليل يا شعبي وابقى صاحيا
ولان يافا لم تكن يوما نقيض البرتقال
سيكون صوتي جارحا
ويكون موتي واضحا
ضـد البديل عن القتال

ـ ٢ ـ

متوحش هـذا اللقاء ...
كأن كل خطيئة في الارض تزداد اعتراضا
متوحش هـذا الوداع ...
كأن كل هزيمة في الارض تزداد ارتجافا
والقائمون ـ القاعدون ـ على قيادة حبنا
او حربنا
ذهبوا خفافا

ـ ٣ ـ

متوحش عنوانها ان كان في بيروت ...
كل لصوص هذا العالم السفلي .
والمتدربون على اغتيال الحب .
كانوا يعرفون هويتي
كل الجهات الان ضد حبيبتي
هل تعطني بحرا ، لأحرق جثتي ؟
ادمنت كل ملاحقات الشرطة الانذال ،
ليس لدي حق في التسكع في الشوارع ،
لا ولا حق التشرد في ضواحي الليل ،
تأخذني تقارير ،
وترجعني تقارير ،
الى ايدي السكارى من رجال الامن
وانا أحدق في عيونك علني القى الوطن

ـ ٤ ـ

وينام هذا الليل يا وطني وابقى صاحيا
ولأن يافا لم تكن يوما نقيض البرتقال
سيظل صوتي جارحا
ويظل موتي واضحا
ضد البديل عن القتال

مجلة « الى الامام »
٩ نيسان ١٩٧٦

مؤيد البحش

دمشـــق ق . م

بيني وبين الحزن والوطن المؤجل
خطوتان ومعجزة ..
وأكون شيئا منك أو ..
امتد جرحا يعبر الفقراء منه
ليسقطوا شهداء او غرباء
او يتساقطوا ..
فالموت بعض مسيرة الغضب الذي
لم يكتمل بعد ..
الحياة مهمة الغرباء
هل يتناسخون ؟..
ليسقطوا شهداء أو غرباء
أم يتناسلون ..؟
لينهضوا قهرا طليعيا ، وحزنا قرمطيا
يحبط الوطن المؤقت ...
والمؤجل
كان معجزة فأصبح مذبحة .

★●★

يا أيها الوطن الذي يأتي ، ولا يأتي
الممزق حول شارات الخلافة مجزرة
هل ينهض الفقـراء ؟..
أم يتوكلون ...
« قل اعملوا سيرى الاله .. »
ومن يرى الخلفاء تنتعل الجياد
وتعلن المنفى وطن
وأنا الرعية ...
كلنا راع ومسؤول اذا هجم التتار
وكلنا عبد يباع ويشترى
للحرب قربان ...
وللامراء غلمـان
وعراف اليمامة ..
لا يؤرخ حزننا السري معجزة
لينهش في مضاربنا نبي او خليفة

★●★

يا هؤلاء الناس ان دمشق جارحة
وآتية بحك عيون زرقاء اليمامة
فانهضوا يا معشر الشهداء
وانهمروا بنادق او مشانق او جبال
يا معشر الشهداء
يا الرفضوا جنازتنا
فسرنا في جنازتهم خفافا أو ثقال
طوبى لـكم ولنـا
وللخلفاء نفلحها ونزرعها !؟؟

وماذا قبل ، ماذا بعـد ،
ان الجرح مفتوح على كل الجهات
الموت ليس وليمة الغرباء
ماذا قبل ، مـاذا بعـد ،
ان دمشق آتية

★●★

ومن كل الفصول الجرح آت
يا معشر الشهداء
ماذا قبل ، ماذا بعـد
لم تقرأ عليكم آية
غير التي أمر الخليفة
فانهضوا يا معشر الشهداء فينا
فالموت حين يكون مهنة معشر الفقراء
يبتعد الوطن

★●★

يا معشر الفقراء
هذي غزة اختصرت بلاد البدو
في وطن تبايعه القبـائل
والخليفة يمتطي الشهداء
مختصرا بلاد الشام اوسمة
وبيروت الحزينة ، يشهد الاطفال ،
لم تحمل وساما
غير سنبلة مضرجة
وقنبلة تؤقت في خلايانا
انفجار البادية
بيروت تغضب ...
هل أتاك حديث يوم الغاشية
يا ذا العباءة
ما شربنا من مياه دمشق غير دم
تسرب من ثرى الجولان
لا بردى أطل
ولا عيون الفيجة انفجرت دموعا او مطر
يا ذا العباءة
نحن لم نشهر سوى وطن عليهم
فتح الاحزان نارا أو شرر
يا ذا العباءة
هل أتاك حديث يوم الغاشية
يا ذا العبـاءة
نحن لم نخرج على عرف القبيلة
نحن اقتنا انفجار البادية

فلسطين الثورة « بغداد »
١٠ حزيران ١٩٧٠

وليد رباح

عنترة.. يصو ناقته بالخيانة

حلب عنترة ناقته حتى اخر قطرة ، ثـم ترك الحليب يبرد قبل ان يرتشفه بتؤدة ... قالت له الناقة قد ظلمك بنو عبس فلا تمد لهم يدا اذا ما الفزو داهمهم ... سمع عنترة كلام الناقة ، ثم انتقى شجرة نخيل عالية ونام تحتها .

حدثني شيبوب عن ابن اليمونة عن عفراء عن شداد انه قال ::: لما نام عنترة في ظل النخلة حدثت اشياء مهمة وخطيرة ، فقد سبى الغزاة حبيبته عبلة واخته مروة ، ووشموا امه زبيبة بالعار فولدت طفلا سموه المتفائل ، واستفرد الغزاة بالرجال فعاملوهم كما يعاملون النساء ، اراقوا الخمر بين اثداء نساء بني عبس ولم يشربوه الا من السرة ، باعوا اطفال القبيلة لرجال من قوم سيدنا لوط وختموا أرجلهم كيما يظلوا عبيدا مدى الحياة ، واكثر من هذا ، فقد انتقت عبلة شابا جميلا من الغزاة واتخذته خليلالها لا يضاجعها الا اذا ذكرت خصال عنترة الحميدة ، وكانت تكثر من ذكرها ، .. وقال ايضا : انه لما تدجن القوم وجنحوا نحو السلم تركهم الغزاة فتاهوا في الصحراء عشرات السنين ، أصبحوا يتاجرون بالقنب والجمال وافخاذ النساء ، ويمارسون البغاء دون ضوابط . ويقال ان الغزاة قد دعوا عليهم اذا ما غابت (حريمهم) لا يسألوهن اين كنتن بل يسألوهن ماذا جلبتن ، وفي رواية اخرى ، انهم نكلوا بعنترة في اثناء نومه وختموه كما ختموا اطفال بني عبس ، ولكنه ظل نائما تحت جذع النخلة تهزها له الناقة فتتساقط عليه رطبا جنيا ، تضعه الناقة في فمه فيمضغه ويتلذذ به ويرفض ان يقوم لينقذ حبيبته عبلة ، لكن هذه الرواية لم يؤكدها احد غير ابن النواحة ، وهذا معروف بعدائه الشديد لعنترة .

« .... في القرن العاشر للغزو كتبت صحيفة بني عبس ان بعض الاطفال رأوا عنترة يتجول في شوارع المدينة ، وان شعره الكث ولحيته المرغة بالوحل قد أخافت الناس فهرعوا الى الملاجيء ، واطلقت صفارات الانذار زعيقها ، وخلا السلطان الى صومعته يذكر الله كثيرا كي يبعد عن شعبه البلاء ، ـ ثم امر طائراته ان تصعد الى السماء في رحلات استطلاع متواصلة كيما تصور كل دابة على الارض عل السلطان يعثر على عنترة فيقتله ويريح الناس من شره . ولكن الطائرات كانت تعود ويؤكد طياروها انهم لم يشاهدوا طيلة ـ مدة الرحلات غير تحركات عسكرية على الحدود ، يجريها العدو بين آن وآخر »

ولما لم يثبت كلام الصحيفة فقد امر السلطان بأغلاقها وحبس العاملين بها ، وهكذا غدت دولة بني عبس دون صحف .

* * *

يحكى ـ والله اعلم ـ انه لما عم البلاء واصاب القحط والغزو بلاد بني عبس حكت الناقة انف عنترة فتقلب حتى رسا على وجهه ، ولما شم رائحة التراب نهض كمن لدغته افعى ، نظر حوله فاذا خيام بني عبس قد اخذتها الريح ولم يبق غير الاوتاد مغروسة في رحم الارض ، وتذكر عبلة وعروة وزبيبة وابن اليمونة وشيبوب وابن النواحة ، ثم انه حلف بالطلاق قبل ان يتزوج ليلاحقن شدادا ويجبره على الاعتراف امام كل الشياطين انه شرعي من صلبه .

قالت له الناقة ان ريح السموم تهب على الصحراء من كل الجوانب فادع ربك ان يزيل الكرب ويعم الرخاء ارض بني عبس ، قال عنترة للناقة ... وسيفي كان دلال المنايا فخاض غمارها وشرى وباعا ، قالت له قد مضى زمن الشعر والسيف ونحن الان في عصر الهروب . فحلف يمينا ان كررت ما ذكرت سوف يقص رأسها ويطعم كبدها لفقراء بني عبس ، ثم ان الناقة انكمشت على نفسها ولم تعد تخاطبه الا بالحسنى .

* * *

انتعل السلطان حذاءه بالمقلوب واسرع نحو الميناء ... وقبل ان يصعد الجند الى ظهور السفن وصاهم ان يجوبوا البحر بحثا عن عنترة ، وان لا يعودوا الا وايديهم تقبض على شفتيه الغليظتين .

قال القائد سوف يتدحرج رأسه امامك في ايام قليلة ... قال السلطان لا اريد رأسه اريده حيا أتحدث اليه كيلا يتهمني الناس باني محوت مجد بني عبس بقتله .

وهكذا صعد القائد وجنده الى السفن وغيبهم البحر فلم يعد يسمع بهم أحد .

بعد اشهر قيل ان عنترة قد اغرق كل السفن بما فيها من حمولة وجنود ، وقيل ان السلطان قد عطل السفن فانفجرت في البحر كي يتخلص من الجند المعارضين ، وقيل ان الجند والقائد قد انضموا الى صفوف عنترة وهم يتحينون الفرص للانقضاض على السلطان وتحرير ارض بني عبس من الكفرة .

الا ان كل الروايات التي غطت المنازل والشوارع لم يسندها دليل واحد ، وهكذا نسي الناس الجند وحكاية السفن والبحر والخطر الذي يأتي من البلاد البعيدة .

* * *

قالت عبلة لوصيفتها اني اشتاق اليه وأحن لمرآه فافردي لي منديلك بساطا اطير عليه وابحث عنه في كل المدن ، قالت لها الوصيفة ان كان حيا فسوف ينقب الارض بحثا عنك فلا تجزعي ، ثم ان عبلة نامت وهي تحلم بالزرع والحنون والارض الخضراء .

* * *

عن زبيبـة عن مروة عن شـيبوب عن عنتـرة انه قـال : ـ

هزت الناقة النخلة فلم يسقط الرطب ، وهزتها ثانيـة فتساقطت الحجارة على رأسي وفتحت فيه شروخا لا زلت اتحسسها والعن اليـوم الذي احب فيـه شداد زبيبـة .

قادتني الناقة الى ارض غريبة ، وكلما دخلت خيمة رجمني النـاس وحملوني اثقالهم ... هاجمني الاطفـال في الشوارع فلـم يهتم الكبار ، صبوا الزيت الوسـخ في طريقي فانزلقت قدمـي اكثـر من مـرة ، وفي احـدى المرات كادت سلسلة ظهري تتقطع .

وهكذا حملت بعض فتات الخبز من اكوام القمامة وانتحيت بعيـدا عن الناس أمضغ أيامي بمـرارة .

وخلال وجـودي ، كان رجال القوافل يمرون بي فاسـمع اخبـار بني عبس ، قـال احدهم ،

في غياب عنترة حدثت اشـياء مهمة وخطيرة ، فقـد بـرز احـد الفرسـان وسـمى نفسـه (الزيـر) واخذ يتغزل بعبلة وجمالها فداهمه زوجها في عـز الظهيرة وحلق له شاربه وهكـذا فقـد رجولته وانتحـر .

وقال آخـر ان العسس منعوا آل عبس من التنفس الا مـن خلال قصبـات صنعتها لهم الدولـة ، يدخل اليها الهـواء بمقـدار ويخـرج منه بمقـدار .

وقال ايضـا :

ان بني عبس قنعوا بالقليل واخذوا يحلمون في النهـار وينامون في الليل ويأكلون ويمشون في الاسـواق بانتظار عنتـرة .

وعنه ايضـا انه قال :

وهززت سيفي فارتعش الجبناء ... كان الجوع والوجـع يفـردان ظلهما على وجهي ، لكنـي مشـيت خطـوة فانغرسـت قدمي في رمـل الصحراء ... نزعتها بقوة وواصـلت الطريق ، ـ انتهى كـلام عنتـرة ـ

❋ ❋ ❋

هذا العنترة الملعـون القادم من صحراء التيه فليقص لسانه ..

كان الظلام يدوس بنعليه وجـه المخيم ... وعنترة السـابح في البؤس والجـوع يجمع كل الفقـراء ويحدثهم عن عبلة ، وشداد يختفي بين الازقة لا يريد مواجهته ، وطائرات السلطان تحـوم معلنة حالة الطوارىء .اما الاطفـال فكانوا يمضون ايامهـم بـين اكـوام القمامـة .

سـقط عنترة من حصانه (فجلجلوا) كل حـواف السكاكـين والسيوف ، لكنه نهض واخذ يهز سيفه من جديد

عـن ابن النواحة عن عنترة أنه قـال :

لقد مات عنترة يـوم سبيت زبيبـة (انتهى كلام ابن النواحة)
وعن شيبوب عن عنترة انه قال :

قيدوني ... قصوا شواربي لكني لم افقد رجولتي فقـررت ان اواصل القتـال . وعبر صليل السـيوف رأيت عبلة تفـرد غدائرها وتلفها حـول وسـطي كي تنقذنـي من الموت .

عن عنترة عن شداد انه قال :

داهم الغزو بني عبس فغلت الدماء في عروق عنترة .. وهكذا انتضى رمحـه وتمنطق بسيفه واطعم لحمه لدبابات العدو ومن هنا قـررت ان اعترف به .. على انه من صلبي .

عن عبلة عن عنترة انه قال :

عبر كل عيون آل عبس ارى وجه عبلـة ، وبين الحفاء والرمـد وقنوات الماء القذر في الازقـة (اجلخ) سيفي واواصل .

❋ ❋ ❋

جرح عنتـرة ساق ناقته ثم امتص بعضا من دمها عندما لـم يجد الماء ... قالت له الناقـة في جوفي الطعـام والماء فاذبحني ان شئت وامض لما انت فيه ، ضحك عنترة وتمطى على الرمل قليلا .. ثم انتقى شجرة نخيل وارفة فاتكأ على جذعها لكنه لم ينم .. كان دبيب النمل يوقظ فيه كل هواجسـه فينهض على الفور ، تـرك كـل عـواء الذئاب وراءه ومشى ، وعبر كل شـعاع جديد للقمر ، كان يحلم ان يلتقي بعبلة فيلف وسـطها بذراعيه وينقلها الـى عالم رحب لا وجود للناس فيه .

طرابلس (ج. ع. ل)

منذر الجبوري

شهادة لتل الزعتر

ما بين يديك ومقصلة الاتين دم
ما بين يديك وحبات الرمل دم
ما بين الارض وبين الارض دم
وحدك تمتلك الان الصمت
وحدك تمتلك الان الصوت
وحدك تمتلك الان دروب الموت
كل الطرق الملغـومة
تلتف ثعابينا رقطاء
تمتـد فحيحـا
تمتـد دمـا
تمتد نيوبـا زرقاء
وحـدك تمتلـك
الرمـل
الجـرح
الثـورة
كل الاسماء
وحـدك
فلنغمس اقلام الطين
في فوهات الاعـين
ولنعلن ...
أنت فلسطين
وحـدك
كنت القاتل والمقتول
وحـدك
يا رجلا يمتد الى المجهول
اقسم ما حملتك يدانـا
اقسم ما حملتك بدانـا
اقسـم
اقسـم
ثم اواريك بقلبي
قلبـا
يحمل كل الحب

•

وكنت اراهنها باسم كل الرجال
اقول لبيروت
هـات يديـك
اطمئنـي
انظـري
فوق وجهي كـل الرمال
وكانت تلاعب سيدها البحر
تشرب نخب رجال البواخر
تهدأ في حانة لونها زرقة البحر
تمتص طعم الليالي الانيقات
كنت اقـول
بأن الافاعي تسترق السمع
تسمن فوق الموائد
تشحذ انيابها الزرق
تأكل من لحم بيروت
من نهد سيدة تتصيد روادها
وكنت اقـول
بان الموائد تسرق روادها
تتعرى بمنتصف الليل
عن طعنة غـادرة
.. وكنت اقول لبيروت
كان الرجال يقولون
كان الرصاص يقول
بأن الموائد تختزن الزائرين
تختزن البحر « بارودة »
تتفجر فوق عيون الصبايا
وتعلن ان العروبة ساقية
ضمها البحر
كنـا نقـول
كان الرجال يقولون
كان الرصاص يقول
« ولكن قومي أسكتتني رماحهم »
وها ان بيروت تلفظ انفاسها الحانيه

•

سيدي ايها المتوزع في الشاحنات
سـيدي ايهـا الجسـد المـر
يا ايها الرجل المـر
يا وجهنـا
يا ربيعا من الموت والامنيات
قـد حط بعينيك وازهر
خصبا ومنى تل الزعتر

« الجمهورية » البغدادية
١٧ آب ١٩٧٦

مريد البرغوثي

نشيد للفقر المسلح

انتبهـــوا !
خرج الفقر الى الشارع
مـــن حزن العينين
وتسبيل الجفنين
وتقليب الكفين
الى الشارع
مـــن قدر التعـب
وكــــدر الشغب
الـــى الشـارع
والتقط الرشاش !

فانتبهوا يا كل الاسياد اقول انتبهوا
الجـــوع هـــو الجـوعى
والفقر هـــــو الفقراء
والآن انتصب الفقر وحمل الرشاش
واقـول انتبهـــوا !

* * *

اجمـح واجتحنا كهبوب الريح
هات وسلحنـا فالوقت لحـوح
ولســوف نلاحقه بالدم وبالروح
يا رمل الصبر عطاياك لنا جوع وجروح
بالامس كتمناها ، واليوم نبـوح
ونجيء ، نلاحق نـــار الفعل ،
لكي نخرج من وقت الرمل الى وقت الريح !

* * *

كتف الفقر ، ورشاش ، وارض تتململ
وجياع يطلقون النار يأتون ، كتاريخ مفاجيء !
كل من سماهم الاسياد في الماضـــي صغـــارا .
يكبرون :
ويجيئون من القمح وزهر القطن والتبغ واعـواد القصب /
ومن الازميل والسندان والآلة ، من ارصفة الميناء والشحن وعتمات المناجم / ومن الاسمنت والمحجر والحقل وافران الحديد
ومن القصدير ، من لفات اسلاك النحاس / ومن الاغـوار
من عشب السقانا والسهوب / من جبال التنين
والزيتــون يأتون من المطرقـــة الحمراء والمنجل والفأس /
ومن انقاض طول الصبر والسلوان
يأتون كتاريخ مفاجيء !
كل من سماهم الاسياد في الماضـــي صغـــارا ..
يكبرون :
تحت نفس الشمس تعلو نقشة الحطات والعقل
تلاقي قبعات القش والخوذات والاثواب /
والقمصان والنسج الملون
تصبح الالوان لونـــا فاعلا
ينمو كتاريخ مفاجيء !
كل من سماهم الاسياد في الماضـــي صغـــارا ..
يكبرون :
رقصة الغابات تلقى رقصة البحر وتلقى
سحبة الشبابة اللهفى وابيات العتابا
وجموح الجـاز والسـامبا
وانغام الكاليبو ونحاس الساكسـافون
يفهم الفور معانيها واعشاب البراري /
وحقول البن والكاكاو والمطاط لما يتوالى /
في المدى منهـــا الصدى تفهمها
كل من سماهم الاسياد في الماضـــي صغـــارا ..
يكبرون
ويجيئون كتاريخ مفاجـــيء !
تحت نفس الشمس يأتون
اياد تلتقي الوانها ، تجذب دولاب السنين
تسقط العالي الى الاسفل والاسياد فيه يهبطون
بينما تعلو ايادينا كتاريخ مفاجيء
اسمـــه الفقر المسلـــح !

* * *

سلاما ايها الفقر المسلح !
سلاما يا جياع الارض في ايديكم الرايات

مضى يوم وكانت فيه تستعصي على ايديكم اللقمة
ومنذ اليوم لن تعصيكم الطلقات !
سلاما يا جياع الارض في أيديكم الميعاد
سلاما كلما نزعت اياديكم حديد القيد والاصفاد
سلاما كلما استعصت طيوركم –
على صيد الطغاة وصادت الصيـاد
سلاما كلما نطقت بنادقكم لتفضح رعشة الاسياد !
سلاما كلما ادركتم الحيلــة
وقاومتم لكي لا تقتلوا جـوعا
وكي لا تؤخذوا غيله
سلاما كلما قدتم سفينتنا لمرساها
سلاما كنتم لها القبطان لا اغفى ولا تاها
سلاما كلما جئتم تحيط دوائر البارود خطوتكـم
وترعاها
سلاما كلما اعطيتم الكلمات والاشعار معناها !
سلاما كلما عشــتم بلا خـوف
وان متم فليس يخيفكـم مـوت
سلاما حـان موعدكم وطـال عليكم الوقت
سلاما كلما بددتم الصمت المحيق بنـا –
وصـار لصمتكم صـوت
ينادي في جيـاع الارض :
يأتي الوقت يـا فقراء ان تأتوا
الا فـأتوا !
سلاما يا هبـوب الريح
سلاما ... أيها الفقر المسلح !

« فلسطين الثورة » البيروتية

آذار ١٩٧٦

محمد راضي جعفر

الى بيروت

احبك : ان تعيشي او تموتي
ليس لي حق الخيار ،
لأنك الموت الوحيد : فانت ملهمتي وانك هذه الدنيا :
فانت الماء والزيتون والخبز . اسأليني أي شيء : جربي ان تطلبي ما لا يهون وما يهون ، وحدقي بي حين يرتعش الهوى او حين تخضر الاصابع فوق وجهي شاطئـا وظلال نخل أنت ترتعشين ، تحضرين في قلبي ، ومـا انطفأ التحرق . ايها الظمأ الهجير الصمت لا تتعب . هنا في القلب مثواك الاخير ، فلا تفق من سكرة الصحراء الا عندما تتوهج الخيل المغيرة والسيوف تدلك البدويـة السمراء ان الدرب بين البحر والميناء آمنة . وتلقاهم بنو غسان كالاشجار خضرا . ايها الظمأ الهجـير : دم الجنوب الريح ، والفرسان من غسان عند مداخـل الميناء ، من شيبان ، من بكر ، ومن .. عربية كـل المداخل والمضايق والهوى العربي : ارز اخضر ونشيد بحر . والمواويل التي عرفتك عاشقة .. وما غنتـك (فيروز) . فاغنية على الدامور والاخرى بزحلة . هـا هنا قلب وقلب ها هناك وبين ذاك وذا شهيد قائم . وفم اغض . ووردة حمراء . يا بيروت اني قادم : نبضـي دم ويدي مواويل وخبز فافتحي شباكك الموصود عنـد البحر ان الموعد المطلول آت .

« الجمهورية » البغدادية

٢٨ تموز ١٩٧٦

علي الخليلي

هل تدخلين تحت رعشتي منارة؟

ـ ١ ـ

أبحث عن قميصك المبلول ،
عن عاطفة الاعشـاب والذهول ،
عن مخيلة الدخول ،
عن ذاكرة الورق والاحجار والانسان ، موعـدا
يفوت ، موعدا
يجيء . لم نمت . لم نفقد الاصابع المرتعشة .
فتهطل المدن والكتب والانباء .
تغترب الاشيـاء .
لذاذة ، فنمسح الحيطان والاشـلاء
لذاذة ، فتؤمن الحجارة
بالبرق والليمون .
هل تدخلين تحت رعشتي منارة ؟
هل نكسـر العبارة ؟
هل تبحثين عن قميصنا المبلول
بالزيت والبقول
في اول الحزن وعتمة العيون .
ليس لنا براءة الاوثان ، ليس صوتنا بحيرة الزجاج :
من ينتزع الأجنحة ، الأجنحة ، الأجنحة ـ الخيال ـ
من أصابعي المرتعشـة

أول المسألـة
قبلة تحـت الحصار
آخر الأنتظار
مقصـلـة .
متعب مثل ذراع
طوحتها قنبلـة

وأنا الباقي الجريح
نشرتني كل ريح
سنبلـة .

قولي ، أهج كالقطيع . شتتي قماءة القطيع .
ليس لنا حديقـة ،
وليس في جدارنا مخيلة .
قولي ، انا المشوه الباقي فمن يفرك بين شفتـين
جمرة ..
أو هيئي ولو فراشـة ،
ولو أكذوبة من المطر ...
أذوب في رائحتك / الأمان والغزالة الرؤوم .

ـ حملت رأسي وأتيت
حملت رأسي ونجوت .
فارقني ، فارقني ريقك في الصبح .

ـ ٢ ـ

أبحث عن محارة في صدف مهجور
عن بيرق منهزم مكسور
وساعد مبتور
ولوزة في الغابة
تكتسح الغابة .
أبحث عن ضعفي وعن مخاوفي .
أبحث عن قهوتنا ..
قلت ، وناح بلبل الشيوع
قلت : هذا الجوع
عباءة من رمل .
ودفتر ممنوع .
وقلت .. كان فخذك المصقول
في الليل يأتي ، يستوي البهلول
في السفح كانت نشوة الطلول
تفترع الطبول
والغابة العذراء
تكذب ، تكذب .. ينام كل وحش
وفخذك المصقول
يخرج من رائحة القش
ومن خراب النقش
من شبق البهار والبقول
ولوثة الشباب والكهول ..
يختال ، حتى يسكر البهلول
وتقفل البئر .

ـ ٣ ـ

لو كان القنديل الأزرق غرغرة الميت
هل كان القنديل الأزرق مات
لو علق شحاذ في عروته وردة
هل ماتت وردة

لو سافر في الرمل ، الطوفان
هل جف الطوفان
لو كانت لـو ..
لو كانت لو الأولى غرغرة ، طوفانا ، وردة .

— ٤ —

أبحث عن صديق
في أول الطريق
في آخر الطريق
يفهم ميتة الصديق
قبل ميتة الصديق .

ابحث عن مدينة محروقة
تخرج من غبارها الذري
ومن عرائهـــا ،
عاشـــقة معشوقة

ابحث عن بنادق لها عيون
لهـــا أنوف
ولهـــا آذان .
بنادق لا تقتل الانسان .
ابحث عن خميرة في الطين والصوان .

— ٥ —

لمست باطن كفك / لا قصيدة ولا كلاما منثورا /لماذا
لم تخبريني أمس عن هجرة البواخر القديمة .
وقررت أن ألمس العالم مثل أفق منكسر .
وقفت تحت عينيك . قلت : هذه بحيرة لا تهجرها
مراكب الصيادين الفقراء .
شممت رائحة الجسد المطوي مثل كتاب مقدس .
صرخت : لا تموتي ، لا تموتي .
انت لست سمكة في حوض الزجاج ،
أو غزالة في المتحف البلدي ،
أو مكتبة محترقة .
في الحرب ، نؤكد هذا الصحو حتى لا نتراكم مـع
النفايات —
لست حتى الموسيقا المنسية
او ستارة المسرح المهدم ،
أو آنية الزهر ،
أو الزهرة ذاتها .
لست طابع البريد في المرحلة الحرجة
ولست احدى الشظايا
أنتِ في الحرب ،
تبحثين معي عن لقمة الخبز ،
هكذا ، هكذا في الحرب ، ألمس باطن كفك ،

وأحدثك عن الجوع ،
تلمسين دمي ، وتحدثينني عن الجوع .
هكذا ، هكذا جوعنا أفق لا يحد .

في المرحلة الحرجة ، في آخر لقمة خبز طحنتهـــا
الحرب

نفقد طعم الخبز ،
لا نفقد طعم الانسان .
فالصيادون الفقراء
تحت القصف
يلتجئون الى عينيك ويلقون الشبكة
— لست السمكة —
لكنك هذا البحر .. وهذا الحب .

لمست باطن كفك / لماذا لم تخبريني أمس عن هجرة
البواخر القديمة .
قلت : من أصغر الأنهار حتى اكبر الأنهار ،
أجري نحوك ، وأصب فيك .
وأصرخ : لا تموتي ، لا تموتي !

هذا السلم مكسور ؟ ! لا بأس ،
سأسند من لحمي خطوك ،
هذا العالم ؟
لا بأس
نحن .. نحب العالم ،
ها .. نحن .. نحب .. العالم .
. . . .
ونحب الزعتر ،
ونحب الاعشاب البرية
مثل طيور تخترق الأفق الاحمر
كل مساء ، حتى تتسع الحرية
في اجساد الفقراء ،
وتنمو أحلام البشرية

نحن نحب العالم ،
ونحب الزعتر
نسمح أرغفة الخبز السمراء بزيت الزيتون
وبالوعد الآتي
ونرش الزعتر فوق الزيت
نرقص ، حتى يمتليء البيت
بالحب وأعناق الازهار ...

كان الزعتر
شيئا كالماء
وشيئا كالخنجر

عبدالامير معلة

بيان شخصي عن :

مذبحة التل ...

ليس هذا رثاء ...

فلا تصرخوا ...

فلم يسقط مخيم تل الزعتر قبل خمسة أو ستة ايام .. بل هو انتهى عسكريا منذ ان حاصرته قوات الانعزاليين من كل مكان .. ومنذ ان منعت قوات حافظ أسد ، وصول الامدادات اليه من ايما مكان ! ..

لا نصرخوا .. فقد تعذر ان ينفذ الى المخيم اي شيء ، غير حمم القذائف والصواريخ ...

ولا تصرخوا ...

فليس أهل مخيم تل الزعتر هم الناس الذين يتناثرون اليوم على الطرقات المؤدية الى المنطقة الغربية من بيروت والموت يحصدهم من كل مكان ...

ليس اهل تل الزعتر هم هؤلاء .. وانما هؤلاء انفسهم هم اهل تل الزعتر الذين كانوا حتى قبل أيام مضت . يصمدون . دونما كف ماء أو قطعة خبز يابسة ... والذين كانوا حتى بضعة ايام مضت يقاتل الجرحى منهم على خط الدفاع الاول لكي يحافظ الذين لم يجرحوا على ادامة الصمود بوجه ضراوة الوحوش ! ..

وهم ايضا : أولئك الذين كانوا قبل بضعة ايام ، يقاتل حتى الاطفال منهم ، وهم يرددون نشيد (فلسطين داري ..) .

من أجل ماذا ؟!

ليس من اجل ان لا يسقط مخيم تل الزعتر ، فقد انتهى عسكريا منذ ان التف المحاصرون حوله من كل مكان .. بل من اجل ان يضرب ابناؤه مثلا في الصمود حتى آخر قطرة من امكانية الصمود ...

ولقد فعلوا ذلك بالفعل حتى نفدت اخر قطرة منه ...

ولا تصرخوا ....

فليست المعارك كلها انتصارات . بل فيها الانسحاب هنا . والانكسار هناك ... غير ان الايمان وحده ينبغي ان لا ينسحب من القلوب ، ولا ينكسر امام وحشية الاعداء ...

من أجل ذلك . اقول لكم : لا تصرخوا ..

بل لنبك بصمت ، ونكز على اسناننا . ونعض على الشفاه .. ثم نعيد ترتيب الصفوف ، فامامنا معارك أخرى . قد ننكسر في بعضها ثانية ، غير اننا سننتصر اخيرا لاننا اصحاب قضية . أن لم ننتصر فيهـا فلن يرى ابناؤنا في غد سوى الظلمة الابدية ...

اذن : لا تصرخوا ...

هم اليوم يضحكون منتشين ، فيتقطر الدم من بين اسنانهم...

ونحن نبكي .. فيقطر الدم من قلوبنا ..

هم يحصون قتلاهم ....

ونحن نحصى شهداءنا ...

هم : يحصون عدد الاشهر التي مضت على الحرب ...

ونحن نحسب عدد السنين والاجيال التي سميتد اليها القتال..

هم ينتظرون تقسيم لبنان ... ونحن ننتظر وحدة الوطن العربي ...

هم ، الليلة وغدا ، يعبون الانخاب على جثث شهدائنا ...

ونحن نعبيء بنادقنا بالرصاص الذي خلفه لنا الشهداء ..

اذن : لا تصرخوا ...

ولنبك قليلا تحت صمت الرجولة وحيائها ... ولنلملم ذكرى الذين استشهدوا ، ونضعها بين اضلاعنا بهدوء ... ثم نحمل البنادق وننطلق ثانية الى ميادين جديدة للقتال . فقد انتهى ميدان مخيم تل الزعتر .

« الف باء » البغدادية
١٨ آب ١٩٧٦

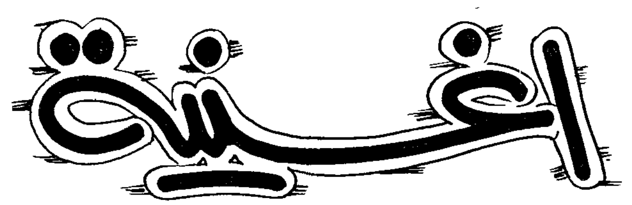
كان الزعتر
شيئا كالوطن
وشيئا كالمنفى .
يا زعتر ! يا زعتر !
من علمنا حفظ الدرس وحفظ الجوع ؟ !
من قاسمنا غليان الرئة واوجاع القلب ؟
قالت أم الأولاد :
أوصيكم بالزعتر ،
أوصيكم بالاخضر ..
فاتسع الأولاد ،
اتسع الأولاد
نجوما وبحارا وعناوين لكل الأيتام
. . . .
في هذا العام
يتدفق من خاصرة الزعتر دمنا ،
تتدفق اعناق الاطفال واعناق الازهار المذبوحة
في هذا العام
يتدفق من خاصرة الزعتر وجه فلسطين
وكل شبابيك العالم مفتوحة . . .
يا زعتر
يا تل الزعتر !
يا أخضر ،
يا أحمر . . .

— ٦ —

تعطس الرأس ،
أم يعطن الكيس في الغرف الموحشة
وانفجار البراكين آنس من شبق البوح ،
لكنني أورث العطش / الماء ،
افضح قتلي
وذلي . .
أجاور مذهلتي المدهشة
أدس الخياشيم في كل زق
وانفذ من كل شق
وأرقص قبل ارتطامي .

طرابلس — ليبيا

محمد العبدالله



(١)

لألف قطعة من جسد ينقسم
يوجد قلب واحـد
لألف ساقية من الدم والعرق
تطلع وردة واحدة
لآلاف السواعد التي تختار بنادقها
يوجد اتجاه واحـد
لكل الأفواه التي تنشـد
توجـد اغنية واحـدة :
من الموج للثلج نأتيك يا وطن الساعة الآتية
ونغزل سجادة القمح والتبغ خيطا فخيطا
نعمر اغنية المدن المستعادة بيتا فبيتـا
يحملنا البحر امواجه الألف وتسكننا القمم العالية .
اننا ننهض الآن من موتنا الاولي ، من نومنا الاولي
نطلع في شمسك الرائعة
ونحبل بالارز والشجر الساحلي
نستقريء اسماءك الضائعة
اننا ندخل في دورة الطلق
فافتح فضاءك للصرخة الحاسمة
وبارك ولادتنا الاولية
اشراقة الأوجه القادمة
نجيئك من كل صوب كما المطر المنتظر
يا وطنـي
نسقيه بالدمع والدم يمشي بنسغ الشجر
يا وطنـي
لتغدو كالقمر المكتمل
مشعا . مضيئا
على كل ابنائك الطيبين .
فافتح ذراعيك للقادمين .
افتح ذراعيك للقادمين .
افتح ذراعيك للقادمين .

(٢)

كلهم يدخلون
الشجر ، البشر . الاصدقاء الهامشيون
والاصـدقاء
كلهم يدخلـون
ويجذبهم وقتي المتوهج بالطاقة والكلمة
القاطعـة

انه منطق النـار
تحتطب الشجر اليابس والشجر الاخضر
والشجر المتردد
بين التراب وبين الفضـاء
انه منطق الساعة الواقعة
واحدا واحدا يجندلهم وجعي المتربص
يأسرهم مغناطيس العلاقة
مائة مائة يضاؤون بالنغم المشتعل
وينكشفون . ويكتشفون .
كلهم يدخلـون .
ابادلكم قلقي . غربتي . وفراغ الشوارع .
ابادلكم وحشة هذي المدينـة
ونشرب في صحة الزمن المنقضي
نشرب في صحة الموعد المنقطع
ونقرأ آتي الوجوه الحزينة .
نقرا سفر المراثي
وسفر المراثي
وسفر التسكع
وسفر البكـاء
ونستمطر الورد والدمع على دفء ذاك
الشتاء

ويدهمنا الوقت
من يحمل الميتين الى موتهم ؟
من يحمل الطيبين الى وقتهم ؟
من يحمل ورد الدماء عن الشهداء ؟
كلكم تدخلـون .
المدينة تفقد ابوابها الموصـدة
المدينة تفتح ابوابها الداخلية
المدينة تستقبل القادمين
المدينة بيضاء تنتظر الراقصين ،
والراسمين والحالمين .
من يسمي المدينة اسما جديدا ؟
ويرسم هذي المدينة رسما جديدا ؟
ـ الـي بالعاملـين ، والعاطلـين ، والفقراء ،
والشـعراء .
ـ انهم قادمـون
كلـهم يدخلـون
الشجر . البشر . الاصدقاء الهامشيون
والاصـدقاء .

« الاخبار » البيروتية
١٣ آذار ١٩٧٦

جودت فخرالدين

قراءات على طريق الشام

١

كانت بيروت تخضب بالعطر ضفائرها ثم تنام .
تنشرها فوق طريق الشام .
كانت بيروت نثارا يتحلق حول طريق الشام
ثم اتى شجر لا يعرف ميعادا للشوق
هذا شجر كالنصل اتى من جهة الشياح
ليسكب ظلا يبلغ حجم العشق .
. . . واهتز طريق الشام ، تلوى
فارتعش الجسد العاشق
لكن الشجر المتدافع لا يعرف ميعادا للشوق

٢

يمتد طريق الشام طويلا
يمتد عميقا كالجرح
ويشهد اعراس اللحظة
يسقط في حلم يتناسل كالزمنِ
يرسم خارطة للدمع وخارطة للوطنِ
لا شيء هنا يستوقف احلام المدن الولهى
اذ تسقط عاشقة في فرح يتلألأ خفاقا
كدم مثوثب
كدم يتغلغل في الارض كجذرٍ متشعب.
لا شيء هنا يستوقف افراح المدن الولهى .
تتزين لاستقبال العشاة حفاة او قتلى .
يصلون تباعا
لا شيء يحول هنا دون وصول العشاق
فهم يأتون حفاة او قتلى لكن يصلون .
حين يجيء الفقراء وينتشرون على مقربةٍ للموت
ويحترقون على مقربة للخبز
وبين أهازيج الطلقات العذبة يرتحلون .
حين يضيء دم الفقراء
ويشمخ منتصبا كالرمح على طول الخط الممتد عميقا .
بين الشياح وعين الرمانة
يهتز طريق الشام ويندى
ويراوده العشب فيسقط في حلم يتناسل كالزمنِ
يدخل في خارطة للوطنِ .

٣

يمتد طريق الشام طويلا في الوطن العربي
ويرسم خارطة للاعداء
يترك آثارا كالنفط على الصحراء .
تتحلق حول طريق الشام الممتد طويلا في الوطن العربي
قبائل لا تاريخ لها
هذا زمن نحن نؤرخه
نقرأ فيه تضاريس الوطن العربي
نجدد ايام الهجرة
هذا زمن نحن نؤرخه
نصنعه نحن الفقراء ونكتبه
بدم يشمخ منتصبا كالرمح
على طول الخط الممتد عميقا بين الشياح وعين الرمانة
يترك آثاراً فوق طريق الشام
يترك آثارا كالفجر القادم
تحضنها بيروت قبيل النوم وتسقط في الأحلام .

بيروت ـ تموز ١٩٧٦

شريف الربيعي

السعقلية
افكار في خدمة الجريمة !

مرة وقف الشاعر اللبناني « الفينيقي » سعيد عقل واطلق صيحة زعل في وجه العالم الكبير ، قال سألبنن العالم وأزحلل لبنان . ان يصير لبنان زحليا نسبة الى « زحلة » مدينة الشاعر وبالتالي ووفق المعادلة السعقلية « نسبة الى سعيد عقل » فان العالم كله سيكون زحله.

انه لا يمزح فتلك من شعارات « المردة » الذين ينتمي اليهم الشاعر . وفي رأس مهماته الانتخابية حين رشحه تنظيم « حراس الارز » اليميني لانتخابات رئيس الجمهورية التيجرت في وقت سابق منهذا العام، كان التخلصمن الفلسطينيين علىالارض اللبنانية وبعدهم بقية العرب الذين يسميهم سعيد عقل « الغرباء » .

وقبل هذا وذاك من شعارات سعيد عقل انه يفتخر دائما بعدم لفظه كلمة « عرب » على لسانه منذ بدأ يعي قوميته (الفينيقية) .

وسعيد عقل صاحب جائزة شهرية يدفع ثمنها بنك لبناني « معروف » كل شهر ليقدمها لمتفوق في احد المجالات « الانسانية » ! كما ينص قانون الجائزة .

لقد استطاع هذا الشاعر ان يوظف عبر مواقفه الشاذة حيزا دعائيا لخدمة الفلسفة اللبنانية . وهو مع الشاعرة الفاشلة « مي المر » يؤلفان ثنائيا متجانسا في الحقد وكراهية كل ماهو عربي وأي انتماء قومي خارج الفينيقية . وايضا الحقد على المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية . وتنظيم « حراس الارز » الذي ينظم سياسته سعيد عقل ، كان البادىء بالقتل على الحواجز الطائفية ، وهو التنظيم الذي صرح باسمه قائده العسكري « ابو ارز – اتان صقر » بانه يود اقامة حائط كبير بين لبنان والعرب – وان اسرائيل اقرب الينا من العرب .

هذا الى جانب المزيد من البدع السعقلية فهو الداعي الى احلال الحرف اللاتيني مكان العربي وقد كتب مجموعة شعرية بهذا الحرف لاثبات التحدي . وباللهجة العامية واسمها « يارا » . ولعل اعتزازه باللهجة العامية اللبنانية لتوكيد رفضه للغة العربية دفعه مرة لالقاء محاضرة عن « لينين » بهذه اللغة وذلك خلال احتفالات سابقة .

وعبر عمود يومي بجريدة « لسان الحال » المحترقة والمتوقفة كان عقل ينفث سمومه بلغة ارقام متوخيا الدقة لاثبات ان كل الذي يحدث في لبنان من جرائم قتل حتى على مسألة الشرف انما هو مرض عربي وافد على لبنان ، وان لبنان واحة في صحراء وانهم اي العرب يضمرون له الحسد والكراهية وانه الاكثر حضارة وتطورا وتكنولوجيا ..

ولعل ما يحكى عن مواقف سعيد عقل الاخيرة واصطفافه بجانب القتلة وقبوله عبر قناعة ان يكون لسانهم ، لا يقارنبموقف الكاتبالامريكي جونشتاينيك ، الذي ايد حرب امريكا فيفيتنام وسقط فينظر الانسانية . فرغم ان الفرق بين الشخصين في مجال الابداع والعالمية لا يسمح بالمقارنة ، فان الموقفين يتشابهان من حيث الانحياز وهو الذي وضع سعيد عقل في قاع الازدراء رغم كل التبريرات التي ينطلق منها في تمجيد لبنان وحرصه على تخليص البلد من الغرباء والانعتاق من تخلف العروبة كما يقول . فهو اعطى عن قناعة لكل التقدميين منشعراء وكتاب ومثقفين ولكل الجماهير التي كان يطربها شعرهفي السابق ان تقول كلمتها في هذا النمط من التفكير . انها فلسفة ساقطةموظفة لتمجيد الجريمة وتشويه الانسان .

« الف باء » البغدادية
١٨ آب ١٩٧٦

يحيى يخلف

البقاع ..

لوحة كبيرة على الجدار الابيض .. بحيرة حالمة ، وطيـور اسطورية وامواج تنثني وتتكسر ، وقارب من خشب الصندل ، يركبه مغن وعاشقان .. وفوق الامواج غيوم بيضاء كالقطن تمتطيها نساء من الجيشا ..

أرض الغرفة مفروشة بالسجاد ، والمقاعد ذات وجوه وثيرة ، ومنافض السجائر فارغة فوق طاولات لامعة .. وجدار كامل من الزجاج يطل على دغل من اشجار التفاح .

كانت تلك غرفة الصالون ..

الشباب انزلوا اثقالهم في الغرف الاخرى ، الاسلحة والذخيرة والبطانيات ، وبعضهم ارتمى على الفراش الوثير او الارض المكسوة بالسجاد ، لشدة التعب والارهاق .

كنا ، قد نمنا ليلتين في العراء ، تحت المطر ، وتعرضنا لقصف عشوائي .

عندما وصلنا الحقل ، حقل التفاح المترامي الاطراف ، جاء نباح كلب ، فقال آمر الفصيل :

ـ لقد وصلنا .. مسافة قصيرة ونصل الفيلا .. السور عال ، ويمتد الى ما لا نهاية ، البوابة الحديدية مغلقة ، والرذاذ يتساقط ، والصقيع يتسلل الى العظام .

طرقنا الباب . جاء نباح خافت . واطل فجاة رجل مسن ، ذو شارب معقوف . ووجه متغضن ، فابتسم اذ شاهدنا ، واسرع يفتح الباب .

مد يده مصافحا ، فيما ظل الكلب وراءه يهز ذيله بعصبية .

قال له آمر الفصيل : ايها العم .. هل تعمل هنا ؟

هز رأسه كما لو انه يعرفنا ومسح شاربه المصبوغ بالدخان واجاب :

ـ نعم ... انا حارس هذه الفيلا .

قال له آمر الفصيل : ـ انا ومجموعتي سنقيم في الفيلا لبعض الوقت .

حك الرجل المسن شعر رأسه المنكوش ، وعبس قليلا ثم قال :

ـ المفتاح مع وكيل البيك .. كيف نعمل ؟

ـ واين وكيل البيك ؟

ـ وكيل البيك هرب من بداية الاحداث .

ثم صمت قليلا ، واشار الى غرفته الصغيرة وقال :

ـ تفضلوا ، نشرب الشاي ، ونفكر .

وعندما شكرناه قال باعتداد :

ـ حضرتكم فدائيون .

هززنا له الرأس بالايجاب ، فقال :

ـ محسوبكم ابو حنا . من بر الياس .

ثم كأنما فطن شيئا

ـ ليس هنالك سوى حل واحد .. نكسر الباب .

كانت هناك مسافة ما بين البوابة الكبيرة والباب الزجاجي ، وكانت شجيرات صغيرة ، وازهار ، واعمدة ضوء صغيرة .

حطم زجاج واجهة الباب . وفتح الباب . دخلنا ، دخل ابو حنا بخطوات مترددة .

حدق بالارضية المكسوة بالسجاد ، وتردد قبل ان ينقل خطواته . وطال تردده ، فدخلت الصالة وتركته خلفي ..

تابلوه على الجدار الابيض .. بحيرة حالمة اسطورية ، وامواج تنثني وتتكسر ، وقارب من خشب الصندل يركبه مغن وعاشقان .. وفوق الامواج غيوم بيضاء كالقطن تمتطيها نساء من الجيشا .

* * *

في الغرفة الاخرى على الجدار امرأة صينية تركب على محفة يرافقها فارس يحمل علم الاباطرة ، ويندلق كرش سيد الارض في طرف الصورة ، الكرش العاري المزروع بالشعر ، المطالب باللذة الدائمة .

كان الشباب ينظرون الى الجدران ، والمرايا ، وزخرف السقف والاثاث ، والخزانة ، وهم مأخوذون ..

قبل ان ينصرف قال ابو حنا :

ـ تصدق بالله .. انني لم اضع قدمي على عتبة الباب منذ سنتين .. وكيل البيك منعني ، وقال انه سيطردني اذا مست قدمي طرف السجاد .

دعوناه على الغداء فلم يأت ، حملت له صحنا وذهبت الى غرفته في طرف الفيلا ، كان يجلس امام المدفأة .. وحوله تنطنط قطة ، وتعبث بصوف الجاعد الذي يجلس عليه ..

ـ شكرا .. نشكر الله .

قال لي ، وسكب جزءا من الطعام في علبة صفيح . وقال :

ـ وحياة الله . اني احمل هم اطعام القطة والكلب قبل ان احمل هم اطعام نفسي .

وتنبهت الى ان كلبا كبيرا يبسط ذراعيه ويغفو في زاوية الغرفة .

ـ تعيش وحدك يا ابو حنا ؟

زفر بحرقة . ونظر الى ركن الغرفة حيث يضع فوق طاولة صغير صورة للعذراء ، وصليبا مثبتا على مقطع من خشب الزيتون فيما تظهر آثار ذوبان الشمع على بلاطة مستوية السطح .

ـ أي نعم . اعيش وحدي .

واطرق يحدق بالطعام ، دون ان تمتد له يد ..

* * *

في نوبة الحراسة في المساء احضر لي كأسا من الشاي الساخن . كنت اتدثر بمعطف ثقيل . العتمة شديدة . والصقيع ينفذ الى العظام مذاق الشاي الساخن لذيذ ، ومن بعيد تأتي اصوات زخات من الرصاص .

جلس على حافة العتبة . وبدأ يمسح بيده على ظهر الكلب .

قلت له : ابو حنا .. هل تعيش وحدك ؟

ربما هز رأسه لي ، اذ لم اشاهده بسبب العتمة .. ثم سمعت صوته :

- لا استطيع ان أغادر ، وكيل البيك يطردني .
- هل ياتي أحيانا ؟
- احيانا يتصل بالتلفون ..
- من هو صاحب الفيلا ؟
- انه مليونير من بيروت يقضي حياته بالتنقل والسفر .
- الا يسكنها بتاتا ؟
- يأتي ما مجموعه عشر ساعات في العام .. ولكن وكيله في الظروف العادية يأتي مع ...
- تقصد مع نساء ؟
- يأتي مرة في الاسبوع ..
- وبقية الايام ؟
- اظل وحيدا .. احرس اشجار التفاح . وانكش الارض .
- اليس لك زوجة واطفال ؟
- الزوجة هجرتها وليس من اطفال .
- لماذا ؟
- ......
- اعنسي ...
- اختلفنا .. انها لا تريد ان تحبل وتلد طفلا خوفا من الموت وكنت اريد طفلا .. كانت تخاف الموت ، وكنت احب الاولاد..

مرت سنوات طويلة ، وتحولت حياتنا الى جليد .. فذهبت الى اهلها ، ولم تعد ..

- وانت .. الم ترسل لها ؟
- كنت انتظر عودتها كل صباح .. كنت اذهب الى الطريق ، ارقب اطلالتها .. ولكنها لم تفعل .
- ما دمت تريد ان تعود .. فلماذا لم ترسل لها ؟
- اذا أرسلت لها فانني اعيش معها بشروطها .. واذا جاءت هي فهذا يعني انها تعيش معي بشروطي .

* * *

بدأ الشباب ينظفون بنادقهم ، ويمسحون مدافع الهاون .

وعلى الجدار كانت المرأة الصينية التي تركب على المحفة تبتسم للفارس الذي يحمل علم الاباطرة ، واذ ذاك عبس سيد الارض الذي يندلق كرشه العاري ، عبس كثيرا ...

وقف آمر الفصيل ، وطلب من مجموعة الاستطلاع ان تتهيأ ، وجاءت نوبة حراستي .

احضر ابو حنا الشاي وقال :

- سبحان الله .. حبيتك كتير .

سألني عن بلدي ، واهلي ، وزوجتي ، واطفالي . ثم تحدثنا عن الفيلا - القصر .

- صاحب القصر البيك يأتي مرات قليلة في فصل الصيف . ثم يسافر .. انه البطر .. وكيل البيك يأتي كثيرا ومعه في كل مرة امرأة تختلف عن الاخرى . كان يتصل بي تلفونيا م نبيروت ويطلب مني ان افتح الشبابيك لتهوية الفيلا ، وادير المكيف . كان ذلك في الزمن الماضي ... ومنذ سنتين ، جاء ومعه امرأة ، وطلب مني ان اصنع له قهوة ، وبعد ان فرغت من امرأة ، وطلب مني ان اصنع له قهوة ، وبعد ان فرغت من صنعها جئت الى الصالون فوجدته يضاجعها على الارض .
- من يومها لم يعد يسمح لك بالدخول .
- بل انه ضربني وشتمني امامها ، ومنعني من الدخول .. في حضوره او في غيابه .
- كم تأخذ اجرا يا ابو حنا ؟ .
- آخذ خمسين ليرة .
- خمسين ليرة فقط ..
- وحياة الله .. خمسين ليرة بس .

* * *

بدأ القصف العشوائي بالقنابل المتشارية ، نصحت ابو حنا بالدخول الى غرفته .. كان وجهه ممتقعا .

سقطت بضع قذائف حولنا .

ثم ابتعد القصف .

* * *

آمر الفصيل يتصفح البرقيات التي وصلت على الجهاز . وبعض الرفاق يعدون طعام الغداء ، وثمة ابريق شاي على الطاولة ، وكاسات فارغة ، وخوذة عسكرية ، ومنافض السجائر المليئة .

وكنت ارقب المغني والعاشقين على الجدار ، وفتاة الجيشا الطرية كنبات الفطر ، والامواج السحرية التي تنثني كتسريحة حورية فوق غلاف ديوان شعر .

دخل كامل ، احد عناصر الحراسة النهارية ، وقال :

- اصيب كلب ابو حنا بشظية ، ويبدو أنه قد يموت .

اعتدلت ، وسألته : وابو حنا ؟

- حزن لدرجة لا يمكن وصفها .

استاذنت آمر الفصيل وخرجت .. كان ابو حنا يجلس امام العتبة كما لو انه ينتظر التي لن تاتي ،بينما اغمض الكلب عينيه وهو يرتجف وقد تجمدت على ظهره بقعة دم حمراء .

- هل الكلب بخير ؟

سألته فاجاب وهو ينظر اليه في حنو :

- غليت له الملح ، ووضعته على جرحه فجعل يقفز في الهواء لشدة الالم ، لكنه سرعان ما سكن ، وامتلأ بالطمأنينة وسوف يتحسن .

صمتنا ، وعادت عينا ابو حنا ، تحدقان عبر الطريق التي غابت فيها زوجته ذات يوم . كانت عيناه تحدقان كحمامتين طار لكل منها زغلول ..

وصلت سيارة الدوشكا التي شاركت في ضرب الحواجز الطيارة ، واشار لنا الشباب بأذرعتهم ، وبعد ان عبروا البوابة ، تلفت الي ابو حنا وقال :

- وحياة الله اني (تونست) فيكم .. قبل ان تأتوا كنت وحدي ، وجهي بوجه الحيطان .. لا استطيع ان اخرج في الليل خوفا من اللصوص . وصمت لحظة ثم قال :
- على ذكر اللصوص ، كنت عائدا من القرية ذات يوم .. وعلى الطريق فاجاني اللصوص ، سحبوا علي السلاح وقالوا هات ما في جيبك من مصاري ، ضحكت ، قالوا : لماذا تضحك ، قلت ابو حنا لا يحمل مصاري ، قالوا قرب نبشك ، قربت .. فتشوني .. وجدوا معي رغيف خبز وصندوق سجائر ، وخسة .. قالوا لي لا تؤاخذنا نريد ان نعيش ، قلت لهم امشوا معي نروح الى البيت فاطبخ لكم وناكل لقمة ساخنة . قالوا : نحن لا نطمئن لاحد .. روح .. قلت لهم : ولكم يا عمي وين بدي روح بعد ان اخذتم السجاير ، لك .. اتركوا لي سجارتين بس . اعطوني سجارتين وسألوني : وين بدك تروح الان ، اجبتهم : على اوضتي .. يا عمي وين الناس بتروح غير على اوضتها ؟

وغرفة ابو حنا باردة ، لا تعج بها انفاس امرأة ، والمرأة هناك، ذهبت ذات يوم لانها لا تريد طفلا ، وابو حنا يحب الارض الخصبة .

يحي رباح

نحن في زمن الاشتباك

١٥ ـ ٥ ـ ١٩٤٨

آخر صورة ما زلت اختزنها في ذاكرتي ، ان قريتنا الصغيرة كانت تقصف بعنف من قبل العصابات الصهيونية ، وان بضعة رجال مسلحين من ابناء قريتنا ، كانوا يقفون بحذر وراء متاريس صنعوها من اكياس الرمل واقاموها حول القرية ، وكان كل شيء يوحي ان القتال سوف يتواصل لفترة طويلة .. وكان الامل العظيم معلقا بتواصل القتال ، غير ان الجنود العرب جاءوا .. استقبلهم الناس بالفرح.. ولوحلهم بقوة رجال القرى من وراء المتاريس .. ووصل الامر الى حد ان كثيرا من المحاربين أطلقوا الرصاص ابتهاجا .. وزغردت النساء وتمتم الرجال الطاعنون في السن : الحمد لله .. ولكن الذي حدث ، ان الجنود تبعا للاوامر التي لديهم ، تجاهلوا ذلك كله ، امرونا بالتراجع من القرى والمتاريس .. وضعوا انفسهم عازلا بيننا وبين العصابات الصهيونية ... وهكذا انتهت الحرب ..

وهكذا ضاعت فلسطين

وهكذا اصبح شعب كامل في العراء .

٧ ـ ٥ ـ ١٩٧٦

الوضع في محور عينطورة ينفجر بقسوة ، المقاتلون الصامدون فوق التلال .. تلفريك .. بسكنتا .. صنين .. وعينطورة .. يتعرضون منذ الثالثة فجرا الى موجات متعاقبة من الهجوم من قبل العصابات الانعزالية .. سد من نيران المدفعية ينهال فوق رؤوسهم وهم في مواقعهم العارية ... دبابات وآليات تتقدم .

اوقفنا الجنود عند الطرف الاول للحاجز الذي اقيم في الطريق قبيل شتورا

ـ قف

ـ انا فدائي

ـ قف

ـ المعركة على اشدها .. انهم يهاجموننا بقسوة ..

ـ قف

اهانات .. كلمات بذيئة .. ضرب ... احتجاز حتى صباح اليوم التالي .. وجاء من يعتذر

ـ ان النوايا حسنة

ـ ولكن المهمة قذرة .

كان الحادث الاول في زمن الضياع

ونحن الان في زمن الاشتباك

وعبر ثمانية وعشرين عاما ، صعد شعبنا

ـ ابو حنا .. هل أنت مبسوط ؟

ـ مبسوط مش مبسوط .. نشكر الله على كل حال .

ـ وكيف ترضى خمسين ليرة فقط ؟

ـ الخواجة وكيل البيك ابن ملعونة طلبت مرة منه زيادة فهددني بالطرد .. لك وين بدي روح اذا طردني ؟

ـ بلاد الله واسعة .. نشتغل في أي عمل اخر .

ـ انا طول عمري ناطور .. ولدت ناطور وبموت ناطور ..

* * *

هبطت الاميرة عن المحفة ، نظرت الى الرجل الذي يحمل علم الاباطرة وقالت له لا تغادر مكانك ، وسيد الارض ذو الكرش العاري حاول ان يلحقها ، فقرأت عليه تعاويذها وحولته الى تمثال .

وفتح لها الخواجه وكيل البيك ذراعيه واحتضنها .فأشاحت فتاة الجيشا بوجهها ، وغطس القارب بالمغنى والعاشقين ولكنه لم يغرق .

وهجم الخواجة على صدر الاميرة ، فتمنعت . وعضعض شحمة اذنها ، فانفردت ، وفتحت له مصراعيها .

وجاء ابو حنا يحمل صينية القهوة ، فاندلقت على ثيابه لحظة ان شاهد ...

وقام الخواجة فركل ابو حنا ، وصفعه ، وشتم امه ، فبكى ابو حنا لانه لا يملك ولدا ، واذ ذاك استيقظت من لحظة تفصل بين الحلم واليقظة ، استيقظت والعرق يتصبب من جبيني ، ذهبت الى المغسلة الفاخرة وغسلت وجهي ، وحملت البارودة على كتفي وخرجت .

كان ابو حنا في الخارج ينظف جرح الكلب بقطعة شاش ، يحنو عليه بمهارة ، حبيته .. فحياني وهو مقطب الجبين .

سألته : أراك مغموما .. ما الامر ؟

اجاب : تلفن لي وكيل البيك ، وقال انه سيطردني اذا حدث شيء للقصر .. لك يطردني يلعن ابوه وابو يلي بيشد على ايده .

كان الغضب يتشيأ على ملامحه ، يتجمع .. يتحول الى قبضة الى كتلة من الوهج .

ـ انه يعطيني خمسين ليرة .. طز .. لو بعت علكة سأحصل على اكثر من ذلك .

ثم التفت الى الطريق التي يديم اليها النظر والتي ينتظر عبرها عودة التي قد تأتي وقال :

ـ عندما يأتي الخواجة وكيل البيك ، سأقول له ياخواجه انت تعطيني خمسين ليرة .. طز في الخمسين ليرة .

سيقول لي امش ياابن الـ... سأقول له انا مش ابن الـ... انت ابن الـ ... سيرفع يده ليصفعني ، سوف امسك يده ، واقول له : هيدي ايدك بكسرها مرة ثانية ، واذا عدت وعملتها فسوف اقوصك بالجفت .

قال ذلك ، ونظر الى البارودة المعلقة على كتفي .

«فلسطين الثورة» البيروتية

٥ شباط ١٩٧٦

الفلسطيني من قاع المأساة الى قمة الحقيقة .. حقيقته السياسية في الماضي .

كانوا يطبعون صورة الخيمة ، والطفلة المسلولة ، والشيخ الحزين ، يطبعونها على بطاقات للتسول ...
نحن الان ،

نطبع صورة الفدائي ... والقاعدة ... والرشاش على بطاقات للتهديد .. هل هناك احد يجهل ان هناك فرقا شاسعا بين بطاقة التسول وبطاقة التهديد ؟

ويصمد الرجال فوق القمم الثلجية سبعين يوما كاملة .. يحدث الموت مثل الوميض ، يلون الدم كتل الصخور ، واوراق الشجر ، والملابس الكاكية اللون .. وحين اسأل « ابو خالد » قائد المنطقة :

ــ ما هي اغنية الموسم المفضلة ؟

يقول :

ــ يا فدائي خللي رصاصك صايب

نحن في زمن الاشتباك .

بطلقات الرصاص

بنقاط الدم

يمزق اللحم البشري ، يصنع المقاتلون اعظم شبكة اتصال في جسم الامة العربية ، ويصوغون خارطة جديدة .. خارطة جميلة عنوانها « هذه الارض كلها ملك للفقراء العرب » .

وها هو مقاتل صغير السن ، يصاب زميله ، ينزف دمه ، يحمله بين يديه ووجهه مضاء بقوة الانفجار .. وحين تسأل ذلك المقاتل صغير السن

ــ كيف الاحوال ؟

ــ جيد جدا .. والمعنويات عالية .

تكون الاجابة

نحن في زمن الاشتباك ،

في الماضي ، قبل عشرة اعوام ، خمسة عشر عاما ، عشرين عاما ، اجتمع كبار الاعداء .. اميركيون وانجليز .. وفرنسيون .. وصهاينة .. وخونة عرب .. وقرروا المعادلة التالية :

لا توجد فلسطين

لا يوجد فلسطينيون

وكان الرهان كله يتركز على المخيم

على الحصار

على طمس الملامح السياسية

على تنظيم الموت بطريقة هادئة

هكذا كانوا يقولون ويعتقدون ،

في المخيم يموتون

في مخافر الحدود يموتون

وفي حفلات البكاء الكاذب على فلسطين يموتون

نحن الان في زمن الاشتباك

نشتبك في مرتفعات الجليل

في احياء القدس القديمة

في مرتفعات صنين ، تلفريك وعينطورة

نحن في زمن الاشتباك

وثمة الف حافز للموت ، والف حافز للصمود ، والف حافز للبطولة ، ما هو الحافز لان يصمد ابو مازن وابو نضال اربعا وعشرين ساعة متواصلة وراء رشاش الـ ٥٠٠ في مجابهة الموت ، وتضيء الاعين بالابتسام حتى اللحظة الاخيرة ؟

نحن نحب زمن الاشتباك . لان فلسطين تصبح كبيرة مثل الثورة ، لان فلسطين تطبع علامتها الخاصة فوق الصدور .. مثلما يطبع الفقر علامته الخاصة في بريق كل عيون الفقراء ...

بعد هزيمة عام ١٩٦٧ ، اطلقت يائيل ابنة موشيه دايان صرختها المدهوشة :

ــ يا الهي

هل كل هذه الارض لنا !

نحن في زمن الاشتباك ،

والمقاتل الفلسطيني يطلق الآن صوته المدوي :

ــ يا الهي

هل كل هذه الجماهير مع بندقيتي !

جماهير تقاتل

اطفال صغار يرفعون اصابعهم علامة النصر

وجبال مستعصية صارت الان لينة مثل المهرة الاليفة

وجزر مغلقة صارت مفتوحة من الجهات الاربع

وطرق كثيرة .. طرق كثيرة .. ومقاتل يقول ببساطة :

ــ اينما تقاتل البندقية الثورية ... فانما تقاتل الاعداء وفي اي اتجاه .. فان فلسطين هي الهدف

ــ ما هي فلسطين ؟

ــ فلسطين هي حرية الارض العربية

وحرية الامة العربية

ومقاتل آخر يعلق على ما حدث :

ــ رغم الالم .. ما حدث شيء عظيم

الذي حدث هو عملية تطعيم بالنار لشعب بأكمله .. ويمكن ان يكون بداية لعملية تطعيم بالنار لامة بأكملها

نحن في زمن الاشتباك

كانوا يفرضون حصار الرغيف

صاروا يفرضون حصار الذخيرة

كنا في زمن الضياع

صرنا في زمن الاشتباك

وثمة فرق هائل بين بطاقة التسول

وبطاقة التهديد

فنحن في زمن الاشتباك

« فلسطين الثورة » البيروتية

١٦ ايار ١٩٧٦

محمد احمد القابسي

براق الموت .. براق التل

ساعة الفصل بين الترحل في جزر الياسمين والهجرة في الدم ، تظل ساعة انتفاء الله والانسان اذ تكون الحريات بدءا والذبائح شطآن !

آه تكبر سنديانة الحزن
وتفترس الوجوه كآبة الوقت !
الوجوه لمَ تعد هي الوجوه
كالبجع تركب البحر ، تعشق البحر

★ ● ★

أذكر يا (زحله) كنت تركبين معي براق الفرح وتأتين في رحيق الزغاريد اذ تزهو الاعراس في المدن ، اذكر كان الفارس الابيض يسكن احلام الصبايا ويأتيهن في الليل وبعد الليل على صهوة القمر .. وها انت مريّا الحزينة .

تجلسين على الربوة تخطين بالعود :
عود السلاطين الى المدن الفرعونية
آه تجلسين يا (زحله) لحظة الانتشاء بين الياسمين والدم
الشمس على كف والجرح على الاخر
بالعود تخطين كيف الحريات تكون بدءا والتفجع أخر ...
مريّا
مريا
مريا
أجنّ

★ ● ★

للوقت في مراياك يا لبنان لغة ليست في كتب الارض .. قديما كانت هذه اللغة تقرأ في دفاتر الفتن .

(هي ذي أمة فيك تمشي الى الموت مسرعةالخطى) في سرير الدم تنام بقايا الامة الآتية من الوجع الفائمة في العدم ، أيها السيد الذي كان الشمس وكان القمر، وكان الخيول التي نركبها ساعة اخضرار الزمن .

(ماذا يفعل المارد فيك القادم من ظلمةالمدن) ؟
ــ (نبحث في أوردة الجبل عن النبع الذي غاب) ،
ــ (ما عاد ثمة ماء .. ما عاد ثمة جبل)
تكبر أنهر الدم فيك !..
فأين السفن ؟
أيها السيد الذي كان الشمس
للهمج ابجدية تكبر فيك
تقرع طبول البربر والصعاليك ..
هي المماليك شاءت ان يسقط (التل)
وان تنتشي الصقور بلحم الذبائح !
فمن يركب معي براق الحزن
زمن الاعراس الدموية ؟
من يعبر معي جسر الموت الى جسر الولادة في (التل) ؟
أيها السيد .. افاتحك بأبجدية الموت
أجنّ
اجن
اجن .

تونس

الياس خوري

وجه الشرق

حين نبحث عن وجه بيروت ، يخرج من الركام وجه الشرق ، الالام . الاوجاع ، الموت ، لحظات الشهادة ، تطلع على وجه المياه ، وكأن البداية القادمة على رؤوس الاسنة والاصابع ترسم وجه الشرق . نعرف وجه الشرق القادم كأعصار يقتلع تلك المساومة الرديئة بين وجه الفقراء ووجوه المرتزقة . فالاعصار كان كبيرا ، طوفان معركة قديمة موسومة على جباهنا قبل ان تبدأ . وعندما بدأت احسسنا وكأننا ولدنا فيها . نسينا طعم بيروت ونحن نحمل اجساد اصدقائنا المضرجة بالتراب . واندفعنا ، لنشكل نحن ، اعصار الحياة القادمة في لحظة التفاصيل والموت .

تقع بيروت على الشاطيء الشرقي للمتوسط . مدينة لها رائحة ككل المدن التي نعرفها . لكنها كانت تتلوى على الارض ، امرأة حملت في احشائها اوجاع ولادة لم تتم .

نعرفها ، بيروت ، مرسومة في الشرق بلا اجنحة . نعرف مدخلها الشرقي ، حيث الاصوات تشبه اوراق التبغ ، وحيث البحر ملوحة ترتطم بالاسماك الملونة .
نعرف كيف كانت خاصرتها تنفجر بين اكواخ التنك المسقوفة بالمطر والتحدي ، وهي تستقبل اقدامهم تدوس الرجال الذين يحملون في جيوبهم احلاما تتوالد بين اهدابهم المغمضة .

نعرف بيروت ، وهي تحرق جلدها القديم ، ونعرف ان الحريق لم يكن مدخلا للموت او بابا لنصر رخيص تنتزعه المدينة الجديدة وهي تموت . كانت بيروت تحترق ، لان وجه الشرق ، كان ينبت من الحرائق ، جديدا ، يحمل كل تاريخ العرب في لحظة الحقيقة الدموية .

لم تحترق بيروت . خاصرتها التي انفجرت ، حين ولدت الاسنة والاسلحة والاصابع التي تتحدى ، كانت لحظة استعادة لوجه الشرق القادم ، لاعاصير الصحراء التي تلفح الوجوه وهي تتقدم على انقاض حضارات الارغفة المزيفة المحشوة بالقش . داخل الرياح كان وجه الاطفال ارغفة حياة لا يستحقها الا الذين اتوا وعلى ثيابهم الوان التراب ، وفي جيوبهم صوت الشرق الجديد .

نصمت ، ونحن داخل اللهب ، لنكتشف ان النصر ليس في بيروت . لان بيروت التي كانت لحظة توازن امام الرعب ، اصبحت لحظة توازن في الرعب .

نصمت ، لنكتشف ان بيروت التي تهدمت لا تستحق الرثاء ولا تستحق الكتابة .
نصمت ، لنكتشف ان مجدا جديدا ينتظرنا في المدخل الشرقي لبيروت ، حيث كانت النهاية مجرد تجربة لقدرتنا على الموت .

ونكتشف معا ، ان ما حلمنا به قبل الانفجار ، كان اصغر من الانفجار نفسه . ان ما كتبناه عن الشعب وما قرأناه عن الشعب ، كان اصغر من الشعب .
فعلى مفترق الاف البنادق ، كان الزمن لحظة تفاصيل البحث عن وجه البداية . وكان الرجال يحملون على صدورهم شارة الموت ، وهم يتقدمون الى الابنية ، يزرعون على الارصفة والاسفلت اشارات بداية لم تأت في بيروت ، بل حملت في بيروت راية المستقبل .

وحملنا على اكتافنا نيران الحقد الابيض . حقد الذين قتلوا وهم ينظرون الى البحر ، يحملونه في عيونهم ويغادرون . ورسمنا قوسا من الرغبات التي لا يصنعها سوى ممارسة حرب الشعب ، حيث الايدي غير الايدي والارادات غير الارادات . حيث يأتي المجد وكأنه مجرد لحظات نعيشها كما عشنا بيروت القديمة التي قتلها المستقبل .

على مفترق الحصار ، تخرج ملايين الايدي ، لتحمل ملايين البنادق ، وتبدأ المسيرة الطويلة الى الكبرياء القادمة في عروقنا . تخرج الاسئلة من الاجوبة ، في حركة اللحظات المتداخلة . حيث يسقط العالم ، وينبت العالم . تتجمع الحجارة من الوديان والساحات ، لتبني على التشاهدة ، صورة ولادة الكلمات التي لن تكتب .
نطلع من الحرب نباتات برية ، لندخل في الحرب ، نحن ريح الشرق القادم . نحن المحاصرين بالموت ، تجرحنا الكبرياء .. يضعنا المستقبل في لهب بداية الذي يبدأ .

« فلسطين الثورة » البيروتية
٧ شباط ١٩٧٦

فايز ملص

شـــهادة من المنفى الثـاني

(١)

استيقظت على الرابعة صباحا من عاشـــر يوم في الشهر الثالث للسنة الاولى من « تل الزعتر » .

أمعنت النظر حوالي طويلا فبكيت وعدت الى النوم العربي .

(٢)

منذ سنين ،

وأنا أرهص بك ، أتهجى أسمك ، أهذي عنك أمام مرايـا الكـون

اداعب وجهك عبر الذاكرة المثقلة بآلام العرب وغير العربِ بالآمي (من مكة .. حتى الصين) .

يوماً : أدعوك : فلسطين ،

يوماً : ليلى ، الاندلس ، الخندق .. أو حطيّن ،

يوماً اقرأ اسمك في صحف الأحزاب الممنوعة : جـوع الفلاحـين .

أحياناً ... تغلبني العاطفة وأغنية عن « نرجع يوما » .. فاعود وادعوك : فلسطين

لكن الذاكرة المرهقة بآلام العرب وغير العرب تثور

ويعلو من أعماقي صوت بنيك المذبوحين :

لا . الجرح كبير . اكبر من الف فلسطين !

(٣)

منذ سنين ،

وأنا أوفد نحوك رسلا . أسألهم ما اسمك ؟

ماذا ينمو تحت صفيحك من أطفال وبراكين ؟

وتعود الرسل ، حناجرها غصّات وعلى الرأس الطير وفي الصدر من الحزن سكاكين :

(طوفان الزيت علا في أرض العرب ، وما من نوح

(طوفان الزيت علا ...

(ودم الاطفال يسيل ، يصبّ مدى الآبار ، مدى الصحراء

(خمراً في أكواب النخبة والأمراء

(طوفان الزيتِ ...)

ومنذ سنين ،

أشلاؤك تطفو من بيت المقدس .. حتى الشام .. الى صنيّن

ودماؤك تقطر من أيدي « الاخوة » .

(٤)

والآن ، على الرابعة صباحاً من عاشر يوم في الشهر الثالث من « تل الزعتر » .

ارتدّ اليّ ، قميصك وافاني ورأيت ..

باريس

عن السينما الفلسطينية المقاتلة

(١)

هـاني ... سنسمح لانفسنا بالبكاء

هادىء حتى الانفجار .. يحاصر كل شيء بهدوء ، من شارع المتحف حتى عينطورة .. ويختصر التاريخ مكثفا في دقائق فاتحـا الجراح على كل الجبهات .

وحين كان يحمل الكاميرا ـ الرشاش ليصور لقطة لم يكن يفكر ان نبأ استشهاده لن يكون احدى لقطات فيلم جديد او خبـر تسجيلي قادم ، وهاني المخرج والمصور والمقاتل لم يحقق كـل طموحاته ولم يصل الى ما يريد تماما لان طموح هاني وما يريـده هاني كان الفلم الفلسطيني الذي يعرض في أزقة يافا وساحات حيفا وابواب القدس ويحكي عن تاريخ تحرير فلسطين ، وهـاني في هذه المسالة لم يكن متواضع الطموح ابدا لا لانه مغرور او حالم ولكن لان شعبه كان في كل خطوة وطلقة يتخطى اطر الاحلام والغرور مؤكدا حتمية الوصول الى البحر بعطائه وزخمه الثوري ، ولم يكن استشهاد هاني الا تأكيدا جديدا لهذه الحتمية ، وهاني المصـور والمقاتل لم يصور كل شيء عن فلسطين ولكنـه كـان يحفظ كـل اسماء الافلام التي صورتها عيون اطفال فلسطين واختزنتها في الذاكرة .. وهاني المقاتل باستشهاده قال لنا الشيء الكثير وحدد ملامـح السينما المطلوبة والمصور المطلوب والمخرج المطلوب : حدد مكان الفلم بساحة القتال والصراع ، وحدد مكان المصور والمخرج تحت القصف ، وحدد ملامح الممثل المطلوب ، الممثل الذي لا اسم له سوى الشعب بأسره يمثل تاريخه ونضاله والكاميرا تختلس بعض هـذا التاريخ وهذا النضال .

هاني جوهرية ، هذا الاسم الهادىء حتى الانفجار لم يكن اسما علما في تاريخ الصحافة العلنية والسرية ، لكنه كان العلـم البارز تحت القصف تعرفه قرى الجنوب والاسمنت المتطايـر والشوارع الساخنة ، تعرفه شظايا القنابل على اختلاف انواعها فكم من مرة داعبت اذنيه بازيز الموت ، متراجعة أحيانا وزائـرة للحمه وعظامه احيانا اخرى ، علما وأي علم كان في هذا المجال ، وهـل اجمل من الشهيد علما ؟ .. وهل اعظم منه آية ، وهل هناك اروع من مقاتل يقاتل باللقطة .. ومن مصور يقاتل بالطلقة ؟. وهاني كان هذا وذاك .. وهاني كان الشهيد الذي قدم الشهـداء رمزا للعطاء ولم يقدم نفسه مخرجا او مصورا وكان دائما يقول هم كـل شيء هم البطل ، والمصور والمخرج .. هم كل شيء .. وهـاني كان بعض هذا الشيء ، هاني الذي كان احد الجنود المجهولين الذين كانوا يسرقون الكاميرات من وكالة الغوث ليسجلوا البطولات معرضين انفسهم للفصل ، ويضعون لقمة عيشهم علـى ابواب الانقطاع ، ويضحون بكل شيء ولا يأخذهم بريق المعاش ولا الاضواء ويلقـون الضوء على قضية شعبهم ومن الصفر كانت البداية .. لا امكانيات، لا تمويل ، لا كاميرات ، لا افلام ، لا استديو ، وكل شيء كـان مفقودا الا الشعب المقاتل العظيم والثورة المسلحة ، وهاني ومصطفى وسلافة كل شيء كان مفقودا الا هذه الاشياء ، وتدور البندقية على كل الاتجاهات والمحاور وتدور الكاميرا على كل الزوايا ، وفي كـل زاوية كان الموت بالانتظار ، وفي كل لقطة كانت طلقة تحاول اختراق العدسة والعين والجسد ، ولكن القضية كانت اكبر من كل شيء ، اكبر من الطلقة واغلى من العين والعدسة ، ويجتمع الناس ليشاهدوا بدقائق ما حققه هاني ورفاقه بايام وايام وربما سنوات ، ويكون التقدير اكبر والاعجاب اكبر وفي لحظة ينسى التعب والجهد ... ينسى كل شيء ويحمل البندقية والكاميرا ويقتحم اخطر الجبهات واعقد الزوايا ، ويرتفع اسم فلسطين في عالم السينما كما ارتفـع في كل الجبهات والمحافل عاليا .. وفلسطين تصبح تحت الاضواء ، وهاني يرفض ان يخرج من دائرة الظل .. فالقضية اكبر من كـل الاسماء .. اكبر من كل العدسات .. وفي عينطورة يخرج هـاني كعادته حاملا البندقية والكاميرا .. ويسقط هاني الجسد شهيدا .. ويبقى هاني البندقية .. هاني الكاميرا . هاني الرمز المبدع الذي سترتفع صورته في صالات العرض في يافا والقدس مؤسسا للسينما الفلسطينية المقاتلة ، وستعرض افلام هاني جوهرية في هـذه الصالات وتلك السـاحات ، ويومها سنسمح لانفسـنا بالبكاء .

مؤيد البحش

فلسطين الثورة (بغداد)

٢٢ نيسان ١٩٧٦

* * *

(٢)
مناضـل ولا كل المناضلين

كان ثالث ثلاثة خلقوا الفن السابع الفلسطيني ،

كان رجلا لا يعرفه الناس ، لا يتداولون اسمه على صفحـات الصحف سيارة او غير سيارة ، لكنه كان يعرفهم جميعا ، ويدخل الى كل بيت والى كل قلب واحبوه دون ان يعرفوه .

كان يحمل مصورته وبندقيته ويقطع النهر يقاتل ويصور ، وفي القاعدة ثمة مختبر صغير اقامه ، بعيد المصورة الى وكالة الغوث حتى بدء العملية فيستعيرها دون استئذان ثانية وهكذا دواليك .

كانوا ثلاثة ، ولم يكن بتصورهم انهم وهم يؤرخون للثـورة سيخلقون تاريخا جديدا على امتداد السينما العربية والعالمية ، كانوا الفتاة سلافه والمخرج مصطفى ابو علي وهو المصور هاني جوهريـة ، كانوا يطمحون لعمل فيلم فلسطيني واحد ، فاذا بهم من خلال العمل

←

والعمل الدؤوب وحده يخلقون سينما فلسطينية ، سينما النضال العربي وتدخل افلامهم الغارات الخمس سرا في اكثر الاحيـــــــان وعلنا في احيان قليلة .

الناس تختبيء من الغارات الجوية والقصف المدفعي الا هويصوب بندقيته حينا ويصوب مصورته حينا اخر ، كان فنانا مقاتلا .

وقبل استشهاده بأيام كنا معا هنا في بغداد ، فقد اصبحلافلام فلسطين مهرجانها ، وجاء الفنانون المناضلون كبارا وصغارا ، خفافا وثقالا ، يحوم حولهم الصحفيون والصحفيات ، فالشهرة بريـــق يبهر حتى المناضلين الا هو . فقد تعامل مع الكاميرا كبندقية وبندقية فقط ، واجره للحديث وارجوه ، فهذا الحشد السينمائي الهائـل بدأه هو قبل سنوات بكاميرة يسرقها ويعيدها فيجب ان يتحـــدث وما هي الا كلمات على ذلك المسجل الارعن ويعتذر .. انه على عجلة للعودة الى ساحة القتال .

ويعود الى عينطوره حاملا معه السؤال : ماذا عن السينمـــا الفلسطينية لو استشهد ؟ لكنه كان قد اجاب : نحن مهدنا الدرب وشعبنا معطاء فلا تيأس .. يعود الى عينطورة ليقاتل الانعـزاليـين الفاشست الخونة . ويستشهد هاني جوهرية ، ذلك الفتى الفنان.. ذلك الكادر العملي الذي خلق من العدم سينما النضال الفلسطيني.. ولكنه وهو مسجى في كنيسة الروم الارثوذكس تكشف امه الغطاءلتقبل شفتيه المبتسمتين فتعزيها شقيقته قائلة : نعم لقد استشهد لكنـه لم يكن كما بدا ثالث ثلاثة .. لقد خلق جيشا من المصورين والمخرجين السينمائيين المناضلين .. وترك ارثا لكل الفنانين العرب .. انـــه موجود في قلب كل أم عربية وفي عيون كل طفل عربي .

سهيل الخالدي

فلسطين الثورة (بغداد)

٢٢ نيسان ١٩٧٦

* * *

(٣)

« تقرير عن الوضع في لبنان »

روما ـ من نبيل رضا مهايني

فاز فيلم فيصل الياسري القصير الذي أنتجته المؤسسة العامة للسينما والمسرح في بغداد « تقرير عن الوضع في لبنان » بجائزة مهرجان قرطاجة الدولي الاخير . ويعتبر الفيلم بحق رائعة فنية تستحق كـل تقدير . وهو عبارة عن حوار مكثف بين الناقد اللبناني وليد شميط وطفلة لبنانية لاجئة في بغداد عمرها اربع سنوات واسمها رنا .

الافلام القصيرة التي اخرجها فيصل الياسري توحي في الحال بشعور قوي كامن لدى الفنان باللحظة الراهنة التي يريد تقديم رأيه فيها ، أي تقديم فيلم عنها .

يكفينا أن نأخذ « نحن بخير » وفيلمه الاخير « تقرير عن الوضع في لبنان » . فبرغم أن الفيلم الاول لا يتعدى بضع دقائق ولا يتجـــاوز الثاني الربع ساعة ، فان الياسري ، يعبر بكل امتلاء في كليهما عـن الموضوع الراهن ، عن وضع السكان العرب في المناطق المحتلة في الاول، وعن الوضع الناجم في لبنان الحبيب في الثاني .

قد يكون محض صدفة أن التقى كل من الياسري والناقد وليـد شميط ، الذي شاركه في اعداد الفكرة ، بتلك الطفلة الرائعة ، رنا، التي تشير في حد ذاتها ، في تكوينها ، في عمرها ، في تعابير نظراتهـا، في غنجها ودلالها ، في جرأتها وتمنعها ، في براءتها واثمها الكامن ، في اشعاعات الحقد والمرح في عينيها ، تشير بهذا كله الى المدينـــة موضوع الحديث : الى مدينتها المنكوبة بيروت . لكني أشك على أي حال انه كان بوسع مخرج اخر غير فيصل الياسري ان يحوى المـادة المصورة التي امتلكها (ولنقل تجاوزا : صدفة) الى عمل فنيمتكامل ذي دلالات عميقة ومؤثرة بالفعل . ولا نشير بهذا الى مجرد ادخـاله مواد الأرشيف داخل حديث رنا واخيها نبيل ، بل ـ وقبل كل شيء ـ الى تصرفه ـ بواسطة المونتاج ـ بالمادة السينمائية . وهكذا فـــان كل من يجهل مأساة لبنان لابد أن يعرف ، اذا رأى هذا الفيلـــم القصير ، الكثير عن الجوانب الانسانية الفاجعة لمأساة لبنان الحبيب.

تقول رنا : « بكبس الزر قوام بتطير طلقـة بتيجي هون ، او بتفوت هون ، أو بتفوت برجله ، أو بتفوت هون أو بتفوت هون »..

كل هذا وهي تشير الى مختلف انحاء جسدها ، وكأن الامـر لايكفي مأساوية حتى نرى ان الياسري يتبع المشهد بمقاطع ارشيفيـة عن قتال في شوارع بيروت .

ويقول أخوها نبيل ـ « هلأ العالم اذا اجت حدهم قذيفـــة مابيخافوا ، بدهم صاروخ منشان يخافوا.» .

ثم تغني رنا « كلاشنكوف خلي رصاصك بالعالي » بينما يعدد أخوها الذي لا يتجاوز عمره الثماني سنوات أنواع الاسلحة الثقيلة التي جربها لبنان الحبيب من الدوشكا والهاون والام جي ...

بعدها تقارن رنا ببراءة طفولتها بين الكتائب والحرامية ، وعندها يرينا الياسري المسلحين الملثمين وهم يفتشون السيارات ويقتلـون على الهوية .

في النهاية تعترف رنا : « اذا رجعت قصة الحرب وما خلصت مش راح ارجع على بيروت ، راح اظل هون عند هيفـــاء .. بس تخلص الحرب وما تعود بس يبطلوا ، بموتوا كلهـــم ، خلص ... نرتاح بنصل هيك قاعدين » .

بلبداوي أحمـد

وقوف في مداخل انطاكية

الى الدم الذي يرسم هندسة الزمن العربي في لبنان

فاذا ما رأيت صورة انطاكية ارتعت بين روم–
وفرس
والمنايا مواثل وأنوشر وان يزجي الصفوف
تحت الدرفس
في اخضر من اللباس على اصفر فيصبيغة ورس
وعراك الرجال بين يديه
في خفوت منهم واغماض جرس
من مشيح يهوي بحامل رُمح
ومليح من السنان بترس
تصف العين انهم جد احياء بينهم اشارة خرس
اذكر ايتها المحبوبة ياناربة العينين
ان كان الفرس
ان كان الروم
والان يعسكر كل منهم في حد (السينية) .
اذكر ايتها المحبوبة ان كان الشاعر يمدح باعة
باذنجان
– هل تدري – يا حبي – كم كبر « السوقة »
لما سقط « الشاعر » في « البركة » ؟
– أدري
أدري ... ادري لا ادري شيئا الا اني مت وها
اني أخرج يسراي
من قاع الترب
تخضرّ اصابعها المحروقة .. تغدو خمس سنابل
خضر يتعانق فيها « السوقة »
لا تلبث ان تصهل حبة
فاذا السنبل عشر بنادق والحب عتاد يتنفس
فوق الاكتاف
اذكر ان سقط « الشاعر » في « البركة »
(واذكر اني حين كنت ادرس للاطفال حكاية الاسد
العجوز الذي استطاع ابن اوى ان يحتال عليه ،
فيحتفظ لنفسه بقلب احدى الفرائس واذنيها قال
لي احد الاطفـال :
انا لا اتفق مع الكتاب لانه جعـل الأسد رمـزا
للضعف والغباء وهذا لم يحدث في الواقع أبدا .
فاجابه طفل « نابة » آخر :
بلى ... لقد حدث هذا في لبنان !)
أذكـر ...
أذكر حتى ما اذكر شيئا الا ان عادت ذاكرتي لغما
يتفجـر بالذكرى

بعيونك ايتها المحبوبة قولي
من انبت في كفي أسنان
حجم السن الواحدة يساوي حجم رصاصة ؟
لا ترتاعي الآن
فمزاريب الدم في لبنـان
تقرأ فاتحة اليخضور
لا ترتاعي ان كنت ترين الوطن الآن
يتعلب في خطبة
او يتصبر في منشور مخصي
اذ لا شيء يحاصرني او .. يمنع أن ادخـل في
خضرة نهرك ... حتى الحزن
ما عاد الخوف يحاضر في الاوصال الآن ففي كفـي
اسنـان
الا اني آسف ان لم احضر في الموعد بالضبط
اذ بندول الساعة يتلو خاتمة البارود
الوقت – اذن – بارود ايتها المحبوبة حتى عذري
بـارود
ما اروع ان يصبح عذري بارود
– هل تدري – يا حبي – ما وجهي الآن ؟
وجهي ساحـة
تزني فيها خيل الوالي
دعها تزني العنينة
لا شيء سوى الشهوة تنبح في الأظفار
آسف ايتها المحبوبة ان جئت على متن رصاصـة
اعبر نهر الليطاني والنيل
او امخر امعاء الأردن
فتعالي نعبر ايتها المحبوبة يا نارية العينين اذن
ولنركب متن اليخضور اللاهث في احشاء البارود
(قالت لي المحبوبة دامية الرؤيا :
في البنك الاسلامي صليب معقوف الأطراف
يسعى خلف الجدران
معصوب الجبهة بالكوفية
برميل – يسعل نفطا – يلبس كوفية
أخشى منه عليك
قلت لها : ايتها المحبوبة يا دامية الرؤيا
خذي استشهادي واعطي وجهي عاصمة في وطـن
النعناع
او خطي اسمي فوق جداره منشورا او ابياتـا
مـن زعتـر .)

« المحرر » المغربية
١٧ تشرين الاول ١٩٧٦



(١)
بيان المؤتمر الشعبي العربي في بغداد

في الفترة الواقعة بين ٢٦-٢٩ حزيران (يونيو) ١٩٧٦ انعقد ببغداد مؤتمر شعبي عربي كبير ضم أوسع تمثيل للاحزاب والتنظيمات والحركات الوطنية والنقابات والاتحادات والجمعيات الشعبية والمهنية والثقافية والاعلامية على امتداد الوطن العربي .

وقد انعقد المؤتمر تحت شعار « دعم المقاومة الفلسطينيةوالحركة الوطنية اللبنانية ومجابهة المخططاتالامبريالية والحلول الاستسلامية».

وفي البداية يسجل المؤتمر تقديره العميق للجبهة الوطنية والقومية التقدمية وللجنة ارتباط المنظمات الشعبية والمهنية في القطر العراقي على مبادرتها البناءة للدعوة للمؤتمر وحشد اعرض جبهة جماهيرية عربية في هذا الظرف الدقيق الذي يشكل خطرا جسيما على المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية وعلى عموم حركة التحرر العربي واهدافها الاساسية .

ولقد اتسم المؤتمر عبر جلساته ومناقشاته ومقرراته بسيادة المناخ الصحي والمصارحة الرفاقية والشعور العالي بالمسؤولية القومية والتقدير الموضوعي للظروف والمخاطر الراهنة .. كما اتسم بالتصميم الجاد على مواصلة العمل بكل الوسائل لجعل مقرراته وتوصياته برنامج عمل متواصل حتى يحقق اهدافه في التصدي للمؤامرة الامبريالية - الصهيونية - الرجعية .

ومما اسهم اسهاما عميقا في ايضاح الرؤية وبلورة اهداف واساليب العمل امام المؤتمر ما طرحه المناضل احمد حسن البكر رئيس اللجنة العليا للجبهة الوطنية والقومية التقدمية رئيس الجمهورية العراقية من تحليل للموقف يتسم بالموضوعية والشمول وتحديد معالم واتجاهات التآمر الامبريالي - الصهيوني - الرجعي الذي تشكل الاحداث الراهنة في لبنان حلقة خطيرة من حلقاته معبرا بذلك عن التزام عراق الثورة بتجنيد كل طاقاته المادية والسياسية والعسكرية لدعم ومساندة الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية .

ان المؤتمر الشعبى العربى الذي تدارس الاوضاع العربية من رؤية شاملة ومترابطة يجد ان الاحداث الدامية التي تجري في لبنان منذ ما يقرب من الستةعشر شهرا ، والتي تفاقمت مخاطرها في الاونة الاخيرة ، ليست حدثا منعزلا وانما هي جزء اساسي وخطير وساخن من المخطط الامبريالي - الصهيوني - الرجعي - الذي يجري تنفيذه في المنطقة بقيادة الامبريالية الامريكية التي تسعى بكل الوسائل والسبل الى اعادة ترتيب الاوضاع في المنطقة العربية بما يكرس الاحتلال الصهيوني لفلسطين العربية وبقية الاراضي العربية المحتلة والدور العدواني للكيان الصهيوني وبما يؤمن استمرارها في السيطرة على ثروات الامة العربية ونهبها ، ويؤدي الى ضرب حركة التحرر العربي وتصفية منجزاتها التحررية والتقدمية واطفاء جذوة الكفاح التحرري المسلح في عمان وارتيريا .

ان التجارب والاحداث المريرة التي تعاقبت على المنطقة في السنوات الاخيرة ، والاحداث الدموية الراهنة التي تجري على الساحة اللبنانية قد اثبتت ، بما ليس فيه مجال للشك ، الترابط الوثيق بين مجمل السياسات والمواقف التي جرت وتجري بتخطيط ودفع من الامبريالية الامريكية وبمساهمة من القوى الرجعية في المنطقة كسياسة الخطوة - خطوة سيئة الصيت والاتفاقات الجزئية ، واتفاقيات فصل القوات ، ومحاولات اقامة اتحاد كونفدرالي بين النظام السوري ونظام أيلول الاسود في الاردن .

واذا كان ما جرى في لبنان من احداث دموية خطيرة نتيجة محتومة من نتائج هذه السياسات والمواقف .. فانه كان وخلال الستة عشر شهرا التي استمرت فيها تلك الاحداث .. كان الحلقة الاكثر سخونة ودموية في المخطط الصهيوني - الامبريالي - الرجعي .

ان الساحة اللبنانية التي ارادها الامبرياليون والصهاينة والرجعيون والقوى الانعزالية وقوى الردة في المنطقة ساحة مستكينة تخضع لاراداتهم ومخططاتهم .. تحولت بفضل الروح الكفاحية القومية العالية لجماهير شعب لبنان بقيادة حركته الوطنية المناضلة وبفضل تلاحمها الوثيق مع قوى الثورة الفلسطينية .. الى ساحة للكفاح الثوري المسلح والعمل الديمقراطي التقدمي .. خاصة وان الساحة اللبنانية قد أصبحت الموقع الوحيد بين بلدان المواجهة الذي تناضل من عليه الثورة الفلسطينية ضد العدو الصهيوني .. بعد ان اغلقت بوجهها كافة الجبهات المجاورة للكيان الصهيوني ..

وكان واضحا ان المخطط الامبريالي - الصهيوني - الرجعي لا يمكن ان ينفذ الا بتسديد الضربات الى الثورة الفلسطينية والى حليفتها الشجاعة .. الحركة الوطنية اللبنانية .

وقد حاولت القوى الامبريالية وحلفاؤها في المؤسسة العسكرية في لبنان والميليشيات الطائفية الانعزالية عبر السنوات الاخيرة محاولات شتى لتحقيق هذا الهدف ، غير انها فشلت في كل مرة فشلا ذريعا .. مما جعلها تقدم خلال العام الماضي على تفجير ارهاب دموي واسع وشامل من قبل القوات الانعزالية التي دججتها الامبريالية الامريكية والصهيونية العالمية والقوى الحليفة لها بالسلاح وامدتها الاوساط الرجعية العربية بالدعم المالي والتغطية والتبرير ..

غير ان الحركة الوطنية اللبنانية وحليفتها المقاومة الفلسطينية التي ناضلت بعد شهور من الكفاح البطولي والذي ادت تفاعلاته الثورية الى تفسخ الاجهزة القمعية والمؤسسة العسكرية في لبنانوبروز ظاهرة جيش لبنان العربي الذي عبر عن ايمانه وارتباطه بقضية شعبه .... استطاعت ان تفشل هذه الحلقة من المخطط وان تصد القوات الانعزالية بقوة وشجاعة وان تحبط مشاريع التقسيم ، مغيرة بذلك موازين القوى في الساحة اللبنانية لصالح انتصار قضية الشعب اللبناني في بناء نظامه الوطني - الديمقراطي على ارض لبنان العربي الموحد ..

في هذه المرحلة من تطور الاحداث ، بدأ دور النظام السوري يأخذ اشكاله الواضحة كدور منسق ومرادف لدور القوى الانعزالية حتى بلغ في بداية شهر حزيران الحالي درجة الاجتياح الشاملة للبنان وضرب المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية بشكل دموي ووحشي .

ان المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية قد استطاعت بوعيها العميق للمخطط وبصمودها الشجاع وتضحياتها الغالية وبتأييد من كل القوى التقدمية العربية .. ان تفشل هذه الحلقة من المخطط المشبوه .. وان تفضح اغراضه على الملأ .. وتكشف أوراق المتآمرين الضالعين فيه ..

ان المؤتمر الشعبي العربي ، باستقرائه لدروس التجربة السابقة ولتعرفه العميق على حقيقة المخطط ونوايا الاطراف المشتركة فيه ، يحذر من ان القوى الامبريالية والصهيونية والرجعية والقوى التي

نفذت هذا المخطط في الساحة اللبنانية ، وفي مقدمتها القوات الانعزالية والنظام السوري ، ما تزال تتحين الفرص وتمارس شتى الاساليب لاعادة تنفيذ هذا المخطط بهذا الاسلوب أو بغيره .. وما التصعيد الاخير في القتال من جانب القوى الانعزالية الا الدليل القاطع على ان المؤامرة ما تزال قائمة وما تزال ساخنة وان اطرافها يتبادلون الادوار فيما بينهم .

ان المؤتمر الشعبي العربي الذي يشعر بمسؤولياته التاريخية أزاء هذا التصعيد الاخير في المخطط يعبر بكل قوة عن ادانته للمؤامرة ولكل الاطراف المشاركة فيها وهو يدين بشكل خاص اقدام النظام السوري على دفع جيش سورية العربي لضرب الحركة الوطنية اللبنانية والثورة الفلسطينية بدلا من تأدية واجبه المقدس في تحرير الاراضي العربية المحتلة .

كما ان المؤتمر يؤكد بان القوى التقدمية العربية التي عركتها التجارب لن تسمح بأية محاولة منمحاولات التضليلوالمناورة والتمييع يراد لها ان تسهل تنفيذ المخطط باساليب واشكال جديدة . وهو يعبر عن التصميم الحازم للقوى التقدمية العربية على مواصلة العمل المشترك من أجل نصرة المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية في معركتها المجيدة وعلى احباط المخططات الامبريالية ومحاولات التسوية المشبوهة ..

وان المؤتمر يقف باجلال وتقدير للنضال الباسل الذي خاضته جماهير شعب لبنان العربي بقيادة حركته الوطنية ولجماهير شعب فلسطين وثورته المناضلة وللتضحيات الغالية التي قدمتها دفاعا عن الحق العربي وعن المصير العربي ..

ان المؤتمر وهو يختتم اعماله يقرر ما يلي :

١ ـ الانسحاب الفوري الشامل لكافة الوحدات العسكرية وشبه النظامية السورية من جميع الاراضي اللبنانية دون قيد أو شرط .

٢ ـ التأكيد على سيادة شعب لبنان العربي على ارضه وحقه في التعبير عن ارادته بمطلق الحرية ومنع كل اشكال الوصايةوالتدخل والعمل لانجاح الحل السياسي اللبناني .

٣ ـ رفض أي شكل من أشكال التدخل الاجنبي في لبنان ورفض اية محاولة لتدويل المشكلة القائمة في لبنان .

٤ ـ ضمان سلامة وحرية الثورة الفلسطينية في التواجد على ارض لبنان وفي أي قطر عربي اخر ، وفتح كافة جبهات القتال امام المقاومة الفلسطينية للنضال من اجل تحرير كامل التراب الفلسطيني .

٥ ـ رفض كل أشكال الاحتواء والوصاية على الثورة الفلسطينية التي تمارسها بعض الانظمة العربية بقصد جرها الى مواقع التسوية والاستسلام والانحراف بها عن الاستمرار في الكفاح الثوري لتحرير كامل التراب الفلسطيني .

٦ ـ تأييد وتبني دعوة العراق لاحياء الجبهة الشمالية المقاتلة وفتح الجبهات القتالية الاخرى امام المشاركة العربية الفعالة ومواصلة الضغط على النظام السوري للسماح للقوات العراقية لتؤدي واجبها القومي التحرري جنبا الى جنب مع سائر القوات العربية .

٧ ـ العمل الجاد لتعزيز الوحدة الوطنية الفلسطينية الجبهوية كاداة فعالة قادرة على النهوض بمهمات العمل الثوري لتحرير كامل التراب الفلسطيني .

٨ ـ تعميق وتطوير العلاقة العضوية بين الحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية لدحر كافة المؤامرات الامبريالية الصهيونية الرجعية على الساحة اللبنانية .

٩ ـ النضال مع القوى الوطنية الاردنية لاقامة حكم وطني ديمقراطي في الاردن وتحويل الاردن الى دولة مواجهة وطنية وسند حقيقي لاستمرار الثورة الفلسطينية .

١٠ـ النضال الجاد والدؤوب لاقامة الجبهة الوطنية التقدمية على امتداد وطننا العربي ، المناهضة للامبريالية والصهيونية والرجعية والحلول الاستسلامية .

١١ـ العمل على تصعيد الكفاح المسلح والنضال الجماهيري داخل فلسطين المحتلة لانهاء الاحتلال الصهيوني للاراضي العربيةواحباط مشاريع التسوية .

١٢ـ تقديم كل اشكال الدعم المادي والادبي لشعبنا العربيالفلسطيني واللبناني لتعزيز صموده وتمكينه من مواصلة النضال لاسقاط كل حلقات المؤامرة الامبريالية انطلاقا من وحدة المعركة والمصير القومي المشترك .

١٣ـ الافراج عن جميع المناضلين الفلسطينيين واللبنانيين والاردنيين المعتقلين في السجون السورية والاردنية .

ان المؤتمر الشعبي العربي اذ يختتم اعماله ، يؤكد من جديد ان مصلحة النضال العربي تتطلب حشد جميع الطاقات والجهود الوطنية والقومية وتعبئتها في جبهة تقدمية عريضة تضم جميع القوى والاحزاب والمنظمات الوطنية والتقدمية في الوطن العربي لمجابهة المخططات والمؤامرات الامبريالية والرجعية والصهيونية وتعزيز التحالفات مع جميع القوى التحررية والتقدمية والبلدان الاشتراكية. ويعرب عن ثقته الكاملة بان جماهير الامة العربية لقادرة اليوم على استعادة زمام المبادأة ، والانتقال من خنادق الدفاع الى صفوف الهجوم الامامية على مواقع الامبريالية والصهيونية والرجعية وصولا الى بناء المجتمع العربي الاشتراكي الديمقراطي الموحد .

برنامج المؤتمر الشعبي العربي

يقرر المؤتمر الشعبي العربي الذي انعقد ببغداد بين ٢٦ـ٢٩ من حزيران (يونيو) ١٩٧٦ :

١ ـ انبثاق امانة دائمة عن المؤتمر باسم الامانة الدائمة للمؤتمر الشعبي العربي لدعم نضال الشعبين الفلسطيني واللبناني ، ويكون مقرها بغداد ، وتتشكل على النحو التالي :

١ ـ نعيم حداد ـ رئيسا

« الاعضاء »

٢ ـ قاسم السماوي

٣ ـ سعد قاسم حمودي

٤ ـ الدكتور مهدي الحافظ

(عن الجبهة الداعية)

٥ ـ محمد زهدي النشاشيبي

٦ ـ صلاح صلاح

(عن المقاومة الفلسطينية)

٧ ـ ممثل عن الحركة الوطنية اللبنانية

٨ ـ ممثل حزب جبهة التحرير الجزائرية

٩ ـ ممثل الاتحاد الاشتراكي العربي الليبي

١٠ـ ممثل اتحاد العمال العرب

١٢ـ سامي المنيسى

١٣ـ كمال رفعت

وتتفرع عن هذه اللجنة لجان في كل الاقطار العربية من القوى

السياسية والمنظمات الجماهيرية والمهنية .

٢ ـ تنسق اللجنة نشاطها على النحو التالي :

أ ـ عربيا : مع الجبهة العربية المشاركة في الثورة الفلسطينية ومع سائر الاحزاب والقوى الوطنية والقومية التقدمية والمنظمات الجماهيرية والمهنية في الوطن العربي .

ب ـ دوليا : مع المنظمات الديمقراطية العالمية ومع سائر قوى التحرر والشعوب المناضلة ضد الاستعمار في العالم .

٣ ـ تضع اللجنة لنفسها لائحة داخلية تحدد فيها طريقة العمل وتوزيع المسؤوليات والمهام بداخلها .

٤ ـ تضع اللجنة برنامجا زمنيا لانجاز قرارات المؤتمر والمهام الموكولة اليها وذلك في ضوء الاهمية الحاسمة لعامل الوقت في مواكبة التطورات على الساحة اللبنانية .

٥ ـ تعتبر اللجنة الاهداف والمهام التي جاءت في بياني المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية ، مرشداً لعملها ونشاطها ولنضالات سائر القوى التي يضمها المؤتمر على صعيد مساندة ودعم المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية في نضالها المشترك ضد المؤامرة الامبريالية الاستسلامية وتتلخص المهام بالاتي :

أ ـ متابعة تنفيذ قرارات المؤتمر الشعبي .

ب ـ القيام بكل ما يعزز نضال المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية في لبنان لمواجهة الهجمة الامبريالية الصهيونية الرجعية واداتها المتمثلة حاليا في النظام السوري والقوى الانعزالية .

ج ـ وضع برنامج للقيام بنشاطات وفعاليات جماهيرية كالندوات والمهرجانات على امتداد الوطن العربي لكشف ابعاد المؤامرة وتعرية ادواتها .

د ـ القيام بحملة تبرعات ، مادية وعينية ، منظمة ومستمرة ، لدعم صمود المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية .

هـ ـ تنظيم حملة اعلامية واسعة داخل وخارج الوطن العربي لنصرة المقاومة والحركة الوطنية في لبنان ، واعداد مجموعة من الكراريس والكتيبات التي تشرح حقيقة الاوضاع التي يعيشها القطر اللبناني .

و ـ اجراء اتصالات مع الاحزاب والحركات والمنظمات والشخصيات الوطنية والتقدمية في العالم لخلق رأي عام مناصر للمقاومة والحركة الوطنية في لبنان وتوضيح ابعاد المؤامرة التي تتعرضان اليها .

ز ـ دعوة الجماهير العربية للتطوع في صفوف المقاومة الفلسطينية .

(٢)

قرارات المؤتمر الشعبي في طرابلس ـ ليبيا

أصدر المؤتمر الشعبي العربي لنصرة ودعم الثورة الفلسطينية بيانا عاما وعددا من القرارات والتوصيات .. وفيما يلي نصها : ـ

ان المؤتمر الشعبي العربي لدعم وحماية الثورة العربية الفلسطينية المنعقد في طرابلس بالجمهورية العربية الليبية في الفترة من ٥ الى ١٩٧٦/١٠/٩ تحت رعاية الاخ العقيد معمر القذافي قائد ثورة الفاتح من سبتمبر المجيدة والذي تفضل بافتتاحه الاخ الرائد عبدالسلام جلود عضو مجلس قيادة الثورة ورئيس مجلس الوزراء ـ بعد ان استعرض المؤتمر ابعاد المؤامرة الحالية الجاري تنفيذها على الساحة اللبنانية ضد الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية والتقدمية اللبنانية يؤكد ان الصراع الدموي الدائر على الساحة اللبنانية بين قوى الثورة العربية الفلسطينية والحركة الوطنية التقدمية اللبنانية من جهة وبين القوى الانعزالية العنصرية اللبنانية وقوات النظام السوري من جهة ثانية ـ ان هذا الصراع هو محصلة طبيعية لما يتخبط فيه العالم العربي من تناقضات وصراعات نتيجة النمو المتزايد للاتجاهات الاستسلامية التي برزت بحدة ووضوح بعد حرب تشرين اكتوبر / ١٩٧٣ .

ان حرب تشرين بالرغم من كونها حربا محدودة الا انها على الصعيدين العسكري والنفسي قلبت مفاهيم وحطمت معادلات واقامت مفاهيم ومعادلات جديدة لمصلحة الثورة العربية استوجبت تحركا استعماريا امريكيا مكثفا وسريعا قبل ان تتجسد هذه المقاييس الجديدة في الارادة العربية وتشكل قوة تهدد الوجود الصهيوني والمصالح الامريكية الاستعمارية في عالمنا العربي .

ولقد نجح هذا التحرك الامريكي في ان يجعل النتائج السياسية لحرب تشرين / اكتوبر بدءا باتفاقيات الفصل بين القوات ووصولا الى اتفاقية سيناء الاستسلامية تطغى على الانجازات العسكرية والنفسية ، فتحول الصراع نتيجة هذا الواقع الجديد من صراع بين العرب واسرائيل يستهدف تحرير الارض والكرامة الى صراع بين العرب والعرب يستهدف التسوية والاستسلام والرضوخ .

ولان البندقية الفلسطينية في شعاراتها وممارساتها هي الشوكة الاساسية في عين كل المشاريع الاستسلامية المرتدة ، اصبحت هذه البندقية هي المستهدفة ، وبات المطلب الاساسي خنق الثورة الفلسطينية باعتبارها الطليعة المتصدية لمسيرة الحلول المشبوهة المتامرة على قضيتنا وحقنا ومستقبلنا .

ولان لبنان بتركيبه الاجتماعي والسياسي وكونه اصبح الجبهة الوحيدة المشتعلة في وجه العدو نظرا للتواجد الفلسطيني الكثيف والتحرك فيه ومنه يشكل تربة نموذجية للتفجير .. توجه التخطيط الامريكي والرجعي الى اذكاء التناقضات اللبنانية ـ اللبنانية واللبنانية الفلسطينية لكي يتمكن من تفجير القضية وذبحها عبر تفجير لبنان وذبحه .

وهكذا راحت الرجعية اللبنانية المتمثلة بالنظام السياسي الاقطاعي الطائفي والتجمعات العنصرية الانعزالية المتحجرة تسعى الى تنفيذ خطة الابادة ضد المخيمات الفلسطينية والقوى التقدمية اللبنانية المتلاحمة مع الثورة دما ومصيرا .

ولكن عندما عجزت هذه الرجعية اللبنانية عن تحقيق اي انتصار وباتت مواقعها مهددة امام تقدم المد الثوري اللبناني ـ الفلسطيني ، تدخلت ادوات المؤامرة الحقيقية لتنفيذ ما رسم لها ، وهو تصفية الثورة الفلسطينية وضرب القوى الوطنية اللبنانية لتنصرف بعد ذلك الى توقيع الاتفاقيات وتحقيق التسوية الاستسلامية الشاملة في ظل البندقية الظالمة وعلى اشلاء الثوار الاحرار .

هذه هي ملامح المؤامرة وخيوطها وابعادها واستهدافاتها ... واذا كان النظام الاردني قد عجز سنة ١٩٧٠ عن تقديم الرأس الفلسطيني للمخابرات الاميركية ، واذا كانت اتفاقية سيناء قد عجزت ايضا عن ان تلعب الورقة الفلسطينية في مفاوضات التسوية ، فان النظام السوري اليوم هو الذي يتنكب هذه المسئولية المجرمة ، ساعيا الى ان تكون له ، وتحت غطاء عربي عريض .. ومن ضمن التنافس السوري المصري ، المبادرة والاولوية في التفاوض والتوقيع

وتحقيق المكاسب على حساب شعبنا العربي في سوريا وفلسطين ولبنان ، وعلى حساب الكرامة العربية في كل ارجاء الوطن العربي .

وكأنه لم يكن كافيا ما يلاقيه شعبنا العربي الفلسطيني المنتفض لكرامته وحقه داخل الارض المحتلة من قمع واضطهاد على يد الكيان العنصري الصهيوني ، فجاء النظام السوري ليمارس دور القمع والاضطهاد على هذا الشعب المنتفض المقاتل لاسترجاع ارضه وتحقيق سيادته .

التوصيات والقرارات

هذا وقد اتخذ المؤتمر التوصيات التالية :

لعدم استجابة النظام السوري للمقررات التي توصل اليها هذا المؤتمر ، فانه يوصي بما يلي :

مطالبة الانظمة العربية بوقف جميع المعونات المالية والنفطية عن النظام السوري .

– مطالبة الدول العربية بسحب سفرائها من دمشق .

– طرد المنظمات السورية من كل المنظمات والاتحادات العربية لعدم انصياع الوفد السوري للرغبة الاجماعية التي تمثلت في مقررات المؤتمر لتمسكه بموقف النظام السوري من الاحداث اللبنانية ... هذا الموقف المخالف لاحساسات ومصالح الجماهير في سوريا والوطن العربي اجمع .

– مطالبة عمال النقل العربي بمقاطعة الطائرات والسفن السورية في جميع المطارات والموانيء العربية حتى يتراجع النظام السوري عن موقفه تجاه الثورة الفلسطينية والقوى التقدمية اللبنانية

– اطلاق سراح كافة المعتقلين الفلسطينيين واللبنانيين من السجون السورية وايقاف كافة اعمال القمع والاضطهاد ضد العناصر الوطنية اللبنانية وعناصر المقاومة الفلسطينية ووقف سياسة ابعاد الوطنيين الفلسطينيين والعرب من الاراضي السورية .

– رفع الحصار البري والبحري عن الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية والافراج عن المواد التكنيكية والاسلحة المصادرة من قبل النظام السوري .

– تعزيز قوات الامن العربية لتتمكن من حفظ الامن في لبنان وتمكينا للرئيس اللبناني المنتخب من ممارسة سلطاته الدستورية وتفويت الفرصة على وجود اي قوات لا توافق عليها الثورة الفلسطينية والقوى الوطنية التقدمية اللبنانية .

– تحديد يوم الثاني والعشرين من اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٦ لاعلان الاضراب والتوقف عن العمل في الوطن العربي لمدة خمس دقائق تطلق خلالها صفارات الانذار ويذاع بيان الى الجماهير العربية استنكارا للمواقف الاستسلامية العربية وللتدخل السوري في لبنان

– يؤكد المؤتمر على ضرورة اجتماع قمة عربي متكامل يهدف الى حماية الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية ويضمن حلا سياسيا لبنانيا / لبنانيا بعيدا عن وجود اي ضغط ويضمن اعادة تركيز الجهد العربي لمواجهة العدو الصهيوني المشترك .. ويرفض كل المؤتمرات المحورية التي من شأنها تعميق الهوة وتفتيت الجهد .

– يؤكد المؤتمر على وجوب تنفيذ اتفاقية ٢٩ يوليو / تموز ١٩٧٦ الموقعة بين سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية والتي تمت نتيجة الجهود التي بذلها الاخ الرائد عبدالسلام احمد جلود عضو مجلس قيادة الثورة ورئيس مجلس الوزراء في الجمهورية العربية الليبية .

– يقرر المؤتمر اعتماد المقترحات الواردة في كلمات الاتحاد العام لنقابات عمال الجمهورية العربية الليبية ومنظمة التحرير الفلسطينية والحركة الوطنية التقدمية اللبنانية ويعتبرها وثيقة اساسية من وثائق المؤتمر .

– يلح المؤتمر على ضرورة قومية المعركة والتي بادرت الجمهورية العربية بالدعوة اليها عام ١٩٧٠ ويطالب الحكومات العربية بالعمل على تحقيقها .

– يطالب المؤتمر الحكومات الثورية التقدمية ومنظمة التحرير الفلسطينية بالاسراع في تكوين الجبهة التقدمية الرافضة للحلول الاستسلامية والمتصدية للجبهة الرجعية المسعورة الهادفة الى ارجاع الوطن العربي ليدور من جديد في فلك الامبريالية الامريكية والاستعمار الجديد .

– يؤكد المؤتمر ان التصدي لكافة الحلول الاستسلامية وتحرير الارض لا يتم الا من خلال ترسيخ الشعور الوحدوي الهادف لتحقيق الوحدة المنطلقة من استراتيجية حرب التحرير والقومية .

– يدين المؤتمر كل اشكال الاتحادات الكونفدرالية الاستسلامية وخاصة ما تطرحه سوريا والاردن ويؤكد على الوحدة القومية العربية الرافضة لكل تجزئة وتفسخ واغتصاب .

– العمل على قيادة تلاحم المنظمات الشعبية النقابية والمهنية للجماهير العربية بهدف توحيد الجماهير لمواجهة العدو الصهيوني المشترك ولدعم الثورة الفلسطينية وحمايتها وللعمل على خلق مناخ ديمقراطي سليم في الوطن العربي يسمح بتحرك اوسع للجماهير العربية .

وادان المؤتمر كافة الاتفاقات الاستسلامية وخاصة اتفاقية سيناء ... التي اكد انها كانت مقدمة لتنفيذ كل المخططات الامريكية الهادفة الى تمييع القضية وترسيخ النفوذ الامريكي في المنطقة العربية

وطالب المؤتمر الشعبي الحكومات الثورية التقدمية ومنظمة التحرير الفلسطينية بالاسراع في تكوين الجبهة التقدمية الرافضة للحلول الاستسلامية ... وطالب بالتصدي لكافة الحلول الاستسلامية واحباطها . واكد ان تحرير الارض لا يتم الا من خلال ترسيخ المد الوحدوي القومي لتحقيق الوحدة المنطلقة من استراتيجية حرب التحرير القومية .

التزام ج . ع . ل بالتوصيات

اكد العقيد معمر القذافي رئيس مجلس قيادة الثورة التزام الجمهورية العربية الليبية بتنفيذ جميع توصيات المؤتمر الشعبي لنصرة ودعم الثورة الفلسطينية التي اقرها في جلسته مساء التاسع من تشرين الاول .

وقد اعلن هذا النبأ رئيس المؤتمر الشعبي لنصرة ودعم الثورة الفلسطينية في الجلسة الختامية للمؤتمر ، وقال ان الاخ العقيد معمر القذافي يؤكد التزامه بتنفيذ جميع التوصيات التي اتخذها المؤتمر التزاما منه بأن التنظيمات الشعبية في ج.ع.ل. هي التي تملك السلطة والتي تقرر ونحن ملتزمون بتنفيذ هذه القرارات ..

سهيل ادريس

التل والنورس

١ ـ المسافر الجريح

كانت انظارنا جميعا مشدودة اليه ، وهو يجهد بمشقة لتسلق ذلك السلّم الحديدي العجيب ، الملتصق بخاصرة الباخرة . ولولا ان أعانه شابان قويان دفعاه من خلف ، ومد اليه ثالث ذراعه من اعلى ، لهوى الى الارض .

همس أحد المسافرين قريباً منا :

ـ انه مصاب بجرح بليغ .

قال آخر :

ـ وهو مسافر للعلاج في مصر .

وما كاد يبلغ ظهر الباخرة ، حتى تدافعنا نتسابق للتسلق .

وحين استقرّت أقدامنا ، كنا نلهث ، ما عدا سامي . أيكون ذلك بفضل اعوامه الخمسة عشر ، ام ليقينه بانه سيستطيع اخيرا ، ان ينام هذه الليلة بلا كوابيس ؟

٢ ـ لن نترك ولكن ...

الى ما قبل اسبوع فقط ، كانت الهام تعارض بشدة كل اقتراح بالسفر . لم تكن تريد ان تترك البيت، بأي ثمن . لن نهاجر ، كانت تقول . لن نقع في غلطة الفلسطينيين . نبقى هنا . نموت ولا نترك . ولكنها سرعان ما تستدرك حين تتذكر الاولاد ، قائلة ان بوسعنا ان نحتمي . نستطيع ان نلازم الممر الرئيسي في المنزل، عند المدخل ، كما فعلنا ليلة الصواريخ .

كالمطر ، انهالت على حينا القذائف تلك الليلة . طلبت مني الهام ان اعينها في نقل الفراش الى الممرّ . ولا بد ان سامي قد لاحظ اني كدت أنوء بحملي ، فسارع ينقل وحده الفراش الثاني . وتعاون مع ربيعة في حمل الفراش الثالث . وأغلقت الهام ابواب غرف النوم والطعام والمطبخ ، وقالت اننا سنكون هنا آمنين .

وبالرغم من اننا كنا آمنين ، فنحن لم ننم تلك الليلة . كانت انفجارات الصواريخ تتوالى حول منزلنا . وذات لحظة ، سمعنا انفجارا شديدا هزّ الجدران هزا، سرعان ما تبعه صوت انهيار . قدّرت الهام ، وقد ظهر على وجهها الرعب ، انها شرفة غرفة الاستقبال . وحين رأيت مني ممتعقة ، قلت ، وأنا غير مقتنع ، انها شرفة في المبنى المجاور .

وانتظرت حتى هدأ القصف قليلا فتناولت شمعة، وتوجهت الى باب غرفة الاستقبال . احتجّت الهام وحذرتني من عودة القصف . ولكني كنت قد دخلت. وحين عدت ، سألت مني :

ـ أهي الشرفة ؟

فلم أجب . ففهموا . وظلوا صامتين .

لكن الهام قالت بعد لحظات :

ـ ومع ذلك ، فلن نترك البيت .

واستلقت على الفراش ، وأدارت وجهها الى الجدران . ولكننا لاحظنا ، نحن الاربعة ، ان جسمها كان يهتز تحت الغطاء .

تناولت الترانزستور . كان المذيع يتحدث عن صمود التل . عن صد الهجوم الرابع والثلاثين .

٣ ـ الرفاق ... الخونة !

قال مسافر :

ـ انها لشحن البضائع . ولكن عليها اكثر من سبعمئة راكب .

قالت سيدة سمينة :

ـ ولكن كيف ننام ؟ انها لا تتسع لنا واقفين .

قالت فتاة رشيقة :

ـ ولكنا لن ننام يا خالتي . إنهما ليلتان ، ونصل الاسكندرية .

ارتفع صوت صبي في نغمة نحيب :

ـ انا جوعان يا ماما .

أجاب رجل بلهجة فلسطينية :

ـ اخرس . الآن انتهيت من الاكل .

همس صوت امرأة بلهجة فلسطينية :

ـ خذ . هذه عروس ثانية ، واسكت !

تساءل شاب بلهجة لبنانية :

ـ أليس عندهم عصير او شاي ؟

اجابه آخر بلهجة ساخرة :

ـ طبعا ! وعندهم أيضا ويسكي وشمبانيا !

ضحك البعض ضحكة قصيرة سرعان ما اختنقت .
ارتفع صوت :

ـ اتتصورون يا جماعة ؟ مرحاض واحد للباخرة كلها !

اختلطت الاصوات : أعوذ بالله ! مشكلة ! هل هذا صحيح ؟

ثم صمت الجميع ، يفكرون كيف يتدبرون أمرهم للتبول او التغوط .

شدت الهام على ذراعي وقالت بصوت خافت :

ـ حظنا كبير ان يؤجرنا ذلك البحري غرفته . سينام سامي الليلة هادئا ، على ذلك السرير ، ولو كان ضيقا .

سألتها :

ـ وربيعة ومنى ؟

قالت :

ـ سأفرش لهما الحرام الذي جلبناه .

ـ وانت ؟ انك متعب جدا ..

قلت وانا اضع يدي على كتفها :

ـ سأجلس هنا في الزاوية . يكفي ان أسند ظهري الى الحديد .

قالت :

ـ سأجلس الى جانبك .

ونظرت الي نظرتها تلك ، تحمل مزيجا من العرفان والعتاب . فشددت على كتفها ، ثم هبطت كفي حتى التقت كفها ، فضمت اصابعها .

اذ ذاك ، وعلى ضوء المصباح الشاحب المعلق قريبا من مدخنة الباخرة ، رأيته يقترب ويمد يده وهو ينطق باسمي في لهجة تساؤل . وحين أومأت برأسي ، قال انه يعرفني . واجابني على سؤالي بانه من مقاتلي التل ، وانه أصيب برصاصة قناص في خاصرته ، منذ أيام ، وان الصليب الاحمر استطاع اخراجه ، نزولا على الحاح رفاقه ، لانعدام العلاج في المخيم ، وخشية ان ينزف دمه .

قال سعيد :

ـ انها خيانة من الرفاق . لقد نقضوا العهد ..

سألته الهام :

ـ كيف ذلك ؟ وأي عهد ؟

لم يجب سعيد الا بعد لحظة صمت :

ـ ان نقاتل معا حتى النهاية . ننتصر او نموت .

قالت الهام :

ـ ولكنك لا تستطيع ان تقاتل ، وأنت جريح ؟

أجاب سعيد :

ـ لو صبروا علي يومين لشفيت .

ثم صمت . قلت له :

ـ ولكنك ستشفى ، وستعود الى المخيم .

قال سعيد ، وهو يصرف نظره عنا :

ـ كنت أريد ان أبقى معهم . استشهد ثلاثة منهم .

واستدار يواجه البحر ، وأخذ جسمه يرتعش .

وتقدمت منه فأحطت كتفه بذراعي وانا أتمتم بكلمات مبهمة .

قال سعيد وهو يجالد ننفسه :

ـ كنت اريد ان اموت معهم ..

قالت الهام بصوت يغالب الاختناق :

ـ لكنك ستجد رفاقا آخرين كثيرين ..

أجاب سعيد :

ـ لن يكونوا مثل أحمد والياس وكمال .

وعاد جسمه يرتعش ، فيما ارتفع بين المسافرين صوت ترانزستور يتحدث عن صد الهجوم الستين في تل الصمود .

٤ ـ السرب المواكب

أفقت باكرا على صوت زقزقة . كان سرب من النورس يواكب الباخرة ، كأنه يحرسها . فركت عيني اتابع الطيور تفرد اجنحتها سابحة تارة ، وتخفقها طورا وهي تزقزق .

شعرت بألم في ظهري من أثر الحديد الذي استندت اليه جالسا ، وبتخشب في ساقي . التفت الى الهام . كانت متدثرة بمعطفها حتى العنق ، مع ان الجو لم يكن باردا .

فيما كنت أتمطى ، لمحت سعيد واقفا هناك ، في مقدم الباخرة ، متجها الى البحر . نهضت على مهل وسرت نحوه . وضعت يدي على كتفه وقلت :

ـ صباح الخير .

فلم يلتفت الي ولم يرد السلام . وما لبثت ان فهمت . كان يتحدث الى طائر من سرب النورس اتخذه صديقا منذ الفجر . ولم يكن يريد ان يقطع حديثه أحد .

٥ ـ حديث مع النورس عن الياس

كان الياس ، يا عزيزي النورس ، أحب الرفاق اللبنانيين الي ، كان يسكن التل مع أمه منذ بضع سنين . وكان قد تدرب معنا على القتال ، وكان يحب الشعر وينظمه في اوقات الراحة . أحب نجوى ، شقيقة رفيقنا احمد . وتعاهدا على الزواج بعد انتهاء المعركة. وقد مازحته مرة متسائلا : ايعتقد انه سيكون ناجحا زواج لبنان هذا بفلسطين ؟ فقال جادا ان لبنان بحاجة لان نكتوي بنار الثورة حتى يتغير .

ولكن الياس أصيب بمثل الذهول حين دخل ذلك

تل الزعتر اثر الحصار اللا انساني الذي فرضه عليهم الانعزاليون منذ اسابيع كثيرة . وقال المراسل : « ان اللاجيء الذي يحصل على طبق واحد من العدس يوميا يعتبر محظوظا ايما حظ ! » وفي بداية ايام الحصار كان هنالك بعض العناية بالجرحى من الاطفال والنساء ، لكن بمرور الايام ، تناقصت المواد الطبية ، وانعدمت في العديد من المخابيء ، حيث تقيحت الجروح ، وأودت بالكثيرين من الاطفال والنساء . اما الماء ، فان الحصول عليه يعني التعرض لموت محقق . فقد رصدت القوى الانعزالية كافة الطرق المؤدية لنقاط المياه في المخيم ، حيث تشدد قصفها اثناء الظلام ، اي في الوقت الذي تختاره النساء للتزود بالماء . »

٨ ـ ذخيرة الايام الآتية

تاهت سفينتنا في البحر يومين . شرب القبطان الخمرة في الليلة الثانية ، شرب حتى ثمل ، فأضاع الاتجاه .

حين قوّم الدفة في الاتجاه الصحيح ، كانت مؤونة الطعام والماء قد نفدت من أكياس المسافرين .

قالت المرأة السمينة :

ـ أكاد أموت جوعاً .

فقدّمت لها امرأة اخرى آخر قطعة حلوى باقية في علبتها . وبعد ان التهمتها السمينة في لحظة ،تلمظت ثم قالت :

ـ لقد ازداد جوعي !

فلم يرد عليها أحد . ثم قال الطفل الفلسطيني :

ـ ماما .. انا عطشان !

صاح به أبوه على الفور :

ـ اخرس ! ساعة جوعان ، ساعة عطشان . ان شاء الله تفطس !

أخذ الطفل الفلسطيني يبكي . فهجم عليه ابوه ، وأخذ يصفعه على وجهه ويضرب كتفه وظهره بقبضة يده .

سرت همهمة احتجاج بين النساء ، فيما كان سعيد يتجه الى الرجل الفلسطيني ، وعلى وجهه ملامح قسوة . وفجأة دفعه بكلتا يديه ، فانقلب الرجل على ظهره ، بينما كان سعيد يصرخ في وجهه :

ـ وحش ! حيوان !

غير أن الرجل نهض سريعا وهو يشتم ويلعن وارتمى على سعيد يريد الاخذ بخناقه .

لم يكن أحد بحاجة الى التدخل ، اذ سارع سعيد الى التراجع ، ثم انقضّ على الرجل فأخذه منجنبيه بكلتا يديه ، ورفعه فوق رأسه ، والجميع دهشون من أين أتته هذه القوة كلها وهو الجريح ، ومشى به خطوات في اتجاه الحاجز وهو يقول بلهجة أقرب الى الطمأنينة :

ـ اهدأ ، والاّ القيت بك في البحر !

صرخ الرجل صرخة واحدة :

ـ دخيلك ! أنا بعرضك !

فتراخت ذراعا سعيد ، وانزل الرجل الى الارض وهو يقول :

ـ ما هكذا ينبغي ان نتصرّف الان !

قال الرجل متراجعا :

ـ دخيلك .. المعذرة .. لا مؤاخذة ..

لم يكن أحد يتحرك او يتكلم . واستدار سعيد يبحث عن الطفل ، فوجده مختبئا خلف المرأة السمينة، وملامحه بين الرعب والبكاء . تناول مطرة كانتمعلقة على خاصرته ، واعطاها للطفل ، قائلا بهدوء ورقة :

ـ اشرب .. فيها بقية قليلة .

تناولها الطفل بيديه الصغيرتين ، وعبها كلها في لحظات . ثم التفت الى سعيد ونظر اليه نظرة عرفان صامتة .

انحنى سعيد فحمل الطفل ، ورفعه فوق رأسه وأخذ يرقصه . وضحك الطفل ، وضحك ، وانفرجت اساريرنا جميعا .

وقرّب سعيد الطفل من وجهه وسأله :

ـ ما اسمك يا حبوب ؟

اجاب الطفل لاثغا :

ـ سمير ...

تأمله لحظات ، ثم خطا خطوتين نحو ابيه وقال له:

ـ اعتن بسمير يا أخ . سنحتاجه في المستقبل.

ضم الرجل طفله وقبله ، ثم أنزله الى الارض ، وأقبل على سعيد يعانقه .

أجهشت ربيعة بالبكاء ، بينما كانت عيون الاخرين مخضلة .

٩ ـ نم قرير العين ...

تسألني ، يا نورس ، عن كمال ؟ اسمع اذن ، يا رفيق الطريق .

لم يكن أحبّ الى كمال من الاطفال .

حين لا يكون حاملا الكلاشن أو منصرفا الى الحراسة ، يكون بين الاطفال . يلاعبهم . يضاحكهم . يحملهم . يطعمهم . يسقيهم . يسقيهم خصوصا .كان أجرأنا فياقتحام الصعاب لجلب المياه منأخطرالمواضع. وكثيرا ما كان يكلفنا ، اذا اشتد القصف وتكاثف القنص ،ان نخطي تحركه باطلاقرشاشاتنا فيكل اتجاه.

الجيش ارض لبنان . فكان لا يفتأ يردد : هل نستطيع ان نقاتل على جبهتين ؟

وظلت علاقات الفجيعة على وجهه ، ممزوجة بخيبة شديدة كان يعبر عنها بتوتر بالغ حين كان يقف وراء مدفعه ارشاش يطلق نيرانه ، وكأنه يوجهها الى عدو بعيد جديد ، قبل ان يوجهها الى عدو قريب يكمن خلف التل .

وقال لي الياس ذات صباح ، بعد ان أشتد القصف على المخيم في الليلة السابقة ، انه يحبذ اجلاء سكان التل ليملك المقاتلون حرية اكبر في الرد والاقتحام .

ولم يعانق الياس نجوى وهو يودعها حين أجلى الصليب الاحمر الدفعة الاولى من سكان المخيم . بل اكتفى ببسمة حزينة وهو يشد على يدها ويخفض رأسه حين رآها تبكي .

لم يعانق الياس نجوى ، يا عزيزي النورس ، ولكنه عانق الموت وهو يصد مع مجموعته محاولة عنيفة لاقتحام التل .

٦ ـ انه بيتك أيضا ...

قالت ربيعة بلهجة تأفف :

ـ ماما .. انه في نوم عميق . لا تقلقي . لم يصرخ صرخة واحدة ...

صمتت الهام ، ثم تمتمت : « الحمد لله » .

ذلك اليوم ، منذ زهاء اسبوع ، حذرت سامي مرات من الخروج . واستجاب لها اول الامر ، لان الانفجارات لم تكن تنقطع . ولكن القصف توقف ذات لحظة ، وظل الهدوء سائدا زهاء ساعة . اذ ذاك ، فتح سامي الباب وقال انه ضجر جدا ، وهو قاصد قاعة البليارد في المنعطف القريب ، ولن يتأخر اكثر من نصف ساعة . كنت أعلم اننا سنخفق في حمله على العدول . وهمت الهام بالكلام ، ولكنه كان قد صفق الباب وراءه .

لم تمض دقيقتان حتى حصل ذلك الانفجار المروع . وصرخت الهام : « سامي .. سامي ! » كنا جميعا مذعورين ، ولكنني لم أشاهد طوال حياتي وجها قلب الذعر ملامحه كلها كالوجه الذي كانت تحمله الهام في تلك اللحظة . وكأنها ادركت ان سحنتها المألوفة قد فارقتها ، فغطت وجهها بيدبها ، وارتمت على المقعد ، وهي تخور قائلة : « سامي .. دخيلكم .. قتله الصاروخ ! »

كنت مشلول التفكير والحركة ، وكانت ربيعة ومنى ممتقعتين ، لا تعرفان ما ينبغي ان تفعلاه . ثم كانت منى أسرعنا الى التحرك ، فاذا هي تنطلق متجهة الى الباب لتهبط السلم على عجل . تبعتها وانا ادافع عني الفكرة الرهيبة . حتى اذا بلغنا مدخل المبنى ، رأينا سامي مستندا الى جدار المدخل الايمن ، مخفيا رأسه ووجهه بذراعيه ، وقبل ان ندركه ، سقط على الارض مغمى عليه .

أقسم سامي ، بعد ان عالجته من اغمائه احدى ممرضات المستوصف القريب ، انه رأى بعينه برقا متجها اليه وهو يصفر صفيرا مخيفا قبل ان ينفجر على جدار البناء المجاور . وقال انه سمع تلك اللحظة صرخة هائلة أدرك على الفور انه هو الذي اطلقها ، لأن المكان كان خاليا ، فارتد مذعورا الى مدخل المبنى .

وبالرغم من ان سامي لم يصب بأية شظية ، فقد أخذت الهام ، بعد ان تلقته على صدرها ، تتلمس أطرافه وعنقه وظهره وصدره تبحث عن أي اثر من شظايا القذيفة ربما يكون قد أدركه . وكانت جارتنا الفلسطينية وبناتها يحاولن ان يهدئن من روعها والدموع تتلألأ في عيونهن .

طوال ليالي الاسبوع الماضي ، كان سامي يصرخ في الليل كلما انفجرت قنبلة قريبة . وكنا ، انا والهام ، نهرع الى غرفته كلما ايقظنا الصراخ او القنابل ، فنراه مفتوح العينين مذعورا ، كأنه ينتظر الانفجارات .

في الليتين الماضيتين ، انقطعت القذائف تقريبا . ولكن صرخات سامي لم تنقطع حتى وهو مستغرق في النوم . كان يعاني الكوابيس .

كفت الهام عن التحدث عن البيت ، فيما كانت تملأ حقيبتي السفر بالملابس ، وعيناها تنديان بالدموع .

وحين أقفلت باب المنزل صباح امس ، وقفت الهام لحظة تتأمله ، كأنها تشك في ان تعود اليه ، ثم التفتت الى جارتنا الفلسطينية التي كانت واقفة تودعنا ، وأقبلت عليها تعانقها وهي تهتز بالبكاء .

قالت الهام للفلسطينية :

ـ انه بيتك ايضا . فأرجو ...

قاطعت الفلسطينية الهام :

ـ بل هو بيتكم وحدكم . وستعودون اليه قريبا .

ثم أضافت :

ـ نحن هنا ضيوف . وبيتنا هناك . وبانتظار ان نعود اليه ، سنحافظ على بيتكم ، هذا الذي آوانا .. وحمانا ..

ثم عادت الفلسطينية وبناتها يقبلن الهام والاولاد ، داعيات لنا بسلامة الوصول والعودة .

٧ ـ من تقرير اخباري

انبعث صوت المذياع من الترانزستور ، على ظهر الباخرة :

« بعث مراسل صحيفة « لوموند » في بيروت تقريرا اخباريا وصف فيه الحال التي يعيشها سكان

وكان حين ينجح في مهمنه ويعود الى مواقعنا يرفع اناء الماء المليء ويحركه فوق رأسه كأنه علم . فاذا اخفق ، بافتقاده ثغرة ينفذ منها في سدّ النيران ، عاد حاني الراس . كأنه يعاني من مذلة .

ذات مساء ، كان قد انقضى نهار بكامله على الاولاد في حينا ، من غير ان يجدوا نقطة ماء . كان كثير منهم يبكون ، والقليل يكتفي بالانين . وكانت الامهات يحاولن الهاءهم بالالعاب أو بالحكايات اذا استطعن ان يحتفظن بانتباههم عبر اصوات الرصاص والانفجارات. وحين استبد بالاطفال العطش، ونحن نصد في الخارج احدى الهجمات الضارية ، روت احدى الامهات أنها قالت وهي تكاد تبكي :

ـ ما أشد حاجتنا الان الى كمال ! .. ان بقاء الاولاد على قيد الحياة ليس أقل أهمية من الدفاع عن المواقع !

واستطردت هذه المرأة تقول انها فوجئت بكمال ينتصب امامها ، كأنما نبع من الارض ، ويطلب الاناء الفارغ على عجل . وبانتظار ان تأتيه به ، اشتد بكاء أسعد ،ذلك الطفل الجميل الذي كان كمال يوليه عطفا خاصا لاستشهاد أبيه الذي كان صديقا حميما له ، في احدى معارك عنطورة .. وحمل كمال الطفل ، واخذ يهدّيء بكاءه ويقبله في شعره وخديه ، وهمس في أذنه: « اكراما لذكرى ابيك ! »

كانت ساعة من أعنف ساعات القصف ، كأنما هي تمهيد لاكبر هجوم يخطط له العدو . وقد خرج كمال بسرعة البرق يبحث عن الماء . وتأخر عن عادته ، فأخذ القلق يساورنا . وحين طال غيابه ، فكرت بان أخرج بحثا عنه ، فربما يكون قد أصيب برصاصة أو شظية ، وربما يكون بحاجة الى علاج . ولكن الرفاق منعوني . وطلبوا التصبر ريثما يخف القصف أو يصدّ الهجوم . وكان القلق قد بدأ يتحول الى نوع من الخوف المذعور لغيابه ، حين سمعنا صيحته المنتصرة ، وبرز على مدخل الدهليز ،حاملا انائين اثنين، وضعهما على الارض ، ورفع اصبعين من يده ضاحكا وهو يقول : « وجدت الآخر في الطريق ، فقلت نسقي الاولاد الليلة حتى يرتووا ! » .

لم يكد كمال ينهي عبارته حتى حدث انفجار شديد في مدخل الدهليز ...

التقطنا رفيقنا وهو ينزف من جرح كبير في ظهره. وحاول طبيب بكل ما لديه من وسائل محدودة ان يوقف النزيف ، بدا لنا ذات لحظة ان « كمال » قد انقذ حين فتح عينيه ، وقال لي بصوت ضعيف :

ـ أرجو أن يكون الاطفال قد شربوا .. خصوصا أسعد ..

فأومأت له برأسي ايجابا . فاغمض عينيه ، وارتسمت على شفتيه بسمة راضية .

تلك الليلة ، صدّ ذلك الهجوم كذلك . فهدأت الاسلحة طوال الليل ، واستطاع الاطفال ان يناموا بعد ان ارتووا .

ولكن الذي سقاهم أسلم روحه قبيل الفجر .

هذه ، يا نورسي العزيز ، حكاية كمال .

نسيت تفصيلا صغيرا : ان الطفل الفلسطيني الذي تسمع بكاءه أحيانا ، يا نورس ، على ظهر هذه الباخرة .. سمير هذا ، يشبه كثيرا أسعد .

١٠ ـ مسؤولية المجزرة ..

قال الترانزسور :

« اقتحمت قوات انعزالية كبيرة مخيم تل الزعتر أمس بدعم وتخطيط من قيادة قوات دمشق . غير ان المعارك ما زالت تدور داخل المخيم بالسلاح الابيض . وقال راديو صوت الثورة الفلسطينية ان المدافعين عن المخيم يصرون على المقاومة رغم ظروفهم القاسية ، وان النظام السوري يتحمل المسؤولية الرئيسة للمجازر المريعة التي يرتكبها الانعزاليون هناك . والتي وصلت الى حد ممارسة الاعدام بالجملة . واكدت الاذاعة انه ما كان لتل الزعتر ان يصل الى ما وصل اليه من ظروف قاسية ومريرة لولا وجود قوات نظام دمشق التي تحتجز وتشغل قوات كانت ولا زالت على أهبة الاستعداد لفك الحصار عن المخيم (...)

وذكرت وكالة الانباء الفلسطينية ان عددا من عائلات المخيم حاولت الالتجاء الى المنطقة الغربية من بيروت ، ولكن القوات الانعزالية حصدتها بالرصاص. وقالت وكالة اليونيتدبريس نقلا عن أحد سكان مخيم التل ان القوات الانعزالية ارتكبت مذابح شنيعة في القطاعات التي اقتحمتها من المخيم ، وأضافت انها كانت تضع العشرات من الشباب الفلسطيني في صف واحد وتحصدهم بالرشاشات . ووصفت صورة فوتوغرافية فرنسية الجرائم الوحشية التي ترتكبها القوى الانعزالية بأنها منظر لا يمكن أن يصدّق (...) وظهرت أمس مشاهد دامية للحزن والبؤس ، بينما أخذت السيارات الشاحنة تجمع مئات من اللاجئين من مخيم تل الزعتر في مدرسة مهجورة تقع جنوب غربي بيروت . وكان بين هؤلاء الاشخاص مسنّون وأطفال وسيدات من مختلف الاعمار ، كثيرون منهم ينتحبون بصوت عال لما أصابهم من فزع وحزن على مصير أزواجهم وأبنائهم وآبائهم واخوتهم الذين قتلوا اثناء الاشتباكات أو انتزعهم الانعزاليون من بينهم وقتلوهم (...) وكانت هناك امرأة فى خريف العمر تعتمر منديلا أسود اللون تجول هائمة وهي تلوح بقوة . وقال رجل كان في رفقتها ان نيران القصف اصابتها بالصمم (...) وانفجرت فتاة في مقتبل العمر فجأة تبكي عند مدخل المدرسة حزنا على مقتل والدها وأخيها في المخيم

(...) واندفعت فتاة صغيرة نحو أحدهمَ والدموع تنهمر من عينيها ، فأمسكت بذراعه قائلة ان والدها قد قتل وانها تريد ان ترى امها الموجودة في احد المستشفيات (...) وكان زهاء الفي شخص من اللاجئين في المدرسة يسيطر عليهم الصمت والذهول ، ولا يبدون اهتماما بالصراخ والعويل الذي كان يتردد صداه في دهاليز المدرسة .

انقطع صوت المذيع فجأة في الترانزستور ثم استأنف قائلا :

« وردني الان هذا النبأ : سقط اليوم مخيم تل الزعتر بعد واحد وخمسين يوما من الصمود ، وتم اخلاؤه من السكان . أما المقاتلون الخمسون بالسلاح الابيض ، فقد استشهدوا وسحل الانعزاليون جثثهم وربطوهم بسيارات الجيش ، وكانت جثثهم منتشرة على طول الطريق بين ... وبين ... »

١١ ــ على الجميع ...

قالت الفتاة الرشيقة وهي تسد أنفها :

ــ ما هذه الروائح ؟

أجابت المرأة السمينة :

ــ ألم تعرفي بعد أن المرحاض قد فاض ؟

وبالرغم من ان الجميع كانوا يعرفون من قبل ، فأنهم لم يسدوا انوفهم الا في تلك اللحظة . وكانوا قد تجمعوا في أركان الباخرة وزواياها ، بعيدا عن منطقة المرحاض .

وكان أحد البحارة يحاول عبثا ان يفتح المرحاض.

في ذلك الصمت ، ارتفع صوت سمير :

ــ بابا .. أريد أن أبوّل !

تردّد الاب لحظات ، ثم انحنى فنزع سروال ابنه، ورفعه من فخذيه ، مسندا ظهره الى صدره ، موجها عضوه الصغير الى المسافرين ، وقال بصوت مرتفع :

ــ بوّل يا حبيبي !

ثم قهقه ضاحكا :

ــ بول ياروحي ..

وارتفعت قهقهاته وهو يقول :

ــ بوّل على الجميع .. على الجميع ... على الجميع !

وأخذ الطفل يضحك ، وابوه يدور به ، فيتطاير رذاذ بوله في كل مكان .

وكان سعيد في وقفته على الحاجز ، ينظر الى البحر دون ان يلتفت وراءه .

١٢ ــ الكابوس ــ الامنية ...

تلك الليلة كانت باردة . فاقترحت الهام ان ننام جميعا في غرفة البحار قالت اننا سننام جالسين ، لا بأس.المهم ان يطلع علينا الصباح ونحن بازاء الشاطىء.

رفضت اقتراح سامي ان احل محله على السرير . أسندت الهام رأسها الى كتفي . واسندت منى رأسها الى كتف ربيعة . سنحاول ان نرتب اوضاعنا منذ الغد . غدا نتدبر امورنا . كان شللا لنا جميعا ان نبقى تحت القصف والصواريخ.سيهدر عام دراسي اخر من أعوام الاولاد . وهم يريدون الالتحاق بأية مدرسة . وانا لست لاطيق الصمت بعد . أريد أن ارفع صوتي احتجاجا ، وأكاد لا املك وسيلة ذلك في الداخل .ولكن الامور الى أسوأ ؟ لا بأس . كلها اعراض : قشور . الجوهر هناك ، في وجدان الصامدين ، هؤلاء الذين تكمن مهمتنا في ان نحييهم ، ونمجدهم . ونحدو لهم .

غفوت وانا احاول ان ابعد اخبار الترانزستور .

غالبا ما أنسى في الصباح الاحلام التي تراودني في النوم .

ولكني لم أنس حلم تلك الليلة .

قصر باذخ يشع بالاضواء ، تحيط به الجنائن المتلألئة بالازهار ، ويعج بالسيدات والسادة المترفين، وتعبق العطور من كل ارجائه . فجأة تفيض مراحيضه ، فتجري في غرفه سيول من البول والغائط تجرف الطنافس والاثاث الثمين . وتنفتح فجأة في جدران الغرف منافذ يتدفق منها النفط ، مختلطا بالبول ، وتنفتح فجأة في السقوف منافذ اخرى تتدلى منهااعناق زجاجات تصب الويسكي والشمبانيا على خليط البول والنفط . وتنفتح الابواب الداخلية فجأة لتقذف فوق هذا كله مئات من الاعضاء التناسلية ، لرجال ونساء، مقطوعة من جذورها ، تقطر بالدماء ، فيتورد المزيج رويدا رويدا حتى يصبح احمر قانيا . ومن سقفالقاعة الكبرى في القصر ، تمتد تلك اليد المعروقة القوية ذات القميص الممزق الاكمام ، وبين أصابعها عود ثقاب ، سرعان ما يلتهب به السائل الخليط ، فاذا هو حريق هائل يجتاح القصر من كل جوانبه ، وما هي الا لحظات حتى يتداعى وينهار .

أفقنا جميعا على صرخة اطلقها سامي . قالت الهام مذعورة :

ــ يا ويلي .. عاودته الكوابيس .

هدأت من روعها وانا اقول ان هذا أمر عارض، وان سامي سيتخلص منه في أول مكان يستقر فيه . لم يقنعها كلامي ، وانما خفف من مخاوفها ان سامي سرعان ما عاد الى النوم . وكذلك منى وربيعة .

حاولت أنا كذلك ، متمنيا ان استأنف الحلم . ولكن عبثا ما حاولت . خرجت لقضاء حاجتي ، فعجبت ان ارى المرحاض نظيفا ، لا أثر لبول فيه او غائط، ولا تنبعث منه أية رائحة .

١٣ ــ حديث صامت

أعذرني ، يانورس . لن أتحدث اليك الآن . كان بودّي ان أروي لك حكاية أحمد . لكني حزين .. حزين حتى الموت .

١٤ ــ سعيد والنورس ...

في وقت مبكر ، رست الباخرة امام الشاطيء . وبدأ المسافرون يتبادلون التهاني بسلامة الوصول ، وأخذوا ينتظرون انهاء المعاملات للهبوط .

بحثت بنظري أفتش عن سعيد ، ثم طفت باركان الباخرة ، فلم أجده .

سألت أحد البحارة ، فقال انه رأى زورقا صغيرا أقبل عند الفجر للقاء الباخرة . ولا يدري انكان المسافر الذي أسأل عنه قد استقله .

سألت آخرين ، فلم يفدني أحد .

غير أني فوجئت بسمير يقترب مني حذرا ، ثم يلتفت يمنة ويسرة قبل ان يطلب مني الانحناء ليهمس في أذني :

ــ تسأل عن عمو سعيد ؟ انا وحدي رأيته عند الفجر .. لا تقل لاحد ..

ثم ازداد الطفل الفلسطيني مني قربا حتى التصقت شفتاه الندیتان بأذني ، واضاف :

ــ جاء سرب الطيور الذين رافقونا .. وضعوه على بساط أخضر ، وحملوه بمناقيرهم ، وسافروا به.. الى .. هناك ... هناك .

وأشار سمير بأصبعه الصغير بعيدا ، باتجاه الشرق .

بيروت ــ الاسكندرية

١٣ــ ١٦ آب ١٩٧٦

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
٢٦١ لسنة ١٩٧٦

دار الحرية للطباعة ــ بغداد
١٣٩٦هـ ــ ١٩٧٦م